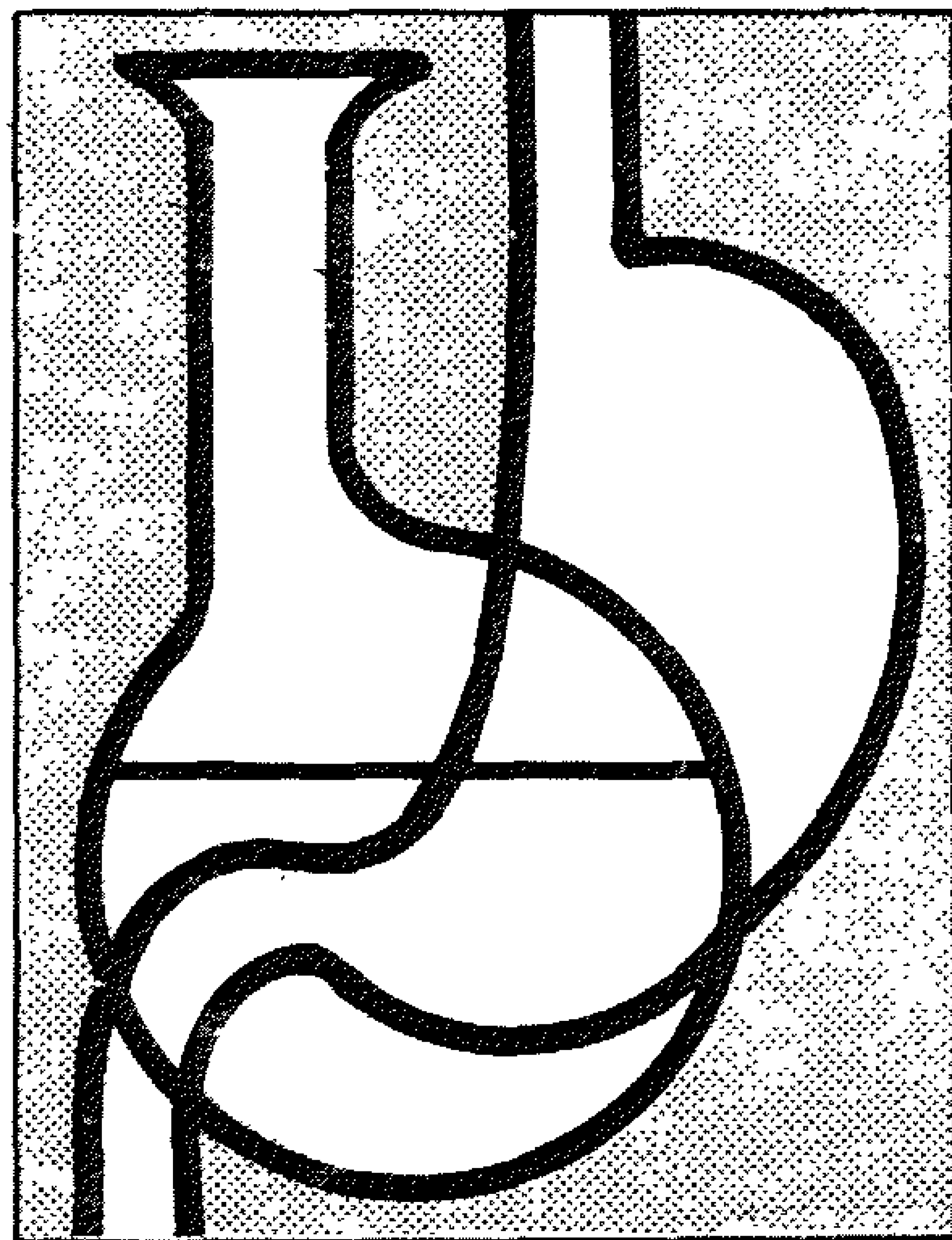
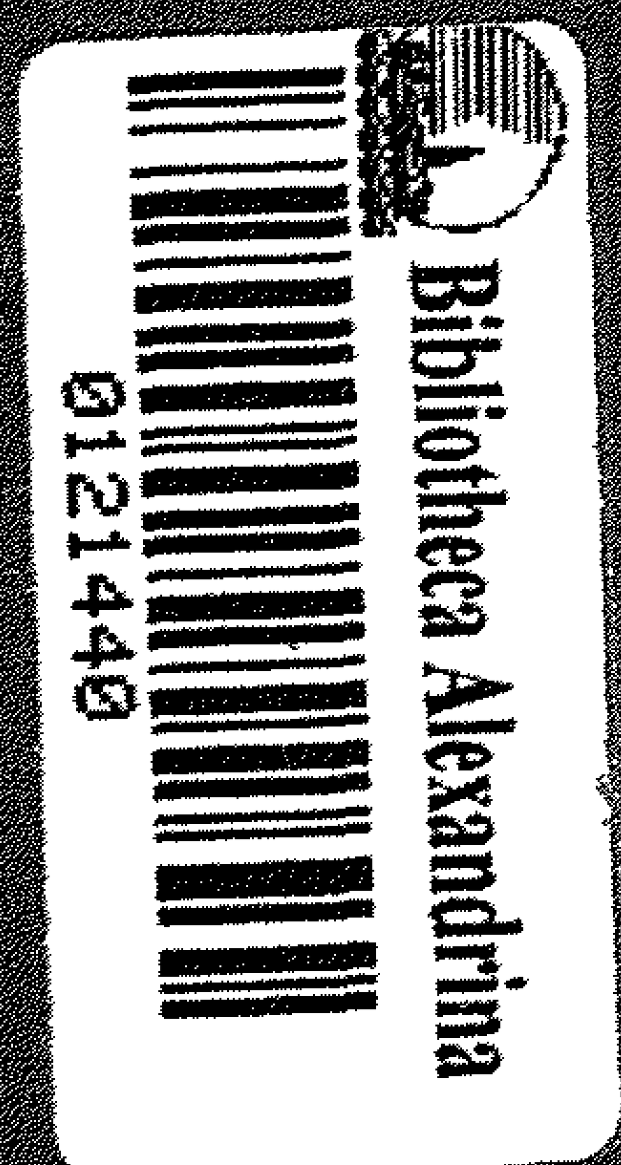
د. شادية توفيق حافظ

السريان وتاريخ الطب







السريان وتاريخ الطب

تأليف

الدكتورة شادية توفيق حافظ
أستاذ مساعد بقسم اللغات الشرقية
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٣



إهـــــداء

إلى والـدى ...

مقـــدمـة

لكل حضارة من الحضارات الكبرى فى تاريخ البشرية مقوماتها وأسسها التى تقوم عليها وتستند إليها .

وحضارة الآراميين هى إحدى الحضارات الكبرى التى ظهرت فى التاريخ وعاشت فترة من الزمن وأثرت فى غيرها من الحضارات .

فالآراميون هم ثالث فرع نبت فى شجرة الأمم السامية وكان أول ذكر لهم فى نصوص إسفينية ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م جاء ذكرهم فيها على أنهم منتشرون فى الصحراء الواقعة غربى ما بين النهرين ، وأنهم كانوا فى أول أمرهم قبائل رحل يتنقلون فى البادية بين نجد فى الجنوب وحدود الشام فى الشمال ونهر الفرات فى الشرق وخليج العقبة فى الغرب . وكانت ظروف الصحراء تضطرهم الى الالتجاء الى الحضر فى بعض الأحيان فيدخلونه مغيرين .

وقد استطاع الآراميون فى إحدى اغاراتهم أن يكونوا إمارة بين بابل والخليج الفارسى عرفت باسم «كلد» ومنها اشتق اسم الكلدانيين .

وفى حوالى سنة ١٣٠٠ ق.م دخل الآراميون ما بين النهرين وعرفوا باسم «آرام النهرين» . وقد ظلت إمارتهم التى عرفت بهذا الإسـم قائمة حتى قضى عليها الآشوريون قبل نهاية القرن التاسع ق.م . وكانت من أهم اماراتهم فى هذه المنطقة إمارة «فدان آرام» وكان مركزها مدينة «حران» التى أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الآرامية .

وكذلك توغل الآراميون فى الشام واستقروا فى الشمال وكونوا عددا من الدويلات منها إمارة «سمأل» بين أنطاكية ومرعش .

وفى أواخر القرن العاشر ق.م استولى الآراميون على دمشق وأسسوا فيها مملكة كان لها دور فعال فى التاريخ وبخاصة فى محاربة الفينيقيين والتغلب عليهم ، وكذلك لعبت دورا هاما فى مجال التجارة . فقد كان البدو من أهلها ينقلون التجارة بين المراكز مثل دمشق وحماة وحلب الى بلاد نهر الفرات . وكانت تدمر مركزا من هذه المراكز . وقد وصل هؤلاء البدو الى واحات بلاد العرب الشمالية وتركوا بعض النقوش فى تيماء .

ولما استولى البابليون على مملكة دمشق فى القرن الثامن ق.م صارت بذلك ولاية آشورية . وقد أتيح للآراميين أن يتلقوا تأثيرات حضارية عديدة بسبب موقع بلادهم فكانوا ورثة الحضارة البابلية والآشورية والفينيقية والفارسية واليونانية .

وقد استقر الآراميون فى مملكة بابل ونشروا لغتهم حتى تغلبت على اللغة البابلية الأشورية .

وفى نهاية القرن السادس ق.م تم للفرس الاستيلاء على الشرق وسقطت فى أيديهم مدينة بابل سنة ٥٣٨ ق.م ومع ذلك لم تفقد اللغة الآرامية شيئا من رونقها ، بل بقيت لغة رسمية للمملكة ولا سيما فى عهد «دارا الأول» وكذلك أيضا فى عهد السلوقيين والفرثيين والساسانيين وأصبحت هى اللغة السائدة فى كل آسيا .

وانتشرت أيضا اللغة الأرامية فى شمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وذلك منذ القرون الأولى للمسيحية وأستمرت الى القرن السابع الميلادى .

ولقد كان من آثار النفوذ الذى اكتسبته اللغة الآرامية أن عرب الشمال أخذوا أبجديتهم التى كتب بها القرآن الكريم من الآرامية التى استعملها الأنباط .

ويقوم النزاع بين الفرس والروم وتكون بلاد الآراميين مسرحا له ، فيتأثر الآراميون بحضارة الفرس والروم وثقافتهم ويصبحون بذلك ورثة الحضارات الأشورية والبابلية والفينيقية والفارسية واليونانية .

أما لغتهم فانها كانت تفرض نفسها على سائر اللغات فأبادت اللهجات الأكدية الكنعانية ، فلم تكن اللغة الآرامية لغة الامبراطورية الفارسية فحسب وانما كانت لغة دولية .

وقد تبع انتشار الآرامية وأتصال أصحابها بغيرهم من الشعوب أن تولدت عدة لهجات يمكن أن نميزها تبعا لاختلاف الزمان والمكان والدين والحضارة .

وكانت إحدى هذه اللهجات لهجة اقليم الرها التى صارت فيما بعد لغة الآداب المسيحية والتى سميت بالسريانية وليس من شك أن السريانية قد استفادت كثيرا من اتخاذ المسيحية لها لغة أدبية ، فأنتشرت فيما بين النهرين ثم اتجهت فى طريقها ناحية الشرق ، وكان تسربها الى الغرب ضئيلا جدا ذلك أن اللغة اليونانية كانت منتشرة فى الغرب وكانت أنطاكية (شمال سوريا) معقلا لها . وقد تمكنت السريانية من دخول مصر ولكن فى الأديرة وبين رجال الدين وخاصة فى الاسكندرية .

أما فى الشرق فلم يكن هناك ما يمنع من انتشار اللغة السريانية . فقد كانت لغة الكنيسة المسيحية فى الشرق تتبعها أينما حلت ، وكانت لغة المسيحية فى فارس وحملها المبشرون من النساطرة معهم الى بلاد التركستان والهند حتى بلاد الصين .

وفى تلك الفترة اشتهرت فى بغداد مدرسة «جند يسابور» كمركز فعال لنشر الثقافات المختلفة من فارسية ويونانية وسريانية . فكان العلماء ورجال الأدب والفن من جميع الملل والنحل يتوافدون على بغداد ينهلون من تلك الثقافات .

وفى القرن السابع الميلادى عندما تم الفتح العربى واتسعت رقعة البلاد الاسلامية وجد العرب أنفسهم أمام شعوب تختلف عنهم من حيث الدين واللغة وطريقة المعيشة ومن حيث النظم والعادات الفكرية والاجتماعية والتقاليد ..

ومن ثم لم يجد العرب مناصا من الاعجاب بتركات هذه الشعوب اعجابا دفعهم الى الأخذ عنها . فقد أخذوا عن اليونان كما أخذوا عن الفرس والهند والسريان .

وكما تعددت مصادر أخذهم ومنابع امدادهم فقد تعددت الدراسات التى أخذوها فكان منها الطب والفلك والمنطق والفلسفة والرياضات والتنجيم .

ومن هنا ظهرت حركة الترجمة التى كان لها دورها الفعال فى ازدهار تلك الحركة العلمية . فظهرت مدرسة «جنديسابور» فى بغداد كمركز فعال لنشر الثقافات ، وكان من أشهر نقلة هذه المدرسة بعض الأسر الطبية السريانية مثل أسرة «بختيشوع» و«ابن اسحق» وأسرة «ماسويه».. الذين قاموا بعملية النقل من اللغات المختلفة من يونانية وفارسية الى العربية كوسيلة لنشر العلم فى تلك البلاد العربية وكانت من أشهر العلوم التى قامت تلك الأسر السريانية بنقلها وفك طلاسمها الى العرب هو «الطب» .

وتعد مهنة الطب من أشرف المهن وأعظمها منذ الخليقة والى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنها تقوم على تخفيف آلام المتألمين والمنكوبين والمرضى فى كل حين ومكان .

والطِّباب لغة العلاج ، الطبابة حرفة الطبيب وطابَّهُ أى داواه وعالجه، الطِّب الحذق والمهارة؟ الطِّب علاج الجسم والنفس، ومنه علم الطب. وكلمة «طب» فى أبسط معانيها تعنى فن معالجة المرضى ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى ، ولهذا فان بعض من امتهنها كان يريد وجه الله تعالى والاحسان الى عبيده بعلاجهم من غير أجر .

يعرف ابن خلدون[1] الطب بأنه صناعة تنظر فى بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد أن تبين المرض الذى يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التى تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا فى السجية (الطبيعية) والفضلات والنبض ، محاذين لذلك قوة الطبيعة ، فانها المدبرة فى حالتى الصحة والمرض ، وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشىء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم «الطب» .

وللطب تاريخ كما أن للناس تاريخهم . ونحن لا نفهم حاضر الناس مالم نقف على ماضيهم وكذلك الأمم فاننا لا نفهمها فى يومها الا بقدر ما نعرف عن أمسها . ولفهم حاضر الطب يجب أن نفهم ماضيه والدارس لتاريخ الطب يجد أن البداية الحقيقية والفعلية للطب تظهر بوضوح فى الطب المصرى القديم أى «الطب الفرعونى» .

فعلى الرغم من أن هناك فكر سائد أن «أبقراط» هو «أبو الطب الحديث» ، إلا أن الدارس قد يرى أن «أبقراط» قد استمد الكثير من الطب المصرى القديم ، وأن المصريين القدامى هم الذين أسسوا الطب ودونوه وذلك ثابت فى البرديات المصرية القديمة التى يرجع تاريخها الى عصر الدولة الرابعة فى مصر القديمة . وفى تلك البرديات يتضح أن المصريين القدامى أدركوا أهمية الطب وقيمته وشرعوا ما يشبه النظام الطبى الحاضر فى محاولة استخلاص التاريخ المرضى وفى فحص المريض وإعادة هذا الفحص عند اللزوم وتشخيص المرض ثم إمداد المريض بما يلزمه من علاج سواء بالرقى والصلوات لوضعه فى الاطار الفعلى الذى يعينه على الشفاء بالدواء أحيانا وبالامتناع عن الدواء والاكتفاء بالراحة فى بعض الأحيان . كما نرى أن الطب الفرعونى وقد كان رائدا فى علم التحنيط فقد توصل من خلاله الى علم التشريح والقيام بالعمليات الجراحية المختلفة .

ثم ظهرت الحضارة البابلية الأشورية التى أثرت المنطقة بالعناصر الأساسية لحضارة الشرق الأوسط بأكملها . ففى العهد السابق للسومريين عثر فى «أور» على كنوز كثيرة وذلك فى المقبرة الملكية التابعة للمدينة كما عثر فى نفس المقبرة على ما يثبت وفاة كل

---

(١) ابن خلدون : المقدمة . كتاب الشعب ص ٢٢٣ بدون تاريخ

حاشية هؤلاء الملوك دفعة واحدة . وقد ثبت بعد ذلك أن سبب الوفاة كان تناولهم منوما مفعوله غاية فى الشدة .

وهذا يوضح لنا أن سكان بلاد الرافدين كانوا على علم ودراسة كافية بعلم الأقراباذين[٢] ، كما عرفوا أيضا التشخيص الدقيق للكثير من أمراض المعدة والفم وعمليات الفك والأذن والأمراض الصدرية والجلدية والنفسية وغيرها الكثير التى كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على السحر والتعاويذ والرق ، كما كان معظم الأطباء من الكهنة .

وهنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الطب البابلى والأشورى والطب المصرى القديم الذى كان يعتمد - كما أشرنا من قبل على السحر والشعوذة والرق .. كما نجد أيضا أن سكان الرافدين قد قاموا بالكثير من عمليات التربنة وهو ما اشتهر به القدماء المصريون خاصة وأنهم كانوا أحيانا يعالجون صداع الرأس بعمل ثقب فى الجمجمة وذلك اعتقادا منهم ان ذلك سيخرج الشيطان - وهو الذى يظهر فى صورة صداع - من رأس المريض وكانت تلك الطريقة فى العلاج وتخفيف الألام هى نفسها التى أتبعها المصريون القدماء من قبل مع مرضاهم .

وبمرور الأيام ازدادت الصلات بين مصر واليونان ازديادا كبيرا . وقد ظهر ذلك واضحا منذ الأسرة العشرين فى مصر الفرعونية .

ففى القرن السادس ق.م وهو عصر النهضة التى يسمى نهضة «صاالحجر» بلغ الطب اليونانى شأوا عظيما ولكن نجد أن معظم معارفهم قد اكتسبوها من المصريين القدماء فاستوعبوها وهضموها جيدا ، كما أنهم أخذوا عن الكلدان والسريان . بل لقد أضافوا الى طب هذه الحضارات الشيء الكثير ذلك لأن العقلية اليونانية تميزت بأنها عقلية تركيبية نشطة . فمن المعروف أنه لما فقدت مصر وبابل استقلالهما بعد ظهور دولة الفرس وغزوها لمصر فى القرن السادس ق.م أنتهى بذلك العصر الشرقى الذى بنيت على أطلاله كل الحضارات التى تلته ثم انتقل مركز العلم إلى الإغريق .

وقد أثرت المدارس الطبية المصرية فى الطب اليونانى ويظهر ذلك جليا فى الكثير من الأدوية والعقاقير التى ذكرها ديسقوريدس وجالينوس إذ نجدها مقتبسة من المصريين القدامى . ولا شك أن الكثير من الأطباء اليونان قد ترددوا على المراكز العلمية الطبية فى مصر وخاصة فى مدينة الاسكندرية .

---

(٢) الأقراباذين : هو علم تركيب الأدوية .

وظل الطب اليونانى يتطور بمرور الزمن حتى وصل الى أوج عظمته فى عصر جالينوس .

وفى النهاية كانت هذه فكرة عن تاريخ الطب والمراحل المختلفة التى مر بها منذ نشأته على أيدى القدماء المصريين وتدرجه وظهوره فى الحضارات البابلية والأشورية ثم الحضارة اليونانية التى كان لها الباع الأعظم فى هذا المجال ، مع إظهار دور السريان وهم أصحاب الفضل الأول فى ازدهار الحضار الإسلامية وذلك من خلال ترجماتهم لأمهات الكتب العلمية وبذلك حفظت تلك العلوم من الضياع والاندثار كما استطاع العرب أن يتعرفوا عليها عن طريق الأبحاث والدراسات .

ولعلى بهذا العمل أكون قد وفقت فى إظهار دور السريان فى نقل العلوم اليونانية الى اللغة العربية ومدى مساهمتهم والحفاظ على استمرار الحضارة الانسانية كحلقة وسيطة بين اليونانية والعربية فى واحد من أهم فروع العلم وهو «الطب» الذى بدأ بمحاولة للانسان الأول فى علاج جروحه أثناء الصيد الى ما نقرأ عنه فى زرع الأعضاء واكتشاف العقاقير وتقدم هائل فى فروعه المختلفة .

والله ولى التوفيق .

الباب الأول

الفصــل الأول
الآرامـــيون

الآراميـــون

عاشت في قديم الزمان أمم وطوائف كبيرة من الناس امتازت بصفات مشتركة بين أفرادها وتكلمت بلغات بلغت أقصى درجات التشابه .

وقد أطلق على هذه الأمم منذ أواخر القرن الثامن عشر لقب «الساميين» وهى الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية والبابلية والأشورية وما انحدر من هذه الشعوب .

كما أطلق على مجموعة اللغات التى كانوا يتكلمون بها اسم «اللغات السامية» .

وأول من أطلق هذه التسمية هو المستشرق الألمانى شلوتزر Schloezer سنة ١٧٨١م وايكهورن Eickhorn[١] بعد أن لاحظ أن معظم الشعوب والأمم التى تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح وهم سام وحام ويافث والشعوب التى انحدرت من كل ولد منهم .

ولقد حدد العلماء تخوم الساميين الجغرافية بجبال آسيا الصغرى وجبال ايران والخليج الفارسى والمحيط الهندى والبحر الأحمر والبحر المتوسط الى ميناء اسكندرونة ، كما حددوا مداها العنصرى بكلمتى «حامية - سامية» فأطلقوا على الشعوب المقيمة ضمن هذه الحدود اسم «حاميساميين» Chamito - Semites[٢]

كانت الشعوب السامية حين عرفها التاريخ تسكن الجزء الغربى الجنوبى من أسيا الذى يحده من الشمال جبال طوروس وأرمينية ومن الشرق جبال كردستان وخوزستان وحوض دجلة والخليج الفارسى ومن الجنوب المحيط الهندى الذى سمى أحيانا بحر العرب ومن الغرب البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط .

ولم يخرج الساميون من هذه البقعة المحدودة بتلك الحدود إلا بعد الاستعمار الفينيقى والهجرة الى الحبشة بطريق بوغاز باب المندب ثم الفتح العربى الإسلامى[٣] .

وقد تمتعت الأمم السامية بمميزات خاصة وتاريخ ممتلىء بالحوادث وآثار اجتماعية لا تزال تذكر من بين المآثر الظاهرة التى ساعدت على الرقى الإنسانى وعملت على النهوض بالعقلية البشرية . ومن مميزاتهم ما هى جسمية وما هي عقلية وخلقية ، لذلك أجمع

(١) Renan : E = Histore Générale des Langues Semitiques, Paris 1855, p 42 .

(٢) الشيخ نسيب وهيبة الخازن : من الساميين الى العرب - بيروت دار مكتبة الحياة سنة ١٩٧٩ ص ٩

(٣) حامد عبد القادر : الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها . مراجعة د.عونى عبد الرؤوف - دار نهضة مصر سنة ١٩٨١ ص٥١

العلماء على أنهم أنحدروا من طائفة واحدة أو جنس واحد من الناس كان يسكن مكانا واحدا ويتكلم بلغة واحدة .

ولذا حاول كثير من المستشرقين والمؤرخين وعلماء الأجناس جاهدين إيجاد البراهين والأدلة المؤيدة لنظريتهم المتعلقة بتحديد الموطن الأصلى لتلك الشعوب السامية التى أصبحت وطنا دائما لهم[٤] .

فقد كان هناك المذهب الأفريقى الذى يقول أصحابه[٥] أن الساميين نشأوا فى أول الأمر فى شمال أفريقيا وأقاموا بها زمنا طويلا ، ولما ضاقت بهم نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس .

وكذلك المذهب الأرمينى الذى حدد أصحابه الموطن الأصلى للساميين ببعض جهات أرمينية بالقرب من حدود كردستان[٦]

وهناك فريق[٧] ثالث يرى أن الموطن الأصلى للساميين كان يقع فى المناطق التى كان يسكنها الكنعانيون أى غربى بلاد الشام حيث أقام الفينيقيون على الساحل وأشقاؤهم الكنعانيون فى الداخل وخاصة فى فلسطين .

كما أن هناك فريق[٨] رابع يرى أن موطن الساميين الأصلى كان بلاد الحبشة وأنهم عبروا بعد ذلك مضيق باب المندب الى اليمن الذى أغراهم بخيراته .

أما الفريق الخامس[٩] فكان يعتقد أصحابه أن أرض بابل أى سهول العراق كانت المهد الأصلى لكل الشعوب السامية قبل أن تنتشر فى المناطق الأخرى .

---

(٤) أحمد أرحيم هبو : المدخل الى اللغة السريانية – الطبعة الأولى . منشورات جامعة حلب – سنة ١٩٧٥ – ص١٦ حلب

(٥) Noldeke : T = Die Semitischen Sprachen Leipzig 1899, p 12

Barton = Die semitic and Hamitic Origins, London 1943, p 34

(٦) حامد عبد القادر : الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها ص ٥٤

(٧) Clay : A T = Amuru, the home of the Nothern Semites, Hewhaven 1919, p 230 Newhaven

- Moret : A = Des Clans aux Empires, Paris 1923, p 217 - 227.

(٨) Bauer = L = Historische Grammatik der Hebraischen Sprache, Hildesheim, 1965, p 10

- Grimme : Texte und Untersuchungen safatenisch arabischen Religion, Paderborn, 1929, p 6 - 9

(٩) Hommel = Ethmologie und Geographie des Alten Orient Munchen 1926, p 10

- Klamers = The Sumerians, Leipzig 1963, p. 328

أما آخر الأراء فقد تحمس له فريق من المحققين[10] فى أواخر القرن التاسع عشر وبرهنوا على صحته بأدلة تكاد تكون يقينية . وقد أدى هذا الى عدول بعض أصحاب الآراء السابقة عن آرائهم وتأييدهم لهذا الرأى الذى يتلخص فى أن جزيرة العرب والجنوب الغربى منها بشكل خاص [بلاد الحجاز ونجد واليمن وما الى ذلك] كانت الموطن الأصلى للشعوب السامية وهو الرأى الوحيد السائد الآن الذى تثبته الوقائع التاريخية[11] .

وتنقسم اللغات السامية من الوجهة الجغرافية الى ثلاث مناطق[12] .

١ - شرقية : ومنها اللغة البابلية والأشورية

٢ - غربية : تشتمل على الكنعانية والعربية والآرامية

٣ - جنوبية : منها اللهجات العربية فى جميع بلدان الجزيرة العربية واللهجات الحبشية

وقد جعل بعض المستشرقين المنطقتين الأولى والثانية منطقة واحدة كبرى تسمى الكتلة الشمالية تقابلها الكتلة الجنوبية التى هى المنطقة الثالثة .

والمراد باللغات السامية اللهجة التى كانت ألسنة أبناء سام بن نوح ومن أخذ أخذهم وهم سكان القسم الجنوبى من غرب آسيا من حدود الأرمن شمالا الى البحر العربى جنوبا ومن خليج العجم شرقا الى البحر الأحمر غربا[13]

وقد كان أول شعب عرفه التاريخ من شعوب هذه البيئة العراقية هو شعب السومريين نسبة الى المنطقة الجنوبية التى كانت تعرف باسم Sumer «سومر» بالقرب من المصب القديم لنهرى دجلة والفرات[14] .

والغريب فى شأن هذا الشعب السومرى أنه لم يعرف له أصل بالتحديد ولا من أى جهة وصل إلى هذه البيئة ، فهو لم يكن من الشعوب الآرية التى كانت تسكن بجانبه من الشرق ومن الشمال و لم يكن كذلك من الشعوب السامية التى كانت تسكن

---

(١٠) Sayce : H = Assyrian Grammar, Oxford 1872, p 13

Schrader = ZDMG, XXVII, 1813, p 307 - 420

Sprenger = A = Die Alte Geographie Arabiens, Berlin 1815, p 293

(١١) Febvre = L = Geographical Introduction to History, p 322

(١٢) Baumstark = Geschichte der Syrischen Litterature, Bonn 1922, p 14

(١٣) رفائيل بابو اسحق : نصارى العراق - مطبعة المنصورة سنة ١٩٤٨ ص ٣٧

(١٤) د. أحمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور - بغداد سنة ١٩٧٩

بجانبه من الغرب ومن الجنوب[١٥] . وقد استمرت آراء علماء الأجناس والتاريخ متضاربة فى أصل الشعب السومرى ولعل أوضح الآراء وأقربها الى المنطق السليم هو أنه مكون من خليط من الجنسين .

عرف التاريخ هذا الشعب منذ القرن الخامس والأربعين ق.م وعرف له كذلك حضارة عظيمة ذات طابع خاص ومظاهر متعددة وفى نفس الوقت الذى كان يعيش فيه الشعب السومرى فى الجزء الجنوبى من أرض الجزيرة ، كان يقيم فى الجزء الشمالى الأعلى من هذه الجزيرة شعب آخر يعرف بالشعب الأكدى نسبة الى بلاد أكاد «Akkad» كما كان يسميها السومريون أو إقليم «كلدة» كما كان يسميها «الساميون»[١٦]

ولم يعرف كذلك أصل هذا الشعب لا من الناحية الجنسية ولا من الناحية التاريخية ، ولعله تكوّن من خليط من الأجناس وفدت من الشرق ومن الغرب بنفس الطريقة التى تكون بها شعب السومريين الذين أحتلوا المنطقة الجنوبية من وادى الرافدين[١٧] . وقد اشتد ساعدهم فنهض زعيم من زعمائهم وهو سرجون الأكدى [منتصف القرن الثالث ق.م] واستطاعوا بمساعدته ان يتملكوا الديار السومرية وامتد ملكهم من عيلام شرقا الى البحر المتوسط غربا[١٨] .

واستمر وادى دجلة والفرات آهلا بالسومريين جنوبا وبالأكديين شمالا وخاضعا لنفوذهم حتى حوالى القرن الخامس والعشرين ق.م أى استمروا يحكمون هذه المنطقة عشرين قرنا تقريبا .

ومنذ هذا التاريخ ظهرت على هذا المسرح شعوب سامية دخيلة انتفعت بحضارة السكان الأصليين وأضافت إليها ما جعلها فى صف أرقى الحضارات القديمة عند الشعوب الأخرى فقد كان البابليون والأشوريون يكونون شعبة مستقلة متميزة . وكان أول جزء استولت عليه القبائل السامية من هؤلاء السكان الأصليين هو بلاد «أكاد» ثم بعد ذلك زحفت الى الجنوب وضمت كذلك منطقة «سومر» . وبذلك أصبحت بلاد «سومر»[١٩] و«أكاد» مملكة سامية واحدة ، واتخذ الساميون عاصمتهم الأولى فى منطقة «أكاد» ، ثم

---

(١٥) ليونارد وولى : وادى الرافدين مهد الحضارة – تعريف أحمد عبد الباقى ص ٥

(١٦) المجلة البطريكية : العدد ٦١ – تشرين الثانى ١٩٦٨ السنة السابعة ص ٣٦

(١٧) Johns : C.H.W = Ancient Balylonia, Cambridje 1913, p 18 king. Y. W = A History of Babylon, London 1919, p. 199

(١٨) Clay = A = Light on the Old Testament from Babel, London 1907,

(١٩) KRAMERS = The Sumerians, Leipzig 1963, p 36;

انتقلت العاصمة إلى سومر ، وأخيرا عادت الى الشمال حيث استقرت فى مدينة «بابيلونيا» ومن هنا جاءت تسمية الساميين المقيمين فى هذه البيئة باسم البابليين .

تجاوزت هذه القبائل فى سيرها شمالا موطن الساميين الذين وفدوا قبلها واتجهت الى الجزء الشمالى من بلاد العراق حيث الحوض الأعلى لنهر دجلة . وهناك تغلبوا على السكان الأصليين وأقاموا لهم مملكة عاصمتها مدينة أشور ASSUR[٢٠] ثم نقلوا هذه العاصمة فيما بعد الى مدينة «نينوى» NENIUE . وهنا نجد وادى دجلة والفرات من الشمال الى أقصى الجنوب خاضعا لسلطات الساميين ومكونا مملكة سامية مترامية الأطراف .

ثم نزحت بعد ذلك الشعوب الكنعانية من القسم الجنوبى الغربى من بلاد العرب واستقرت ببلاد فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط . ونشأت بهذه المناطق قبل أن ينزح اليها الأراميون بأكثر من ألف عام – حضارات زاهرة وممالك قوية كان لها شأن عظيم فى التاريخ القديم وامتد نفوذ هذه الممالك فى عصورها الذهبية الى كثير من الأمم المجاورة وامتد استعمارها الى سواحل أوربا الجنوبية وشمال أفريقيا[٢١] .

وكانت أرض «كنعان» مقسمة الى أربع مناطق[٢٢] هى أرواد وجبال وصيدا[٢٣] وصور

ظلت هذه المناطق منفصلة بعضها عن بعض تأبى أن تجتمع تحت لواء واحد إلى أن جاء الفرس فأخضعوها كلها لسلطانهم وجمعوها تحت لوائهم .

ولكن العصر الذى خضعت فيه فلسطين وسورية لحكم الفرس كان عصر نمو وارتقاء لجميع شعوبها فقد كثرت جموع الكنعانيين ونشطت الأعمال التجارية والعمرانية واتجهت منهم جماهير كثيرة نحو البحر فأسسوا لهم مستعمرات وأنشأوا لهم أساطيل كان الفرس يحسبون لها حسابا .

ولما انقضى العهد الفارسى وحل محله الحكم اليونانى تبدلت أحوالهم فأخذوا فى الانحطاط شيئا فشيئا بالرغم من أن اليونان لم يقضوا على جميع مراكزهم .

---

(٢٠) **Olmstead** : A.T = History of Assyria, New York 1923, p 525 .

(٢١) **Johns** : C.H.W = Ancient Balylonia - Cambridge 1913, P. 193

(٢٢) **Conteneau** : LesCivlsations Anciennes du Proche - Civilisations p 7

(٢٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ص ٢ ص ١٩٠

وأستمر الإنحطاط فاشيا بينهم فى العهد الرومانى أيضا . ولكن الحضارة الاغريقية والقوة الروحانية لم تستطع أن تقضى على لغتهم بل ظلت قوية وظاهرة . وكانت القبائل الأرامية فى ذلك العهد قد انتشرت انتشارا عظيما فى كل من بلدان الشرق الدانية وظل الكنعانيون يقاومون النفوذ الآرامى الى حوالى القرن الأول الميلادى[٢٤] .

كان الأراميون مكونين من جملة عشائر وقبائل منهم فرع ورد إسمه بصيغة «أخلامو» وهى تسمية شاملة وردت فى الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية فى شمال الجزيرة العربية ، وقد أصبح الأخلامو فى العهد الأخير مرتبطين كليا بالآراميين فى صد الغزو الأشورى ، ونظرا لشهرة هذه القبائل صار إسما كثيرا ما يطلق على جمع الأراميين .

ان الأرامية فرع رئيسى يرجع الى الهجرة السامية الثالثة ذكرت فى مصادر التوراة وفى الكتابات المسمارية[٢٥] ويطلق إسم «آرام»[٢٦] الذى ورد فى التوراة على سلالة عبقرية كما يطلق على الاقليم الذى تسكنه تلك السلالة .

وجاء فى جدول الأمم أن أرام هو جد الأراميين وقيل عنه أنه ابن سام وجاء فى مكان أخر أنه حفيد ناحور بن ابراهيم[٢٧] الخليل ويقال عن يعقوب أنه أرامى تائه ، وعن أمه وزوجاته أنهن آراميات وقد وردت الإشارة اليهم فى رسائل «تل العمارنة» فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م باسم «أخلام» أو «أخلاموا» أى الأحلاف الذين يظن أنهم هم أحلاف آرام المذكورين فى وثائق القرن الثانى عشر ق.م ، وهم يسمون فى المصادر الأشورية «أرومو» و«أرامو» وجمعهم «أريمى»[٢٨] .

وظل اسم آراميين يطلق على ذرية آرام الى القرون الأولى للمسيحية . وكان موطن الآراميين من أقدم البلاد المحدودة شرقا ببلاد الفرس وغربا بالبحر الأبيض المتوسط وشمالا ببلاد الآرمن وأسيا الصغرى وجنوبا بشبه جزيرة العرب فيكون من ضمنها بابل وأشور وما بين النهرين وبلاد الشام ولبنان[٢٩] .

---

(٢٤) **شابو** : اللغات الآرامية وأدبها تعريب انطوان شكرى ص ٩٧

(٢٥) **طه باقر** : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ٢ بغداد سنة ١٩٥٥ ص ٢٦٨

(٢٦) **العهد القديم** : صموئيل الثانى : ٨ : ٣ / ١٠ : ٦

التكوين ٢٤ : ١٠ / ٢٩ : ٤ - ٥

(٢٧) **العهد القديم** : سفر التكوين ٢٢ : ٢١

(٢٨) **Deringer : D = The Alphabet 2e ed. 1948 p 259**

(٢٩) **المجلة البطريركية** : العدد ٦٠ تشرين الثانى سنة ١٩٦٨ السنة السابعة ص ٣٥

كان للآراميين بطون فى العراق وبطون أخرى فى سيناء وفلسطين ، فكانوا ينشرون ما اقتبسوه من وادى الرافدين ووادى النيل على السواء . وكان الاغريق على اتصال بهم فى الموانىء الشرقية من أسيا الصغرى الى تخوم سيناء فنقلوا عنهم وسائل الحضارة والتجارة قبل أن يهتدى إليها أبناء القارة الأوربية بزمن طويل»[٣٠] .

زحف الأراميون ببطء شديد لدى نزوحهم من الصحراء وقد تأخروا كثيرا فى الاستيلاء على بلدان الشعوب السريانية المتحضرة وذلك بسبب قوة ادارة وحضارة البابليين والأشوريين فلما كتب لهم النصر على تلك البلدان انتشروا فى جميع تلك البقاع واندمجت جميع اللغات السريانية فى اللغة الآرامية حتى أتسع نطاقها وغدت لغة واحدة .

ولما ضعف البابليون فى الجنوب وانهمك الأشوريون فى الشمال فى حروبهم فى آسيا الصغرى مع الحيثيين الذين كانوا قد اغتصبوا معظم سوريا الغربية والشمالية ، وانتهز الآراميون هذه الفرصة وغزوا البلدان وتغلغلوا فى جميع جهاتها وتمكنوا من الاستيلاء على أماكن كثيرة .

ومما هو جدير بالذكر أن الأشوريين قد غضوا الطرف عن أعمال الأراميين هذه بسبب قرابتهم العرقية واللغوية من جهة ، وانشغالهم فى الحروب مع الحيثيين الأجانب من جهة أخرى[٣١] .

ففى القرن الثانى عشر ق.م لما تلاحم الحيثيون والآراميون معًا فى الحروب واشتد الخوف على مدنية السريان المزدهرة من الانقراض فضل الأشوريون أن ينصرفوا عن أعدائهم الداخليين وفكروا فى إبادة أعدائهم الأجانب . لهذا فقد كان الآراميون أحيانا يساعدونهم فى القضاء التام على الحيثيين عدوهم المشترك .

ففى بادىء الأمر قبل أن يتمكن الأشوريون من القضاء عليهم نجح الأشوريون فى فتوحاتهم للبلاد حتى أمتدوا الى معظم بلدان ما بين النهرين وسوريا ووصلت جحافلهم الى حدود شبه جزيرة سيناء .

ولكن أخيرا أستطاعت الشعوب السريانية متحدة الأشوريون والبابليون والأراميون أن تضرب الحيثيين الضربة الأخيرة القاضية وتمحو إسمهم الى الأبد من بين أمم العالم

---

(٣٠) العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوربية . القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٣

(٣١) Harper = R.F = Assyrian and Balylonian Litterature p 47

وذلك بعد حروب قاسية ودامية أستغرقت نحو مائة عام . ولما تم النصر للأشوريين طهروا بلدان السريان من الجيش الحيثى الأجنبى[٣٢] .

وكان انهماك الشعوب السريانية فى الحروب مع الحيثيين سببا فى قيام ممالك آرامية ، حتى اذا كان القرن العاشر ق.م[٣٣] قوى ساعد الآراميين فى سائر سوريا وفلسطين حيث اصطدموا بالشعوب العبرانية الصغيرة التى كانت قد شرعت تؤسس لها مملكة صغيرة فى أرض كنعان وبزعامة الملك «داود» قوى العبرانيون فى المناطق التى كان الكنعانيون والفينيقيون قد أسسوا فيها ممالكهم الصغيرة . وقد جاءت أخبار حروب ملوك الأراميين مع العبرانيين فى العهد القديم . واشتهر فى تلك الآونة آراميو دمشق وآرام صوبا فى حوران وآرام راحوت على ضفاف نهر اليرموك وآرام الشمال ثم آرام جرجوم وآرام تدمر والآراميون النبطيون وجميع هؤلاء كانوا آراميين غربيين ثم آراميو مابين النهرين الجنوبية الذين عرفوا باسم أرام النهرين[٣٤] ، وأراميو ما بين النهرين الشمالية ، الآراميون المعديون ، أضف اليهم الآراميون الذين ظهروا فى القرون الأخيرة السابقة للميلاد ، فهؤلاء جميعا كانوا أراميين شرقيين[٣٢] وقد اتضح من الكتابات المسمارية أن القبائل الآرامية (التى عرفت حينا باسم سوتى) هبطت الى بلدان سوريا الوسطى وسيطرت على دمشق حيث أسست مملكتها الشهيرة .

وفى القرن الخامس عشر ق.م أسس الآراميون ممالك صغيرة ظلت قائمة حتى الأجيال التى تلت ميلاد المسيح . وكانت أشهر تلك الممالك مملكة النبط شمال شبه جزيرة سيناء ومملكة تدمر[٣٥] التى تقع وسط الصحراء فى منتصف الطريق بين دمشق والفرات وكذلك دولة الغساسنة[٣٦] فى سوريا الذين اتخذوا الآرامية لغة لهم من غير أن يهجروا لسانهم العربى[٣٧] وأيضا مملكة المناذرة فى العراق الذين استوطنوا أطراف

---

(٣٢) **Rawlison : G** = Five great Monarchies, vol II Lond. 1871, p 435

(٣٣) **د. حسن أحمد محمود** : الساميون القدماء ص ٣٨٠

(٣٤) **المقصود بالنهرين هنا** : الفرات وروافده وليس دجله والفرات

(٣٥) أطلق الأسكندر الأكبر على تدمر اسم بالميرا Palmyra أى مدينة النخيل . فعرفت منذ ذلك الحين عند اليونان بهذا الاسم .

Simpson : R.H = Nabateans Encyclopedia Britannica 1965, vol 15, 1146

(٣٦) **تيودور نولدكه** : أمراء غسان من آل حفنة . ترجمة جوزى - بيروت سنة ١٩٣٣ ص ١٣

(٣٧) يرجع أصل الغساسنة الى قبيلة حفنة وقوامهم عرب سوريا الذين كانوا قد هاجروا من اليمن . وكانت عاصمة الغساسنة تسمى الحيرة وهى المعروفة بالسريانية باسم « » أى المعسكر أو المخيم .

جورج قنوانى : المسيحية والحضارة العربية ص ٤٩

الفرات الغربية ومملكة كندة التى يرجع تأسيسها الى القرن الخامس الميلادى الى قبيلة «كندة» وهى قبيلة قحطانية عرفت باسم كندة الملوك كانت تعيش فى جنوب الجزيرة العربية غربى حضرموت[٣٨]، وأيضا مملكة الرها التى كانت تقع فى القسم الشمالى من منطقة ما بين النهرين فى المنطقة العليا من الجزيرة العربية وكانت عاصمتها الرها[٣٧]. وقد دامت هذه المملكة ثلاثة قرون ونصف بين سنة ١٣٢ ق.م وسنة ٢١٦ م حين أغار عليها «كراكلا» الرومانى فقضى عليها وضمها الى روما .

وكانت الرها قبل ذلك بيد السلوقيين الذين أطلقوا عليها اسم ايديسا EDESSA على اسم احدى مدن تراقية ، ودعاها اليونانيون «كاليرهو» أى الحسنة المياه ، وصارت تعرف عند الأراميين «   » وعربت بالرها واسمها المعروف اليوم باسم أورفة .

---

(٣٨) **فيليب حتى** : فى تاريخ العرب جـ١ بيروت سنة ١٩٤٩ ص ١١٤

الفصل الثانى

عـلاقة الآراميـة باللغـات السـامـية

٢ - علاقة الآرامية باللغات السامية

١ - علاقة الآرامية بالعربية

السريانية الأرامية والعربية شقيقتان يمتان بنسبهما الى أصل سامي واحد . وقد قويت العلاقة بينهما منذ القرن السابع الميلادى أى مع بداية الفتوحات الاسلامية حيث أخذت السريانية تمد العربية بالعلوم[1] والأدب والفلسفة وقد كان أول أتصال بينهما فى شمال شبه الجزيرة العربية فقد كان العرب الراحلة تتصل بأمم سوريا والعراق منذ أقدم العصور التاريخية لأسباب كثيرة ، ونشأ من هذا الاتصال التاريخى العريق علاقات وثقى بين اللغة العربية التى كان يتكلم بها هؤلاء الأعراب وبين اللغات المجاورة لهم ولا سيما الأرامية التى تأثرت بها العربية تأثرا بالغا لأول مرة فى التاريخ[2] . كما أنها تأثرت بالعبرية للأسباب نفسها .

ونجد بعد ذلك قبائل عربية جمة تمتزج بقبائل آرامية وعبرية فى داخل الجزيرة العربية فتركت لغاتهم أثارا بليغة فى العربية وذلك لأن هؤلاء الأقوام (الآراميين والعبريين) كانوا يتمتعون برقى فكرى واجتماعى مرموق . وقد نشأ من هذا التماذج احتكاك بين لغتهم واللغة العربية وهذا ما ظهرت بوادره فى العصور التالية .

أما اللهجات العربية التى نشأت فى جنوب الجزيرة العربية فكان تأثير الأرامية فيها أعظم من تأثيرها فى اللهجة العربية الشمالية كاللهجات الصفوية والثمودية وغيرهما ، ومما هو واضح أن اللهجة «الصفوية» كانت تشمل كلمات غير مألوفة فى العربية أخذت من السريانية وبعضها من العبرية ، ثم وجد هناك مجموعة من الأعلام غير معروفة فى العربية أخذت كلها من اللغتين كما ظهرت أيضا صيغ كثيرة من الأفعال تعود بشكلها الى صيغ الأفعال السريانية[3] .

واذا اقتربنا من التاريخ المسيحى زهاء أربعة قرون نرى الآرامية تنتشر بشدة فى البلاد العربية وذلك بسبب العلاقات الوثيقة التى نشأت بينها وبين العرب وذلك منذ قيام الإمارة الآرامية العربية فى البطراء والمعروفة بإمارة الأنباط واستعمالها للآرامية فى جميع

---

(١) **إسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ص ١٦٢

(٢) **أغناطيوس يعقوب الثالث** : الحقائق الجلية فى الأبحاث التاريخية والأداب الفلسفية . دمشق سنة ١٩٧٢ ص ٢٦

(٣) المرجع السابق ص ٢٢

مرافق حياتها[٣] . فقد نشأت تلك الإمارة حوالى سنة ٣١٠م . وأمتد نفوذها الى المناطق المجاورة حتى فرضتها جيوش الرومان فى عهد طريانوس قيصر سنة ١٠٦م وفيها تمازج العرب والآراميين ونشأت لديهم لغة خاصة اشتقت منها العربية مادة غزيرة .

وكان أعظم ما استفاده العرب من الأنباط هو الخط فمن المعروف والمقرر اليوم أن منشأ الخط العربى وأصله الآرامى مستمد منهم منذ عهد إمارة البطراء وبعدها ، وكان لذلك أثره العظيم فى الحضارة العربية الجاهلية وفى تكوين المادة اللغوية العربية فى شمال الجزيرة العربية .

وأما امتداد الدولة النبطية فكان فى صحراء سوريا بما فيها دمشق وأطراف نهر الفرات من ناحية ، والى قلب الحجاز من ناحية أخرى . وطبعا كانت لغتها منتشرة مع نفوذها فى هذه المنطقة جميعها وهذا أكبر دليل على أن الآرامية أثرت فى اللغات المحكية والمعروفة منها .

واذا انتقلنا الى مدينة تدمر نجد حضارة آرامية أخرى بلون جديد . فان قبائل تدمر ونواحيها كانوا يتكلمون الآرامية الدمشقية وبسطت تدمر نفوذها التجارى على أصقاع شتى نشرت معه لغتها ، ويمتد تاريخ أثارها الآرامية من المائة الأولى قبل الميلاد الى المائة الثالثة الميلادية . وكانت هذه تشبه اللهجات الغربية الآرامية يضاف اليها بعض ألفاظ قريبة من نطق الآرامية والشرقية وهذا هو ما قرره بعض الباحثين فى تاريخ اللغات السامية وكان على رأسهم اسرائيل ولفنسون المشهور «بأبى ذوئيب» .

ولكن هذا الرأى يشوبه على ما يبدو شيء من الخطأ لأن آرامية تدمر لم تكن مزيجا من اللهجتين الآراميتين الشرقية والغربية ولكنها لهجة غربية . أما ظهور مسحة من اللهجة الشرقية عليها فسببه اتصالها باللغة العربية[٤] . ومن الثابت أن القبائل التدمرية كان أغلبها من العنصر الأرامى امتزجت بعض طوائفها بالعرب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان لهجة تدمر مشوبة بألفاظ يونانية ورومانية فيها غير قليل من الأعلام العربية وهو سبب جنوحها الى اللهجة الشرقية .

ومما زاد من تمازج الأرامية والعربية فى تدمر كثرة اختلاط قبائلها بالعرب بعد سنة ٢٧٢م حينما انتصرت وانتهت سيادة «الزباء» فتحول كل شيء فيها وفى أطرافها الى

(٣) **اسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ص ١٢٨

(٤) **فيليب حتى** : المطول فى تاريخ العرب جـ٢ ص ٣٣٢ بيروت ١٩٤٩

اللون العربى ، ولكن رويدا رويدا ، ولذلك كان من الطبيعى أن تتأثر العربية بهذا التفاعل القوى مع الآرامية التدمرية عندما انتشرت المسيحية بين القبائل العربية فى القرون الأولى. كان النصارى العرب يستعملون الخط الآرامى النبطى ، واللغة الآرامية ، كما أن أهل «نجران» العرب – وهم نصارى – كانوا يستعملون اللغة الآرامية ، خصوصا فى طقوسهم الكنسية واتصالهم بالكنيسة الأم فى سوريا وغيرها من الأصقاع الكنسية .

هذا من الوجهة اللغوية .

أما من الوجهة الفنية والكتابة . فمما لا شك فيه أن العرب أخذوا خطهم الذى نراه اليوم من الخط النبطى الآرامى وليس الخط الكوفى العربى ، إلا أن الخط الأسطرنجيلى الأرامى يتطور بيسر(٥) .

وقد تأثر العرب أيضا بالوثنية الآرامية قبل عصر النصرانية فاتخذوا كثيرا من الألهة الآرامية وعبدوها .

لم تكن هناك علاقة للعرب والعربية الا بالآراميين والأرامية وقليلا بالعبرية والعبريين . واذا تخللت لغتهم مادة أكدية أو كنعانية أو عبرية أو فارسية فلا يكون ذلك الا بطريق الأرامية .

فقد تم ظهور الآرامية حوالى القرن العشرين قبل الميلاد وقد انتشرت لغتهم سريعا وتغلبت على باقى اللغات السامية كما عظمت سيادتها فى البلاد الشرقية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد . وفى هذه العصور كلها لم تلتق العربية باحدى اللغات اللهم الا بالعبرية وذلك فى أضيق النطاق .

وقد أظهر لنا التاريخ أن أقدم اتصال للعرب مع سكان العراق القدماء كان فى القرن التاسع قبل الميلاد وكان اتصالا حربيا اذ هاجم الجزيرة العربية أحد ملوك الرافدين وقام بغزوها وقتل أهلها(٦) .

هذا كله يثبت أن كل مادة تسربت الى العربية كانت بواسطة الآرامية السريانية .

يقول الدكتور على وافى : «منذ أواخر القرن السادس حتى أوائل الرابع قبل الميلاد أو أواخره أخذت اللغة الآرامية تقتحم على الأكدية معاقلها وتنتزعها . فلم ينتصف

---

(٥) **أسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ص ١٧١

(٦) **مجلة سومر** : المجلد الخامس سنة ١٩٤٥ ص ١٢٦

القرن الرابع قبل الميلاد حتى كانت الآرامية قد طغت على جميع الألسنة فى هذه المناطق .. وتدلنا بعض الأثار على أنها ظلت لغة كتابة وأدب ودين حتى قبل الميلاد المسيحى[٧] .

وقضت الآرامية على العبرية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وعلى الفينيقية فى القرن الأول قبل الميلاد وبلغت عنفوان مجدها فى المرحلة المحصورة بين سنتى ٢٥٠ق.م وسنة ٦٥٠م وقال : أيضا : «لقد أشتبكت اللغات السامية فى صراع بعضها مع بعض ، وأول صراع حدث بينها كان صراع الآرامية مع اللغات الأكدية والكنعانية . فقد أشتبكت فى صراع مع الاكدية وقضت عليها فى أوائل القرن الرابع ق.م وتغلبت على الفينيقية بأسيا فى القرن الأول ق.م[٨]»

وقال الأبراشي : «فى الوقت الذى كان للغة الآرامية الغلبة والانتشار أثرت تلك اللغة وهى الآرامية فى اللغة العربية تأثيرا عظيما . وكلما أمعنا فى الفحص والاستقصاء اتضح لنا أن كثير من الكلمات العربية التى كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التى تدل على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية . ومن هذا تستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التى كانت لدى جيرانهم الأراميين فى الشمال وأنهم قد تأثروا بها[٩]»

أما بالنسبة للأدب العربى فقد كان للمبشرين النساطره والمراكز الدينية السريانية المختلفة فى الجزيرة أثر كبير فى دخول محسنات جديدة على الأدب العربى وفى مقدمته الشعر الذى كان من أكثر الأداب انتشارا ومكانة وتشجيعا فى ذلك الوقت .

ان أوج عصر ترعرع ونما فيه الشعر العربى كان عهد تغلغل الأفكار السريانية عن طريق هؤلاء المبشرين والمراكز الدينية النسطورية فى الجزيرة العربية والهلال الخصيب ، ثم الرحلات التى كان يقوم بها أهل الجزيرة الى العراق والشام حيث كانت الآداب السريانية قد قطعت أشواطا بعيدة فى التقدم والأزدهار[١٠].

وقد صار ورود التعابير السريانية مألوفا كقول حسان بن ثابت فى القصيدة التى نظمها فى فتح مكة :

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس له كفاء

(٧) د. على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص ١٣٠

(٨) المرجع السابق ص ١٢٠

(٩) عطية الأبراشى : لغة العرب وكيف تنهض بها طبعة مصر سنة ١٩٤٧ ص ١١٤

(١٠) لويس شيخو : شعراء النصرانية قبل الإسلام جـ٢ ص ٣٦٤

ومن بين الشعراء الذين ذكرهم لويس شيخو والذين تأثروا بالأفكار السريانية هم
١ – امرؤ القيس سنة ٥٤٨م
٢ – يزيد بن عبد المدان سنة ٦١٥م من شعراء اليمن وأشرافها وكان قومه قد بنوا كاتدرائية نجران فى اليمن .
٣ – حنظلة الطائى سنة ٥٩٠م وهو من طيىء .
٤ – قبيضة بن النصرانى سنة ٥٩٢م وهو من شعراء بنى جرم المشهورين (جرم = رهط من طيىء)
٥ – عمرو بن كلثوم سنة ٦٠٠م من وائل

وقد ظهر هؤلاء الشعراء وغيرهم كثيرون فى أوج انتعاش وتغلغل الأفكار المسيحية وثقافتها السريانية الى داخل الجزيرة العربية[١١]

وكان شعراء العرب قبل الاسلام يفدون باستمرار إلى أمراء المناذرة والغساسنة فى العراق وسوريا حيث يلقون بأشعارهم ويقيمون مقره . وكانت كلتا الامارتين متأثرتين بالثقافة السريانية ولذا كانت من وسائل نقل هذه الثقافة الى أعماق الجزيرة العربية[١٢]

إن العرب فى الجاهلية والقرون الأولى للاسلام خالطوا المسيحيين من عرب وسريان فى بلاد اليمن ونجد والحجاز ثم فى بلاد الشام الفسيحة التى كانت تمتد من حد عريش مصر حتى جبال طوروس ونهر الفرات ، ثم فى بلاد الجزيرة أى ديار بنى ربيعة والعراقيين الغربى والعجمى ثم بلاد فارس وخراسان وعنهم أخذوا الألفاظ الخاصة بدين النصرانية وضموها الى لغتهم . فمنها سريانيه بحته ومنها يونانية . غير أنهم بواسطة السريان وبحسب لفظهم نقلوا اكثر ما نقلوه منها ، ثم أدخلوها فى كتب اللغة والمعاجم عند تدوينها ، كما أدخلوا بعض الألفاظ اليونانية ونزرا من الحبشية[١٣] والعبرية ثم استعاروا الكلمات التى لا عهد لهم بها مما يتعلق بالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والعلوم وما بها . ولكن بظهور أئمة لغويين من الفرس الذين دانوا بالاسلام وحذقوا لسان العرب وأسدوا اليه بمصنفاتهم دعا الى العناية جمع كثير من الكلمات الفارسية التى عربوها[١٤] ولم يعمد أحد من قدماء الأئمة الى جمع الكلمات السريانية ولا اليونانية التى عربها العرب الا نزرا يسيرا تعرض له الامام أبو عبد الله محمد الخطيب الاسكافى (المتوفى سنة ٤٣١هـ)

---

(١١) **لويس شيخو**: شعراء النصرانية قبل الأسلام جـ٢ ص ٣٦٦ .
(١٢) **جميل روفائيل** : أضواء على منح الحقوق الثقافة ص ١٢٩
(١٣) الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية ص ٣
(١٤) **على عبد الواحد واف** : فقه اللغة ص ١٦٢

فى كتابة «مبادىء اللغة» ، وأبو منصور موهوب الجواليقى البغدادى (المتوفى سنة ٣٥٩ هـ) صاحب كتاب المعرب .

كانت السريانية لغة عامرة فى أقطار شاسعة من بلاد العرب . أما العربية فلم تكن لغة مطموسة فى هذه الأحقاب بل كانت على العكس من ذلك . كانت لغة العرب فى بلادهم الواسعة وأن ما ظهر من نصوص عربية كثيرة ليقدم دليلا على علو مكانتها وازدهارها . ثم أن العربية الإسلامية عندما نهضت وأعربت عن الفكر الاسلامى بعد عصر الجاهلية لهى دليل أيضا على أن هذه اللغة كانت قد ورثت من عناصر القوة ومظاهر الكمال ما يجعلنا نقطع بأنها ذات تاريخ بعيد،كما أنها مرت بمراحل من التطور مما جعلها لغة عامرة تصلح أن تكون أداة صالحة لحضارة جديدة تذهب بعيدا عن جاهلية العرب الأولى .

أخذت اللغة العربية تقتحم على الآرامية معاقلها وتنتزعها منها معقلا معقلا فقضت عليها فى الميدانين الشرقى والغربى[١٥] .

ففى الميدان الشرقى : لقيت الآرامية مقاومة من مختلف اللهجات الآرامية وخاصة السريانية. ولكن انتهى الأمر بتغلب الغربية عليها كما تغلبت على أخواتها فى الغرب. فلم ينصرم القرن السابع الميلادى حتى انقرضت الآرامية الشرقية من لغات التخاطب فى هذه المناطق وان كانت السريانية قد بقيت مستخدمة كلغة كتابة وأدب ودين فى كثير من الأوساط فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى وقد أفلت من هذا المصير بعض مناطق جبلية لا تزال الى العصر الحاضر مختلفة بلهجاتها الآرامية. وتشتمل هذه المناطق على بعض قرى فى طور عبدين «بميزوبوتاميا» وبعض بلاد فى شرق الموصل وشمال جبال الكرد والشاطىء الشرقى لبحيرة أورميا ويبلغ مجموع السكان فى هذه المناطق ما يقرب من مليون نسمة .

أما فى الغرب[١٦] : فقد أنقرضت الآرامية بعد الفتح العربى من لغة التخاطب فى معظم مناطق سوريا وفلسطين وان كانت قد بقيت بعد ذلك أمدا غير قصير لغة كتابة وأدب ودين .

وقد لقيت العربية مقاومة عنيفة فى المناطق الجبلية من هذا القسم ببلاد لبنان وما اليها حيث استغرق الصراع بينها وبين الآرامية عدة قرون .

---

(١٥) يعقوب أوجين منا : دليل الراغبين فى لغة الآراميين ، الموصل سنة ١٩٠٠ ص ٢٨

(١٦) المرجع السابق ص ٣٩ .

وقد ظلت الآرامية لغة حديث فى كثير من قرى لبنان حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادى .

ولضعف الصراع بين هاتين اللغتين وطول أمده فى هذه المناطق أصاب اللغة العربية من ألسنة أهلها كثير من التحريف ، وبقى فى لهجاتهم العربية الى العصر الحاضر كثير من آثار لهجاتهم الآرامية القديمة . بل أن اللغة الآرامية - لا تزال فى العصر الحاضر - لغة حديث فى ثلاث قرى من هذا القسم ويبلغ عدد سكانها نحو ألفى نسمة منها قرية مسيحية تسمى معلولة (تقع شمال دمشق) وقريتان إسلاميتان مجاورتان لها هما «جبعدين و بخعا» يطلق العلماء على لهجات هذه القرى اسم الآرامية الحديثة الغربية Neo Aramien Occidental وبعضهم يسميها بالسريانية الغربية ARAMIEN Syriaque occidental[17] .

وغني عن البيان أن هذه اللهجات قد بعدت بعدا كبيرا عن أصولها الأولى تحت تأثير ما أنتابها من عوامل التطور الطبيعي ، وكثرة المراحل التى اجتازتها فى هذا السبيل ، وطول عمرها وتأثرها باللغات التى احتكت بها وخاصة اللغة العربية . Docidental

لقد كان هناك تأثير متبادل بين اللغتين العربية والسريانية . فقد كان العرب أول من اهتم بمحاسن اللغة السريانية فكانوا فى مقدمة من عرف أهمية هذه اللغة وإمكانيات أهلها . ولهذا فقد كان العرب من أكثر الناس تشجيعا للسريان واهتماما بهم .

فليس غريبا أن يكون عصر ازدهار السريان مسايرا لعصر ازدهار العرب . وليس غريبا أيضا أن تبدأ السريانية بالاضمحلال والانكماش مع تقلص قوة الدولة العربية ، وأن يصيبها الخمول والركود مع زوال الدولة العربية العباسية وأن تقبع فى سبات عميق طويل بين جدران الكنائس المرتدة والمكتبات الأثرية بعد ذلك مع حلول الفترة المظلمة التى مرت على الوطن العربى ، وأن تستفيق من جديد بميلاد القرن التاسع عشر مع انطلاقة النهضة الفكرية للعالم العربى وان تتقدم باطراد مع التقدم الاجتماعى والثقافى للأمة العربية .

---

(١٧) بولس الخورى : غراماطيق اللغة السريانية : ص ٩

الباب الثانى

الطب المصرى القديم

تمهيـد :

ليس هناك دليل نتعرف به على مقدار ما بلغه الانسان فيما قبل التاريخ – من معرفة للطب إلا هيكله العظمى وآلاته الزراعية . ولا يستبعد أن يكون الانسان فى تلك العصور قد ألم ببعض وسائل العلاج . فقد وجدت آثار عملية التربنة فى جماجم الانسان التى يرجع تاريخها الى حوالى ثلاثين ألف سنة فى (بيرو) جنوب أمريكا . فهناك ثقوب بتلك الجماجم واصلة الى المخ . وهنا تكلس فى حافة هذه الثقوب يثبت انها عملت وأصحابها على قيد الحياة وأن أصحابها عاشوا بعد ذلك شهورا وسنينا ولا تزال هذه العملية مستعملة حاليا استعمالها فى الماضى السحيق(١) .

ان الشيء الوحيد الذى عرفه الانسان عن نفسه فى تلك الأزمنة السحيقة هو هيكله العظمى . عرف ذلك بمشاهدته لبنى جنسه بعد موتهم كما عرفه من الحيوان بعد ذبحه . فى هذه الحالات يتعفن الجسم وتتحلل عضلاته وأحشاؤه ويبقى هيكله العظمى . فى هذا الهيكل جزء يسترعى النظر بكبره وكروية شكله ألا وهو الجمجمة . وقد ظن أنه يحتوى على روح خبيثة هى التى سببت الألم والمرض ، وبثقبه يمكن إخراج هذه الروح الشريرة وشفاء صاحبها ، أو ربما كان لأداء فريضة دينية خصوصا إذا علمنا أن الطب كان نوعا من العبادة وان الكاهن كان طبيبا أيضا .

فقد وجدت فى كهف فى فرنسا يعرف باسم «الأخوة الثلاثة Trois Frerès ويرجع تاريخه الى حوالى ١٦٠٠ سنة ، نقوش تمثل شخصا ساترا رأسه بجلد غزال ويظهر من أمره أنه يعالج مريضا ، كما يوجد فى أسبانيا ببلدة «التميرا» صور لحيوانات يرجع تاريخها الى سنة ٢٠٠٠ ق.م. منها وحش الجاموس وبين هذه الرسوم تشاهد الرماح أو الحراب مرسلة إرسالا سليما فى الأحشاء الحيوية لهذه الحيوانات مما يشير الى أن صيادى تلك الصور كانوا على علم بتشريح الحيوان(٢) .

ويعتبر الشخص ذو «رأس الغزال» أقدم شخصية طبية فهو ساحر القرية أو طبيبها أو كاهنها .

وبمرور الزمن ارتقى فكر الانسان وخياله بتأثير العوامل الطبيعية كالرعد والبرق

---

(١) **Erman : A** = Life in Ancient Egypt London 1927 p 102

(٢) **Gradinier = A. H** = Egypt of the pharaohs Oxford 1964, p 320

والزلازل وخسوف الشمس وكسوفها . كل هذه العوامل لفتت نظر الإنسان فحاول تفسيرها وتخيلها تارة آلهة وتارة أرواحا خبيثة وتارة أرواحا حميدة ومن ثم عبد الانسان الشمس والقمر والنجوم والشجر والأنهار والنار والرياح والحيوان ومن هنا كانت ديانته مليئة بالأرواح التى ترى والتى لا ترى والتى تجلب الكوارث والمرض والموت[3] .

وبدأ الانسان يتفهم ما حوله من أشياء فنقشها وصورها ، أما ما صعب عليه تفهمه كالمرض فينسبه الى الشياطين أو غضب الألهة . لذلك كانت تقدم القرابين ابعادا للأول وإرضاء للآخر .

ثم تقدم خطوة فى تفكيره عن المرض فتصوره من عمل الأعداء الآدميين ، أرسلوه اليه بطريق السحر والرقى فأصبح لزاما عليه أن يقاوم ذلك بشىء من جنسه .

وعلى مدى التاريخ القديم يجد الإنسان فى كل بقعة من بقاع الأرض الطبيب الساحر مرتديا رداءه الخاص المتغير بتغير الوسط الاجتماعى . فهو أحيانا يظهر فى صورة «غول» وأحيانا أخرى يظهر فى صورة «حيوان ضخم» يتكلم كلاما غامضا بصوت جهورى مشفوعا بدقات الطبول للتأثير على المرضى نفسيا وكان بعض هؤلاء السحرة يصفون الأدوية لمرضاهم ، وكانت بعض هذه الأدوية مفيدة ويعتبر بعضها أول خطوة فى الطب العلاجى . فالأعشاب التى وصفها هؤلاء كانت تحتوى بعضا من الطب السليم[4] .

لقد تعلم الانسان شفاء مرضاه ببعض النباتات ويحوى الخط الهيروغليفى صورا لنباتات لها خواص علاجية ، كما تحوى القصائد الهوميرية اليونانية (نسبة الى هوميروس) عددا من الوصفات الطبية[5] . وما أكثر الحدائق التى أنشأها قدماء المصريين للنبات الطبية فهناك نباتات سامة عرفها القدماء اتضحت فائدتها فيما بعد اذا أخذت بكميات ضئيلة وكانوا يحكون القصص المختلفة حول بعض النباتات مثل نبات «الماندرا جورا» فقد استعمله الإنسان أولا فى أغراض كثيرة . وأول ما لفت نظر الإنسان الى هذا النبات تشعب جذوره فتصوره يحوى خصائص آدميه لتشابهه بجسم الإنسان . وأخذت الخرافات تترى بأن هذا النبات اذا اقتلعه شخص من الأرض أحدث صوتا عاليا وأن كل من سمع هذا الصوت أصيب بالجنون وكثرت حوله الصفات السحرية ونسبت اليه تقوية الأعصاب وعلاج العقم .

---

(٣) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصريين ص ٢٨

(٤) **ول ديورانت** : قصة الحضارة ج١ ص ١٣٧

(٥) **أمين سعد خير الله** = الطب العربى – بيروت ص ٤٦

وقد جاء ذكر لنبات الماندرا جورا فى العهد القديم[٦] اذ حدث ان طلبت راحيل من أختها هذا النبات لعلاج عقمها .

وقد اعتبر المصريون القدماء هذا النبات هدية الشمس،كما استعمل «ديوسقوريدس» فى القرن التاسع الميلادى هذا النبات كمخدر . أثناء عملياته الجراحية ، كما ورد أيضا على لسان«شكسبير»اسم هذا النبات كمخدر وذلك فى رواية «أنطونيو وكيلوباترا» فقد جاء على لسان كيلوباترا «اسقنى شراب الماندراجورا» لأنام هذه الفترة الطويلة التى يتغيبها انطونياى عنى» .

(٦) العهد القديم : سفر التكوين ٣٠ = ١٤

الفصل الأول

الحضارة المصرية القديمة

الحضارة المصرية القديمة

ان الحضارة المصرية القديمة لم تكن وليدة وقتها وإنما جاءت ثمرة لجهود طويلة قدرها بعض المؤرخين بتسعة وخمسين قرنا . فهى تمتد من أول العصر الحجرى الى عصر اختراع الكتابة والنحو والحساب والهندسة والفلك وكلها علوم كانت قد وصلت فى عهد «مينا» – مؤسس الأسرة الأول وموحد القطرين – الى درجة كبيرة من الرقى .

لقد كانت الثقافة والعلم والمعرفة فى عقيدة المصريين القدامى أسمى ما يمكن أن يصل اليه المرء فى حياته ، كما كانت السبيل الى الخلود بعد مماته . ومن ثم فليس غريبا أن يجعل شعب مصِر القديمة أصحاب العلم والمعرفة فى المكان الأول من دِنياهم وآخرتهم[1]

وكان من أوائل العلوم والمعارف التى عرفها المصريون القدماء الطب . فالطب فى نظرهم «هو قصة البشرية» ولقد ولد قبل أن يولد التاريخ بزمن طويل . فهو يعتبر فنا فطريا أملته الحاجة التى لم تنقطعَ قط .. لقد كان قدماء المصريين أول من مارس الطب على أسس سليمة ولا تزال كتبهم الطبية تشهد بذلك .

فقد اخترعوا الكتابة منذ أقدم العصور فكان ذلك عاملا هاما فى تقدم العلم . وقد نقشوا معلوماتهم على الحجر فاحتفظوا بشرف السبق فى التدوين ثم أخترعوا الورق البردى فسهلوا تداول العلم[2] .

وقد اختلف علماء السلالات فى الطريق الذى اتبعه الطب فى أول ظهوره[3] .

فمنهم من رأى أنه بدأ عمليا تجريبيا تابعا لمقتضيات الحياة اليومية ، وأنه لم يصطبغ بالطابع السحرى أو الدينى الا عندما استيقظ ذهن الانسان فبدأ يتأمل فيما يحيط به . ومنهم من قال على نقيض ذلك أن الطب بدأ بالسحر والشعوذة قبل أن يضيف الملاحظات الواقعية[4] .

---

(١) **محمد بيومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة – الاسكندرية دار المعرفة الجامعية سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٩م ج٤ ص ٣٣٥

(٢) **د. حسن كمال** : الطب المصرى القديم ج١ مطبعة مصر سنة ١٩٦٤ المقدمة

(٣) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٤

(٤) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصرين ص ٥٢٣

الا أن المصرى القديم – على عكس الاغريقى – كان بعيدا عن التفكير فيما وراء الطبيعة وبعيدا عن النظريات الافتراضية بل اعتمد فى تشييد حضارته على تكديس الملاحظات الواقعية والاستفادة منها فأضاف بذلك خبرة عملية الى فطنته الغريزية .

فاذا كان الانسان الأول أدرك بالحيلة والتجربة كيف يحمى نفسه من أعدائه ، فانه إحتار دون شك فى أمر تلك الأمراض التى تظهر وتنشأ بداخله وذلك دون سبب ومن خبرته هذه علل هذه الأمراض الطارئة عليه الى أرواح الشر التى تتقمص جسده وتبعث فيه الفساد . فلجأ الانسان فى علاج أمراضه الى السحر ولجأ الى الدين ولجأ الى الرقى والتعاويذ كما لجأ الى الدجل والشعوذة وماتوارثه من الخرافات والتجارب الشخصية جيلا بعد جيل[٥] .

كما علل مرة أخرى ظهور هذه الأمراض الطارئة عليه الى «نقمة الموتى عليه» ، وهى ظاهرة تميز بها الانسان البدائى وهى عدم إمكانه ادراك فكرة الموت . فقد كان يعتبر أن الموت ما هو إلا نوم عميق طويل يمكن للميت فى أثنائه أن يستيقظ فيزور الأحياء ويطالبهم بحقوقه . ومن هنا كان تقديم الأطعمة والملابس بل أيضا الزوجات والخدم لتهيئة كل أسباب الراحة والترف للمتوفى فى قبره . فلذلك لجأ أيضا الى السحر لإعادة الحياة إلى ما كانت عليه من أمن واستقرار وأرجع مرة ثالثة حيرته فى هذه الأمراض الطارئة التى حلت به الى «غضب الآلهة على ما ارتكب من آثام» . فهذه العقيدة لم تنشأ إلا عندما تطورت الأديان الروحانية . ويرى علماء النفس ان هذه الظاهرة – أى رد المرض الى غضب الآلهة – ماهى الا تعبير لمركب أوديب أو مركب الخطيئة[٦] .

ولما كان المرض قد عزى الى السحر والى غيره من قوى الشر الخفية ، فكان لابد اذن أن يحاول البشر التداوى من السحر بالسحر وذلك بظهور شخصية «الساحر» الى الوجود فى صورة طبيب للقبيلة .

وكان أفراد هذه القبيلة ينظرون الى هذا المطبب الساحر نظرة التوقير والرهبة ، ولعلهم كانوا يخافونه لأنه كان قادرا على تطبيعهم بالخير أو الشر ، له فوق ذلك منافع أخرى منها قدرته على تسخير الجن وعلى التنبؤ بالحوادث الهامة كالانتصار فى المعارك والحروب والتوفيق فى الصيد والقنص إلى غير ذلك .

---

(٥) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٣

(٦) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصريين ص ١٢

وكان الساحر الطبيب يختار لمميزات خاصة فيه قبل قوته أو حكمته ، أو تشويهات معينة فيه أو أصابته بالصرع أو لحدوث أعجوبة فى حياته كأن تلدغة حية ولا تصيبه بسوء ، وكذلك بفضل تنبؤات وأحلام يكون هو موضوعها .

وكانت الطرق والوسائل التى تستخدم فى السحر تصادف - بلا شك - نجاحا كبيرا وإلا فما كانت هذه تزدهر وتدوم وما كان هذا الساحر المطبب قد تمتع بتلك المكانة العالية فى تلك العصور المظلمة[٧] .

لم يكن طب الساحر مقصورا فى تلك الأيام على طرد الشياطين من أجسام المرضى أو هداية الأرواح الحائرة فحسب ، ولكنه أخذ كذلك بنصيب من الطب الوقائى[٨] من حيث ارهابه للأرواح الشريرة وابعادهم بالرقى والتمائم . ويبدو أن هذه الأرواح كان ينتابها الذعر إذا واجهت تلك «التمائم» الفعالة كأسنان البهائم وعظام الحرباء ومخالب القطط وفقار الثعابين وعظام الجماجم البشرية[٩] . وكانت التمائم اكثر شيوعا بين الناس من حبوب الدواء لعلاج الأمراض والوقاية منها .

ومن العلاجات العظيمة المدهشة التى قام بها هذا الطبيب البدائى جراحة التربنة أو ثقب الجمجمة . فما من شك أن هدف التربنة فى الأصل كان طرد الشياطين التى تبعث الفساد فى داخل الجمجمة فتصيبها بالصداع .

اذن لم يكن هذا الطب البدائى مبنيا كله على الخرافة والسحر ، فكثيرا ما كان ينجح بما ينبت فيه من اللمحات الحكيمة لعلم النفس وما يضفيه على المرضى من ثقة وايمان بأنهم فى طريقهم الى الشفاء فبدأ الأطباء يدركون أن «العقل» و«الوهم» لهما صلة وثيقة بشعور المريض ، وأن الثقة والايمان لهما أثر هام فى الشفاء ومن هنا أصبح لصلوات الساحر المطبب القديم والدعوات نفع أكيد فى ملء نفوس المرضى بالأمل فى الشفاء .

ومن هنا نجد أن الطب نشأ أول ما نشأ على السحر والمعتقدات الشعبية ثم ارتفع قليلا الى مستوى أعلى ، ولكنه ظل يحتفظ بمعتقدات شعبية بدائية . غير أن المصريين القدامى قد أضافوا الى علم الطب وممارسته بعض الأمور كالتمسيد ووضع الكمادة على

---

(٧) **عامر النجار** : تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ص ١٦

(٨) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ١٧

(٩) لاتزال هذه الخرافات تجد من يؤمن بها حتى فى الوقت الحاضر ولا يزال الكثيرون يرتدون الأحجبة والتمائم الواقية من الأمراض كأرجل الأرنب وما إليها : **ول ديورانت** : قصة الحضارة ج١ ص ١٣٧

محل الورم ولاسيما إستخدام وصفات نباتية على افتراض ان الروح الشريرة التى تسبب المرض قد لا تطيق رائحة النبتة أو طعمها فتهجر جسد المريض ويشفى .

ومثل هذا الافتراض أدى بهم الى الاعتقاد بأنه كلما كانت الوصفة قذرة أو نادرة الوجود كانت أكثر نفعا فى شفاء المريض[١٠] . فكانوا يضعون دم الفئران وبول الانسان وغائطة حتى براز البراغيث[١١] .

كما كان المصريون القدماء يحاولون طرد الروح الشريرة من جسم المريض بتخويفه بما يلبسونه له من أقنعة مفزعة ، وما يغطون به أجسادهم من جلود الحيوان وبصياحهم وهذيانهم وتصفيقهم بالأيدى والشخشخة بالصفائح وكذلك امتصاص الشيطان – فى تصورهم – من جسم المريض بواسطة أنبوبة مجوفة[١٢] .

لقد كان معظم علماء مصر القديمة – خلال تلك الفترة – من الكهنة ذلك لأنهم بعيدون عن صخب الحياة وضجيجها ، ولأنهم يتمتعون بما فى الهياكل من راحة وطمأنينة فكانوا هم الذين وضعوا أسس العلوم المصرية رغم ما كان فى عقائدهم من خرافات .

وهم يقولون – فى أساطيرهم – أن العلوم قد اخترعها من ١٨ ألف سنة قبل الميلاد «تحوت» إله الحكمة المصرى فى خلال حكمه على ظهر الأرض البالغ ثلاثة ألاف عاما ، وأن أقدم الكتب فى كل علم من العلوم كانت من بين العشرين الف مجلد التى وضعها هذا الإله العالم[١٣] .

---

(١٠) Budge : Book of Medicine p. 7.

(١١) **فيليب حتى** : خمسة آلاف سنة ص ١٨٧

(١٢) **قصة الحضارة** : ول ديورانت ج١ ص ١٤٠

(١٣) Maspero G = Dawn of civilisalion p. 204

الفصل الثانى

الطب المصرى القديم

الطب المصرى القديم

كانت مصر القديمة بالتأكيد مركز الطب والثقافة فى العالم القديم . فقد جاء فى التوراة على لسان موسى – عليه السلام – أنه تلقى كل حكمة المصريين ، كما جاء أيضا فى العهد القديم فى سفر ارميا : «اصعدى الى جلعاد وخذى بلسانا ياعذراء بنت مصر . باطلا تكثرين العقاقير . لارفادة لك»[1] . كما تغنى هوميروس الأغريقى بمصر الزاخرة بالعقاقير ، كما أشاد فى الأوديسا بمهارة الأطباء المصريين واعجابه بأهل مصر بقوله : «إية هيلين يا ابنة زيوس أن فى نبيذهم دواء يذهب الألم والغضب وينسى الأحزان ، دواء مما أعطته بوليد أمنا زوجة ثون امرأة من مصر . حيث تنبت الأرض أعشابا بعضها شاف وبعضها خادع ، بلاد حيث كل رجل فيها طبيب ذو قدرة تفوق قدرة البشر[2] ويقول ديودور الصقلى[3] : ان الحياة فى مصر كانت من النظام حتى ليبدو أن طبيبا أجراها على قواعد الصحة ، أكثر مما أجراها مشروع على سن القانون . وكان ملوك البلاد المجاورة يستعينون بالأطباء المصريين ويحبون أن يحاطوا بأطباء مصريين .

لقد بلغ الطب المصرى أوجه حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م وبذلك برزت شهرة الأطباء المصريين القدامى فملأت أسماع العالم . ومن ثم فقد ذهب ملوك الشرق وأمراؤه الى فراعنة مصر يرجونهم أن يبعثوا اليهم ببعض أطبائهم ليعملوا فى بلاطهم فيروى هيرودوت[4] : أن «سيروس» ملك الفرس عندما مرض بالرمد طلب من الملك أحمس

---

(١) العهد القديم : سفر إرميا : ٤٦ = ١١

(٢) Jonckheere : Les Medecins de l'Egypte Pharaonique 1955, p.29

(٣) ديودور الصقلى :
قام ديودور فى سنة ٥٩ ق.م برحلة سياحية لمصر ولفترة قصيرة ثم ألف كتابه عن التاريخ العام منذ فجر التاريخ حتى يوليوس قيصر على بلاد العال فى سنة ٥٨ ق.م وقد أفرد الجزء الأول منه لتاريخ مصر

Gardiner : A.H = Regnal years and civil calender in Pharaonic Egypt, in JEA 1945 p 5

(٤) ولد هيرودوت أو هيرودوتس الماليكارتاسوس فى مدينة هاليكارتاسوس التى تقع فى الجنوب الغربى من أسيا الصغرى سنة ٤٨٠ ق.م . وكانت زيارته لمصر إبان الحكم الفارسى لها وبعد ثورة إيناروس فى سنة ٤٦٠ ق.م وليس هناك من شك فى أن الحكم الفارسى وانتشار الاغريق فى مصر قد سهلا الزيارة أمامه وسمحا له بحرية التنقل من أقاليم البلاد ومشاهدتها

Gardiner A.E : Egypt of the Pharaohs, Oxford 1964 .

وهيب كامل : هيرودوت فى مصر القاهرة سنة ١٩٤٦ ص ١٩

الثانى[٥] أن يرسل اليه طبيبا يكون من أشهر أطباء مصر[٦] .

وكذلك أيضا العاهل الفارسى الكبير «كورش» [٥٥٨ - ٥٢٩ق.م] كان يحب أن يحاط دائما بنخبة من الأطباء المصريين . فبعث الى فرعون مصر يلتمس منه أن يأخذ أحد أطباء العيون لعلاجه ويضمهم الى بلاطه بفارس[٧] .

وكذلك كان عشاق الطب يحجون الى مصر من كل فج ، ويلجأون الى أطبائهم ويلتمس الأمراء والحكام عندهم البرء والشفاء ففى عهد «أمنحوتب الثانى» كان هناك أمير سورى تصحبه زوجته ويتبعه خدم كثيرون محملون بالهدايا يزورون «بنامون» وهو طبيب فرعون فى طيبة[٨]

هذا ويشير ديودور الصقلى : «ان التعليم انما كان ينتقل من الطبيب الى ابنه شفويا حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه»[٩] وهذه التقاليد العائلية اتسم بها الطب فى بلاد العالم القديم فقد وجدناه عند الأغارقة وفقا على «الاسقلبيادء» سلالة «أسقلبيوس» التى كان ينتمى اليها أبقراط [٤٦٠ - ٣٧٠ق.ك] وجالينوس [١٣٠ق.م - ٢٠٠م] . ومما هو جدير بالذكر أن أبقراط قد فرض على الأطباء قسما يؤثر مثل هذا الكتمان .

وقد أستمر الأطباء يتبعون هذا التقليد حتى بعد المسيحية . ولكن عندما أباح أحمس الثانى [أمازيس] للأجانب دخول مصر حضر اليها عدد كبير من الاغريق ليتلقوا منها العلم ، وكان من بينهم عباقرة عصرهم من أمثال «أفلاطون» [٤٢٧ - ٣٤٧ق.م] و«أبقراط» غير أنه من المشكوك فيه جدا أن يكون الكهنة قد ائتمنوهم على علومهم السرية[١٠] .

كان الأطباء فى مصر الفرعونية يتمتعون بمكانة ممتازة ومركز مرموق فى المجتمع

---

(٥) **أحمس الثانى** : [٥٧٠ - ٥٢٧ ق.م] هو أمازيس عند الاغريق حكم ٤٤ سنة وهو ضمن الأسرة ٢٦ . لقد أحبه اليونان حتى أطلقوا عليه لقب محب اليونان **Philleline**

Spencer : L = Myths, and Legends of Ancient Egypt, 1949, p 196

(٦) **Herodotus**, II, ch. 84 III ch 1.

(٧) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة ح١ ص ٣٨

عامر النجار : تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ١٦

(٨) تظهر لوجه تحمل منظرا يظهر فيه الأمير السورى جالسا وهو يمد يده ليتناول دواء سكبه له الطبيب المصرى فى كأس من زجاج تحملها وذلك فى كتاب .

Sigerist : H.E : A History of Medicine Vol I, Oxford1951 Fig 87 .

(٩) **Bouillet** : La Medecine p.10

(١٠) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة ح٤ ص ٤٠٠

المصرى القديم ، وكان الأهالى ينظرون اليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام . وأكبر دليل على ذلك هو أن التاريخ ينسب الى ملوكهم هذه الصناعة والبراعة فيها ، ويستخرجون أسرارها من الأرباب . فقد لقب الملك[١١] زوسر باسم[١٢] «سا» الشافى الإلهى . كما روى المؤرخ المصرى «مانيتو» أيضا أن الملك «أتوثيس»[١٣] ابن الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى قد ألف كتابا فى التشريح . وكذلك حقق الملك أوزيفايوس [حوالى ٣١٠٠ ق.م] تقدما كبيرا فى علم التشريح .

وكذلك الملك «نفر إر كارع»[١٤] وهو ثالث الفراعنة من الأسرة الخامسة كان على علم كبير بفن الطب .

روى أن أباه الوزير «واشتباح» دهمه الموت فجأة وهو يمشى بجوار الفرعون فى حفل افتتاح احدى المنشآت الملكية وأن الفرعون حاول إسعافه واستعان فى ذلك بمخطوطاته الطبية الطبية الخاصة وعقاقيره ولكنه فشل .

وكان فى ذلك ما فيه من الأدلة على معرفة الملك ببعض مبادىء الطب أو التطبيب .

لقد تأثر الطب المصرى القديم فى مرحلة ازدهاره بشتى الآلهة الذين كانت لهم رؤوس الطير والحيوان .

فقد كان الاله «تحوت» اله الحكمة الذى له رأس طائر مؤلفا لكثير من كتب الطب واليه

---

(١١) زوسر : بدأ الحكم فى الأسرة الثالثة بولاية فرعون ذكرته نصوص عهده باسم «نترحت» . وهو اسم يقرأ بمترادفات ومعان كثيرة . ثم اشتهر باسم جسر أو زوسر ربما يعنى المقدس .

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ص ٩٦

(١٢) **Castiglioni : A : Histoire de la Medicine Trad. J. Bertrand, et E. Gidon. Paris 1931 p 61**

(١٣) الملك أتوثيس هو الملك جر . هذا هو الحاكم الثانى الذى ذكره مانيتو . حكم سبعة وخمسين عاما وجر من المحتمل أن يكون ترجمته بمعنى الواقى أو القاطع

Weil. E = Recherches sur la 1 : Dynastiet les Temps Pharaoniques, II, Le Caire 1961 p. 159

(١٤) توفى نفر إركارع [كاكاى] بعد حكم دام عشر سنوات على رأى واثنتى عشر عاما على رأى أخر . وقد بدأ هذا الملك بتشييد هرم له أكبر من هرم أخيه [وسر كاف] ولكنه مات قبل أن يتمه .

Edwards : J.E.S = The Pyramids of Egypt Penguin Books 1965 p 185

محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ٣٤٧

أحمد فخرى : الأهرامات المصرية القاهرة سنة ١٩٦٣ ص ٢٥٣

يعود الفضل فى اكتشاف الحقن الشرجية وكان الاله «سخمت»[١٥] صاحب رأس الأسد يعنى شئون الحمل والميلاد . وكان حور (حورس عند الاغريق) اله الصحة يحارب الاله «ست»[١٦] صاحب رأس الحمار الذى يوصل الأوبئة والطواعين . فقد «حور» إحدى عينيه ولكنها ردت إليه بمعجزة وعلى صورة هذه العين صممت إحدى التمائم ، وقيل أن من هذه التميمة أشتق الرمز اذى يبدأ به الأطباء وصفاتهم الطبية إلى الآن ، والذى كان يعبر عن الخطر فى لغة المصريين[١٧] . فقد كان الاله «توت» تصير الأطباء ، وكانت الاله «ايزيس»[١٨] يتضرع اليها لشفاء الأمراض المستعصية .

وعلى الرغم من تأثر المصريين القدماء الشدسد بالألهة الا أن الآلهة نفسها لم تكن محصنة ضد المرض .

فان الالهة «ايزيس» شكت من خراج فى الثدى بعد الولادة كما ان الاله رع[١٩] لدغه ثعبان فى مؤخرة قدمه وشفته ايزيس وأيضا أصيب حورس بالدوسنتاريا .

أما الموت فقد رأوه كظاهرة تتبع الحياة حتما ولا تختلف عنها من حيث الجوهر ، وانما هى احدى حلقاتها فى عالم آخر ، يقوم فى اثنائها الميت بتأدية كل الأعمال التى كان يقوم بها فى حياته الأولى ، بل قد يأتى نساءه وينجب منهن أطفالا كما أنجب أوزريس طفلا من أيزيس بعد موته[٢٠] .

وقد كان للمصريين ولع كبير بالألقاب الضخمة . فقد وجدت توابيت لبعض كبار

---

(١٥) سخمت : الآلهة سخمت ارتبطت بالاله بتاح . ولعل اسمها فى اشتقاقه اللغوى من كلمة «سخم» بمعنى قوى وشديد البأس ، انما يدل على مجموعة صفاتها . فكانت الهة حرب من الدرجة الأولى تصاحب الملك فى غزواته فتنشر الرعب فى قلوب أعدائه . وكانت تصور عادة كامرأة لها رأس لبؤة وترتدى قرص الشمس والحية يومى مهران جـ٥ ص ٣٤٨

(١٦) ارتفع شأن الاله ست فى بعض عصور التاريخ المصرى .كان فى أول الأمر هذا المعبود المحلى لمدينة أميص ، ثم أصبح اله المملكة الجنوبية ثم دخل ضمن ألهة التاسوع الاكبر لفيف الشمس . ثم استقرت عبادته فى شرق الدلتا ثم تخطى الحدود المصرية وصار حاميا للبلاد الخاصة لمصر فى أسيا : زكى شنوده جـ٣ ص ٥٥ سنة ١٩٦٦

(١٧) Castiglioni : Histoire de la Medecine, p 51

(١٨) ان عبادة ايزيس كانت قد امتدت الى أيام الامبراطورية الرومانية وشملت العالم الغربى كله ، وكانت تظهر على شكل سيدة جالسة وأحيانا تحمل ابنها حورس على ذراعيها د.فهمى أبادير : تاريخ الطب عند العرب .

(١٩) الاله رع كان يسميه أهل الجنوب : آمون

ول ديورانت : قصة الحضارة جـ٢ ص ١٦٠

(٢٠) Rivers : W.H.R = Medicine, Magic and Religion London 1924, p 40.

الكهنة تحمل مثل هذه الألقاب : «راعى أسرار الصحة فى هيكل الاله «تحوت» ومدير قصر التبخير الصحى بهيكل الاله «تحوت» ورئيس مكتب ضبط موازين الدواء»[٢١] .

الأمـــــراض

لم يكن فى مصر القديمة عملات مالية أو نقود كما هو الحال الآن . فالتعامل المالى كان بطريق المبادلة أو نظير خدمة . فكانت مكافآت أطباء السراى الملكية تصرف لهم من خزينة القصر وكانوا يعطون الهدايا كل حسب درجته ورضى فرعون عنه وشأنهم فى ذلك شأن كل موظفى السراى ، ولا يبعد أن تكون حالة أطباء قصور الأمراء شبيهه بذلك أيضا . ولما كان هؤلاء الأطباء يعدون من الحاشية ، فقد كانوا يمنحون السكن والغذاء وأحيانا الهدايا فى ظروف خاصة ويقال أن من جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقتطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه تعليمه الطبى ، وقد جمع بعضهم ثروات طائلة[٢٢] وكان يعالج المرضى بالمجان خلال الحروب وأثناء السفر .

ولكن كانت هناك بعض الأقوال الطريفة منها : أن الطبيب كان يحلق شعر مريضه قبل بدء العلاج ثم يعيد حلقه بعد الشفاء وهنا يقدر أتعابه على أساس وزن الشعر[٢٣] .

لقد ثبت من أوراق البردى أن «طبيب التخصص» كان قائما فعلا الى جوار «الطب العام» وان تخصص الأطباء المصريين فى أنواع الأمراض المختلفة كان موجودا يوم ولد التاريخ . فقد وصف هيرودوت – أبو التاريخ – مصر القديمة بأنها بلد التخصص فى الأطباء . فقد جاء فى الفقرة «٨٤ من كتابه الثانى» ما يأتى : «وفن الطب موزع بينهم (أى بين المصريين) توزيعا مبنيا على الحكمة . حتى أن كل طبيب لا يتعاطى الا فرعا واحد من فروع الطب لا أكثر . والأطباء هناك كثيرون جدا . فمنهم للعيون ومنهم للرأس ومنهم للأسنان (مثل هاوى Hawi) ومنهم لأمراض البطن (مثل إيرى Iry) وما يجاوره من الأعضاء ومنهم للأمراض الداخلية ومنهم فى أمراض النساء[٢٤] .

وكما كان التخصص فى الأمراض فقد كان لكل مكان متخصصون فقد كان هناك

---

(٢١) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٥

(٢٢) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين ص ٥٧

(٢٣) Bouillet : La Medecine p.10

(٢٤) Herodutus, III she 84

د. حسن كمال : الطب المصرى القديم ص ٨٨

أطباء خاصة بالقصور الملكية . ففى حوالى سنة ١٥٠٠ق.م وجد نقش يدل على تواجد طبيب شهير بالقصر الفرعونى . وقد دلت النصوص الواردة على لوحة قبره أنه لم يكن طبيب السراى فقط بل كان رئيسا لأطباء السراى . وهذا يعنى أنه كانت هناك طائفة من الأطباء يخدمون فى السراى وكان كبيرهم هو الطبيب «ايرى» الذى كان متخصصا فى عدة أفرع . فقد كان طبيب العيون كما كان طبيب البطن فى السراى[٢٥] .

وكانت هناك أيضا مصلحة حكومية خاصة بأطباء السراى بل وبالأطباء عامة . وكان الأطباء مقسمين الى درجات بما يتمشى مع كادر المواطنين أو كادر الكهنة . فقد كانت هناك أربع درجات هى ١ - الطبيب العام غير المتخصص فى فرع من فروع الطب . ٢ - كبير الأطباء . ٣ - مفتش الأطباء . ٤ - رئيس الأطباء

ولقد ورد ذكر الطبيب الكبير بين أطباء السراى كما ورد أن هناك وظيفة هى الرئيس الأعلى لأطباء الوجه البحرى والقبلى . وكان الذى يعيش فى السراى هو أنبغ الأطباء وكان هؤلاء يجزل لهم العطاء . وكان الأمل الأكبر للطبيب هو أن يضيف الى ألقابه لقب «طبيب السراى»[٢٦] .

هذا بالاضافة الى مجموعة من الأطباء قد ألحقت بالمعابد وهؤلاء على الأرجح كانوا القائمين بعلاج الجمهور .

أما غير الاخصائيين منهم فقد ترك لهم جمع الفتات بعد هؤلاء . فكانوا يقومون بعلاج المرضى الفقراء بالاضافة الى تحضير بعض العقاقير مثل دهانات الوجه وصبغات الشعر وتجميل الجلد وأعضاء الجسم ومبيدات للحشرات[٢٧]

وقد كان الطبيب المتخصص يبدأ علاجه عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا وهو ما يسمى «بالحوار» ثم تأتى بعد ذلك عملية الفحص التى يقوم فيها الطبيب بفحص المريض فحصا دقيقا شاملا يبدأ بالوجه فيلاحظ الفاحص لونه وافرازات أنفه وجفنيه وعينيه وهى تسمى أيضا بعملية «المناظرة». وفى المرحلة الثالثة تأتى عملية «الجس» فقد اهتم أطباء القدماء المصريين فى فحوصهم بجس النبض وتقدير حرارة الجسم وفحص البطن وفحص البراز والبول وفى المرحلة الرابعة وهى الأخيرة وهى التى تسمى عملية «القرع»

---

(٢٥) **Sigerist** = H.E = History of Medicine p.320

(٢٦) **Jonckheere** : Les Medecins de l'Egypt Pharaonique p 24

(٢٧) **Erman** : A = Life in Ancient Egypt p. 362

والمقصود بها القرع على بعض مناطق من الجسم كالصدر والبطن والرأس ويعتمدون فى هذه الحالة على صدور صدى مختلف الرنين[٢٨] ان تراث المصريين القدماء الذى بين ايدينا من كتب وما ضمته من معرفة بالأمراض وتشخيصها والقيام بعلاجها ، وكذلك أدوات الجراحة وطرق استعمالها واستخدامها ، إنما يدل على تقدم المصريين فى هذا الفن .

ولقد توصل قدماء المصريين الى تشخيص كثير من الامراض حتى لقد بلغ ما وصفوه منها حوالى ٢٥٠ مرضا .

قال هيرودوت : ان المصريين انفردوا بالتحنيط ونجحوا فيه[٢٩] . وأنهم عرفوا الطب معرفة جيدة . وقال أنهم اتبعوا فى علاجهم طرقا وقوانين عاقبوا بها كل من خالفهم .

لقد مارس أجدادنا الطب طويلا ، وبذلوا من أجله الكثير فقد استعملوا المراهم والأدهنة والحبوب والاستنشاق والحقن الشرجية .

وقد كان الاعتقاد أن الطب المصرى أقرب الى السحر منه الى العلم فلما فحصت القراطيس الطبية فحصا دقيقا ظهر أن نصوصها علمية الى أقصى حدود العلم . فقد ظهر أن الطب كان يمارس بنظام وعناية وقد اعتبر المصريون القدماء أن القلب مركز للأوعية وقالوا : إن الأوعية منتشرة فى جميع أجزاء الجسم[٣٠] .

وكان أهم مجالات الطب والأمراض عند قدماء المصريين :

١ - الجراحة :

لقد تقدم المصريون فى الجراحة تقدما لم يسبقهم فيه سابق فقد وجدت على جدران هيكل «كوم أمبو» الذى يرجع تاريخه الى القرن الثالث ق.م رسوم عديدة لأدوات طبية يستدل منها على أن الجراحة فى ذلك الوقت كانت نامية فى التقدم[٣١] . لقد كانت الجراحة موضع عناية المصريين القدماء . اذ ثبت من البحث فى جثث قدماء المصريين

---

(٢٨) د. حسن كمال : الطب المصرى القديم ص ٢٤٣

(٢٩) Herodutus = II ch : 84

(٣٠) Erman = A = Life in Ancient Egypt p 357

(٣١) شوكت الشطى : تاريخ الطب وطبقات الأطباء . دمشق سنة ١٩٥٩ ص ٩

وآثارهم أن أطباءهم كانوا يمارسون فن الجراحة بمهارة فكانت تتم على أيدى كهنة الألهة «سخمت» المتخصصين وذلك من جراحة كبرى وجراحة صغرى . وكان الطبيب فى ذلك الوقت لا يستعمل آلات الجراحة الا فى الأحوال التى تتطلب ذلك .

٢ - التخدير :

قال ديوسفوريدس ان من براعة المصريين فى تخدير الجروح أنهم كانوا يصنعون مادة من الرخام المصرى أو من حجر معروف «بحجر ممفيس» يمزجونه بعد سحقه بالخل ويوضع على الجرح فلا يشعر المريض بألم لا من البتر ولا من الكى. هذا المزيج مطبق على أساس علمى صحيح اذ أن الرخام أو الحجر المسحوق يتفاعل مع الخل (الذى هو حامض الاسيتيك منتجا حامض الكربونيك Acid Carbonique الذى له تأثير المخدر على الجلد ..)

وكان التخدير يتم قبل اجراء الجراحة ثم تخاط الجروح[٣٢] .

٣ - الصداع :

وصف المصريون القدماء الصداع «صداع نصف الرأس» لأول مرة فى التاريخ فى ورقة بردى مصرية محفوظة فى لندن وأخذها عنهم اليونان بنفس الإسم ثم أخذتها أيضا أوربا بنفس الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على هذا المرض .

وكان الصداع النصفى باللغة الأوربية يطلق عليه كلمة Migraine التى ترجمتها بالعربية «وجع نصف الرأس» مترجمة أيضا من مصر . فقد وردت فى ورقة بردى وهذه هى الترجمة الحرفية بالضبط للكلمة اليونانية

Hemi - Kranía — من Hemi ومعناها «نصف» Kranion معناها «رأس»

ومنها أقتبست الكلمة الفرنسية Migraine[٣٣]

التربنـــة :

كان لقدماء المصريين خبرة تامة بهذا الفن من الجراحة . فتوصلوا بذكائهم الى صناعة ثقب فى عظام الرأس للأحياء . وكانوا يزاولون عملية التربنة فى العصور السابقة على التاريخ . وقد وجدت ثلاث جماجم من العصر الفرعونى بها ثقوب مستديرة ذوات

---

(٣٢) **الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٥١

(٣٣) نجيب رياض الطب المصرى القديم ص ٧٧

حواف ملساء يحتمل أن تكون نتيجة لهذه العمليات[٣٤] والتى تتوفر فيها جميع شروط العملية وكان المصاب يفحص بدقة خوفا من الوقوع فى الخطأ . أما أدوات الجراحة فكانت محدودة للغاية وهى عبارة عن سكين مصنوعة أولا من الحجر وذلك فى العصور البدائية السحيقة فى القدم ثم بعد ذلك تطورت الى البرونز والحديد[٣٥] .

كما استعملوا بعد ذلك أنواعا من المشارط المختلفة وأنواعا من الكلبسات وآلات الكى وكان لكل منها استعمالها الخاص وفى مرحلة معينة من العملية لا تتعداه الى غيرها . ولقد عثر علماء الآثار على آلات جراحية عديدة وبديعة الصنع منها ما وجده «Comret» فى مقابر طيبة ويرجع تاريخها الى حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م .

أمراض النساء :

لقد اهتم المصريون القدماء اهتماما كبيرا بأمراض النساء لذلك نجد أن هذا الموضوع قد احتل جزءا كبيرا من بردية «ايبرز» الطبية وعددا آخر من الصفحات فى برديات كاهون وبرلين ولندن . لقد كان الزواج المبكر عند المصريون القدماء يمثل جزءا كبيرا فى حياتهم فكانت الفتاة تتزوج من سن ١٢ أو ١٣ عاما والرجل لا يزيد عمره عن ١٥ أو ١٦ عامًا . وكانوا لا يمنعون زواج الأقارب بل أنهم توسعوا فيه فلابد أنها كانت عاده قديمة جدا وذلك لأن ايزيس تزوجت شقيقها أزوريس ونفتيس تزوجت شقيقها ست[٣٦] . لقد كان الزواج بين الأخ وأخته شائعا بين الفراعنة . أما زواج الأب من ابنته أو الأم من ابنها فكان قليلا . جاء بالديانة اليهودية أن المعبود «كب» وهو الأرض تزوج من «نوت» وهى السماء وأنجبا ذكرين هما «أوزريس» و«ست» وأنثيين هما «ايزيس ونفتيس» . تزوج اوزوريس من أخته «ايزيس» ، كما تزوج ست من أخته نفتيس[٣٧] . وقد أباح المصريون القدماء للرجل أن يتزوج بأخته من أمه فقط وحرموا الزواج بالأخت الشقيقة أو الأخت لأب ، وذلك خاصة فى العائلات الملكية حرصا منهم على نظام الوراثة .

أما بالنسبة للانجاب فكانوا يعرفون طرقا كثيرة للتأكد من خصوبة المرأة وكذلك

---

(٣٤) **نجيب رياض** : الطب المصرى القديم ص ٨٧

(٣٥) **شوكت الشطى** : تاريخ الطب ص ٩

(٣٦) **Castiglioni** : Histoire de la Medicine p. 52

(٣٧) **Sigerist** : A History of Medicine Vol I p.239

عقمها وكذلك معرفة نوع الجنين . وهذه الطرق أشبه مايكون بالسحر كما أن بعضها قد يكون له أساس علمى .

فمثلا كان الأطباء يوصون فى تشخيصهم للحمل بوضع بول المرأة الحبلى على مقدار من القمح ، وأخر على مقدار من الشعير . فان نبت القمح كان الجنين ذكرا وان نبت الشعير كان الجنين أنثى وان لم ينبت أيهما كان ذلك دليلا على عدم وجود حمل .

كما تناول البردى الطبى «ايبرز» موضوع الولادة وذكر نظاما يشبه نظام المولدات أو القابلات فى يومنا هذا . وقد سميت هؤلاء المولدات «أمهات ربانية» لما اشتهرن به من أستقامة وتقوى لازمة لعملهن الذى تلقينه من المعبودة «نبت» فى صاالحجر[٣٩] .

وكانت النساء أثناء عملية الوضع يجلسن إما فى وضع ثنى الركبتين وإما القرفصاء مع وضع اليدين على الفخذين . ويبدو ذلك واضحا فى نقش بالمتحف المصرى حيث تجلس الوالده على ركبتها واضعة يديها عليها وتساعدها على كلا جانبيها الآلهة حتحور[٤٠] .

وبعد الولادة كانت الأم المصرية حريصة الى أبعد الحدود على ارضاع طفلها . فالرضاعة الطبيعية تمثل الشىء الحيوى الذى يجب الحرص عليه لضمان سلامة كل طفل . وكان الطفل المصرى القديم يفطم وعمره ثلاث سنوات وذلك وفقا لنصائح الحكيم «آنى» ففى احدى نصائحه فى فضل الأم ومحبتها يقول لولده : ضاعف كمية الخبز لأمك واحتملها كما احتملتك عندما ولدتك بعد شهور من حملك ، استمرت تحملك حول عنقها ، ثم أعطتك ثديها سنوات ثلاث[٤١] وكانت فترة الرضاعة الطبيعية تستمر طوال

---

(٣٨) د. حسن كمال الطب المصرى القديم جـ١ ص ١٧٥

(٣٩) ترجع عبادة «بنت» الهة الصعيد القديمة الى عصر ما قبل الأسرات هذا وقد اتخذت من العصور المبكرة لقب الالهة الكبيرة وأم الآلهة .

بيومى مهران جـ٥ ص ٣٤١ .

(٤٠) **حتحور** : حوت حور = مكان أو بيت حور . لقد حازت شهرة واسعة منذ عصور ماقبل الأسرات وفى عصر التأسيس كالهة السماء . ويظن أن حتحور قد أرضعت الفرعون ، كما أرضعت إمام ملوك الدنيا حور

بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة جـ٥ ص ٣٤٠ .

(٤١) ترجع هذه النصائح الموجهة من الحكيم : «آنى» الى ولده «خونسوحتب» الى عهد الأسرة الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين

أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى ص ٤٣٥

ثلاث سنوات وكان ذلك يرجع الى أسباب اقتصادية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكون الرضاعة سببا قويا فى منع الحمل ويمنع الأم بطريقة طبيعية من الإنجاب كل عام[٤٢] .

اما عن الاجهاض فكان محرما فى مصر الفرعونية ، كما أن تحديد النسل كان معاقبا عليه ، الا أن هناك وصفات لمنع الحمل لمدة ولكن محدودة ومقصورة على بعض الفئات العليلة ومما هو جدير بالذكر أن المصريين القدماء قد بلغوا شأنا عظيما فى عدالة قوانينهم فكانوا لا ينفذون حكما فى حامل حتى تلد لكيلا يأخذوا المولود البرىء بذنب أمه التى اقترفت إثما .

طب الأسنان :

كتب هيرودوت أنه كان يوجد بمصر القديمة أخصائيون للأسنان وكانوا على درجة مختلفة ، وكان منهم الطبيب «منقورع عنخ» وكان هؤلاء الأطباء يعالجون مختلف أمراض الأسنان مثل التسوس . فعلى الرغم من أنه كان نادرا الا أن الخراجات كانت منتشرة . ومما يدل على قدرة قدماء المصريين الفائقة فى طب الاسنان أنه قد ظهر لنا جمال أسنان الموميات التى تركوها ولا سيما أسنان رمسيس الثانى الذى مات مسنا بالغا من العمر مائة سنة وكان يحتفظ بأسنانه كلها[٤٣] .

كما عثر أيضا على سنتين مربوطتين سويا بسلك ذهب دقيق مما يدل على أن الطبيب المصرى القديم قد أراد بذلك احكام ربط سنة غير ثابتة فى سنة أخرى ثابتة بجوارها ، أو كان القصد غير ذلك هو القيام بعملية تقويم للاسنان كما يتم فى يومنا هذا بربط الأسنان بعضها ببعض بسلك رفيع لكى تأخذ كل سنة مكانها الطبيعى .

والأعجب من هذا هو ما عثر عليه وهو سنة صناعية فى مومياء وكانت هذه السنة محملة على قاعدة خشبية صغيرة فوق جذر سنة موجودة فى مكانها . فلقد ابتكر المصريون القدماء من تركيب الأسنان الصناعية بدلا من الاسنان الطبيعية التى فسدت أو سقطت .. ومما يدل على عظمة قدماء المصريين فى هذا المضمار أنه فى الوقت الذى برعت فيه مصر فى تركيب الاسنان وإصلاحها كان أطباء اليونان لا يعرفون الا خلع الاسنان فقط . كان المصريون القدماء يعانون من آلام الأسنان فى أيام الرخاء التى يكثر فيها أكل الأطعمة الرخوة التى تحتاج الى مضغ شديد ففى ذلك العهد عرفوا حشو

(٤٢) Sigerist : H.E = A History of Medicine. Vol I p 243

(٤٣) Smith : G, E & Dawson : W = Egyptian Mummie London 1924, p 219

الأسنان فيقومون بحشوها بخليط من الملاخيت والصمغ كما كانوا يقومون أيضا بتتويجها بالذهب وهو ما يعرف عندنا اليوم «بالطربوش»[٤٤] .

وقد وجدت فى مقبرة من الاسرة الرابعة [٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ق.م] فك سفلى أجريت فيه عملية تصريف الافرازات من خراج تحت الضرس الطاحن الاول ، كما وجدت أيضا بعض الاسنان الذهبية .

وكان لطب الاسنان عند المصريين القدماء الهة تدعى «أبولونيا» وهى أبنة قاضى مصرى .

طب العيون :

اشتهر المصريون القدماء بالبراعة فى علاج العيون وزاد اهتمامهم به بسبب انتشار أمراض العيون فى وادى النيل وقد وصفوا هذه الأمراض فى بردية برلين وبردية لندن وخصوصا فى كتاب العيون الموجود فى بردية ايبرز .

وقد اشتمل كتاب العيون هذا على وصف اكثر من ٦٠ حالة تتضمن إحصاء لامراض العيون وطرق تشخيصها وعلاجها من أنواعها : التهاب الملتحمة والتهاب الجفون وغيرها .. لقد كان المصريون القدماء على علم تام بما لايقل عن ٢٠ مرضا تخص العيون منها التدميع ، والسحابة والرمد الحبيبى .

وقد جاء فى بردية «ايبرز» ذكر لهذه الأمراض وتركيب الدواء اللازم لعلاجها[٤٥] .

وكان المصريون القدماء مشهورين باستعمال الكحل وكذلك المراهم فى علاج أمراض العيون بشرط أن تكون هذه الأشياء مصنوعة من المواد النباتية والمعدنية . وكانوا يستعملون نوعين من الكحل أحدهما الأخضر والثانى أسود . وكان النوع الأول يصنع عادة من الملاخيت (كربونات النحاس) والثانى من الجالينا (كبريتات الرصاص)[٤٦] .

وقد وجدت من الأسرة الثانية عشرة صناديق خشبية مقسمة من الداخل الى أقسام بها أنواع من الكحل والعطور والمراود التى تستخدمها السيدات فى زينتهن .

وقد ذاعت شهرة قدماء المصريين فى طب العيون لدى جميع الملوك وقد ذكر

---

(٤٤) جوزيف جارلند : قصة الطب : ص ٢٥

(٤٥) Sigerist : History of Medicine, Vol I p. 334

(٤٦) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ١١٦

هيرودوت أن قورش[٤٧] – ملك الفرس – احتاج فى وقت من الأوقات الى أطباء مهرة لعلاج عينيه فلم يجد فى مملكته ولا فيما يجاورها من يثق بهم ، فانتدب طبيبا خاصا من مصر . وبعد أن تم له الشفاء على يديه كلفه أن يعلم فنه لأطباء الفرس فاستجاب لطلبه .

ولم تذكر اللفائف الطبية شيئا عن جراحة العيون ، ومع ذلك فقد كان هناك تميز واضح بين علاج العين الظاهر وعلاجها من الداخل ، والأخير كان يجرى بواسطة ريشة نسر استعملت كقطارة . وتعد هذه أول قطارة عرفت فى التاريخ[٤٨] وقد كان الطب وقتئذ يعد نوعا من العبادة فاعتبرت عين «حورس» المسماه «واجات» ذات أثر روحانى فحملها الكثير حجابا . وفى سنة ١٩٣٧ أختيرت هذه العين رمزا لمؤتمر العيون الذى عقد فى القاهرة لأن عين حوريس تمثل العين السليمة ومن ثم أستعملت حجابا للمحافظة على جودة نظر صاحبها وقد صنع المصريون القدماء العيون الصناعية لوضعها مكان العيون الطبيعية فى الموميات ، وفى الغطاء المقوى الموضوع على وجوه الموميات وفى التوابيت والتماثيل وقد عثر على هذه العيون فى عهد ما قبل الأسرات وبعضها معروض بدار متحف القاهرة .

التحنيط :

يعتبر التحنيط من أبرع الفنون التى اشتهر بها قدماء المصريين وتعتبر مصر صاحبة الفضل الأول فيه ثم أخذته عنها بعض الدول الأخرى . وكانت النظرية التى اعتمدوا عليها فى التحنيط هى تجفيف الجسم حتى لا تتمكن بكتريا «العفن» من أن تعيش على أنسجته ، ثم سد مسام الجسم بمواد عازلة حتى لا تتمكن الرطوبة من أن تنفذ الى أنسجته مرة أخرى فيتعفن من جديد .

وككل فن جديد بدأ التحنيط عند المصريين بسيطا ثم تطور وتقدم على مر الزمن حتى بلغ درجة عظيمة من الكمال . وقد عثر على أول تحنيط ناجح منذ عهد الأسرة الثالثة [٣٠٠٠ ق.م] للملك زوسر صاحب الهرم المدرج بسقارة[٤٩] . وقد بلغ فن

---

(٤٧) **Herodutrs, II** :p 301

(٤٨) **Budge** : Book of Medicine p 12

Folicart = M. L = La Medecine dans l'ancienne Egypt 1e Janvier 1935, p 25

(٤٩) **زكى اسكندر** = التحنيط فى مصر القديمة القاص سنة ١٩٧٣ ص ١٠

Edwards = J.E.S = The Pyramids of Egypt. Penguin Books 1965, p 48

التحنيط شأوا عظيما من الدقة والاتقان فى عصر الأسرة الحادية والعشرين [١٠٠٠ ق.م] . وقد ساعدتهم ممارسة التحنيط على اكتشاف محتويات الجسم ودراسة أعضائه دراسة دقيقة وعميقة فتفوقوا فى هذا الميدان على غيرهم من الشعوب التى كانت تحرق الجثث أو تدفنها بغير تحنيط .

ومما هو جدير بالذكر أن الطب عند قدماء المصريين يتصل بعملية التحنيط ولو أنها كانت أقرب لديهم الى الطقس الدينى منها الى عمل الطبيب . فكانوا يسمون المكان الذى تجرى فيه «دار الإله الظاهرة» وكان اجراؤها يستمر سبعين يوما لا يفتأ الكهنة أثناءها يرددون الصلوات ويشرفون على ما تقتضيه من مراسم وطقوس[٥٠] .

ومن الناحية الطبية كانت عملية التحنيط عملية دقيقة معقدة وتحتاج الى قدر كبير من المهارة والصبر . فكانوا يستخدمون فى ممارستها عددا كبيرا من المواد المعدنية والعضوية والنباتية ومن ثم كانت كثيرة التكاليف .

وكان سر التحنيط من أروع الأسرار التى اكتشفها قدماء المصريين ومن أسطع البراهين على امتيازهم وتفوقهم فى العلوم الطبية عامة ويكفيهم شرفا فى هذا المجال أنهم وضعوا الأسس التى أقام عليها أبقراط ومن تلاه مبادىء الطب الحديث .

النبض والشرايين :

نتيجة الدراسة المستفيضة لعلم التشريح ودراستهم لأدق أسرار جسد الانسان فقد عرف المصريون القدماء النبض وكانوا يقولون أن القلب يتكلم عن طريق الشرايين وكانوا يعرفون مواضعه المختلفة فى الجسم وكيفية جسه كما جاء ذلك فى بردية أدوين سميث[٥١] .

ومما هو جدير بالذكر أن «أبقراط» الذى جاء بعد بردية «سميث» بحوالى الف عام كان يجهل النبض . وان كان هيروفيلوس – الذى عاش فى الاسكندرية فى القرن الثالث ق.م – أستطاع أن يعد النبض وأستخدم فى قياسه ساعة مائية وجدت نماذج منها منذ عصر تحتمس الثالث (الأسرة ١٨) ومنفتاح (الأسرة ١٩)

وقد كان المصريون القدماء يعرفون الشرايين ومواقع النبض المختلفة فى الجسم وكيفية

---

(٥٠) **Jonckheere** = Les Medecins de l'Egypte pharaonique p 192

(٥١) **Smith** : G.E = Egyptian Mummies London 1924, P. 168

جسه وعده ، ويجعلون لذلك اعتبارا كبيرا فى تشخيص[٥٢] المرض . وكانوا يعتمدون فى الكشف على المريض فوق ذلك على الخبرة ودقة الملاحظة[٥٣] وكانوا يعتقدون أن الشرايين ماهى الا أنابيب يمر فيها الهواء ، وأن القلب هو أعظم الأعضاء وأن الشرايين الخارجة منه تصل الى كل أعضاء الجسم ، ويبدو أنهم كانوا يظنون أن كل الأعراض المعلومة لهم كانت بسبب عيب فى واحد أو أكثر من هذه الشرايين[٥٤] .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان يقام لتحنيط احتفالات عظيمة ويتولى ذلك الأطباء الذين هم من الكهنة[٥٥] .

التشريح :

عرف المصريون القدماء الكثير من أسرار الجسم البشرى عن طريق أخر غير التحنيط ألا وهو تشريح الحيوانات.لقد عرفوا التشريح لكثرة ما مارسوا من تحنيط أجساد الانسان والحيوان الذى أتاح لهم الاطلاع على أدق الأسرار فى بنية الأجساد . وقد أكسبهم هذا خبرة بنوا عليها معارفهم الطبية وجعلهم يومئذ أبرع أطباء العالم[٥٦] .

ولقد بدأ المصريون القدماء علم التشريح بداية طيبة .. بدأوه فى أجسام الحيوانات التى قدموها للقرابين والتى قدسوها وحنطوها وأكلوها .

تجبير الأعضاء والكسور :

اشتهر المصريون أيضا فى فن تجبير الأعضاء بنفس الطرق العلمية الصحيحة التى تقوم بعملها الآن فى المستشفيات الحديثة وكان لهم فى أساليبه براعة تدل عليها المشاهدات الدقيقة التى عثر على أثارها فى الجثث المحنطة التى أصيبت أصحابها بكسور فى حياتهم ، وعولجت وجبرت بمعرفة أولئك الماهرين حتى عادت فى الطول والعرض يمثل ماكانت عليه قبل الكسر .

وقد وجدت فى احدى المقابر جثة امرأة مكسورة الكفين كانت قد سقطت من مرتفع وشوهد بها قطع الخشب المسماه عرقا (جبائر) لاصقة بالكف ومحاطة بلفائف محكمة مما يشهد بدقة العلاج[٥٧] .

---

(٥٢) Reginald A = Coup d'œil sur la Medecine Egyptienne, 1928 p 32

(٥٣) جوزيف جارلند = قصة الطب ص ٢٥

(٥٤) Budge : Book of Medicine p 3

(٥٥) Bouillet : La Medecine p 6

(٥٦) Budge : Book of Medicine p 9

(٥٧) نجيب رياض : الطب المصرى القديم ص ٨٠

كما وجدت أيضا عند فحص الجثث آثار التجبير الصحيح فى عظام الأيدى والأرجل والكتف والفخذ والضلوع ولكن لم يعثر على أثار تدل على تجبيرات فى الركبة .

أما بخصوص الكسور فقد وجدت لها أثار غدة فى الجثث وذلك لأن العظام لا تحلل . وكان أبشع مثال لتلك الكسور ما أصاب جمجمة «سقنزع» – أول من نادى بالجهاد ضد الهكسوس – من الكسور والسهام التى أسقطته فى الميدان .

كانت حالات الكسر فى عظمة الفخذ كثيرة . وكانت تشفى تاركة تضخما حول محل الالتئام وقصرا فى العظم ..

أما كسر الأنف فكان يعالج بادخال لفائف صغيرة من الكتان داخل فتحات الأنف لحفظ شكله .

لقد عرف المصريون القدامى الجبائر فى حالات الكسور البسيطة والمضاعفة ، بل وحتى الموميات التى أصيبت بكسر ما فى أثناء عملية التحنيط الطويلة كانوا يجبرونها هى الأخرى حتى تلقى ربها وهى فى أكمل صورة جسمانية .

أما الجبائر فتكون من قشر الخشب أو من الغاب المغلف بقماش من الكتان يتصل بعضها بالبعض الآخر عن طريق أربطة ، وكان العضو المراد تجبيره يلف بها على أن يراعى أن تمتد الجبائر الى المفصلين فى أعلى وأسفل الكسر[٥٨] .

أما علاج الكسور فان استعمال الجبائر المتخذة من جذوع النخل فى كسور العظام كان غاية فى الاعجاز من حيث الجودة وكان يشاهد فى الجثث المصرية القديمة أن كسور عظام المعصم والترقوة كانت كثيرة الحدوث ، وأن كسور عظمة الساق كانت اكثر مما هى الآن ويندر وجود كسور بعظمة الركبة .

الحروق والجروح :

لقد أشير اليها فى لفائف لندن وايبرز وقيل انها كانت تعالج بالزيوت والمواد الدهنية والعسل والمراهم واللبخ والضمادات المصنوعة من الكتان .

وكان هناك نوعان من الجروح . جروح نظيفة وكانت تعالج بالخياطة والأربطة اللاصقة أما الجروح الاخرى التى كانت فى حال تقيح مثلا فكانت تعالج باللحم الطرى أول يوم ثم بالعسل والأعشاب القابضة[٥٩] .

---

(٥٨) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٤٣١

(٥٩) **د. فهمى أبادير** : تاريخ الطب ص ١٤

Castiglioni : Histoire de la Medecine p. 52

الختـــان :

نشأ الختان فى وادى النيل وأخذه عنهم اليهود بلا شك كما شهد بذلك أشهر المؤرخين مثل هيرودت وفى جملة ما استدلوا به على ذلك وجود تمثال كاهن يسمى ANISAKHA من الاسرة الخامسة [٢٥٦٣ - ٢٤٢٩ ق.م] عارى الجسم مختونا ، وهذا التمثال محفوظ الأن بالمتحف المصرى .

ولقد نشر الأثرى شاباش سنة ١٨٦١[٦٠] صورة رسم منقول من معبد الكرنك يرجع تاريخه الى الاسرة التاسعة عشر أى سنة ١٣٠٠ ق.م يمثل صبيين بين السادسة والثامنة من العمر أمامهما طبيب يجرى لهما عملية الختان . ويظهر أنهما من أولاد رمسيس الثانى مشيد هذا المعبد . فكانت عملية الختان تتم ما بين ٦ و ١٢ عاما أو قبل سن المراهقة وكان المصريون القدماء لا يقبلون فى مدارسهم الأجانب غير المختتنين اذا رفضوا أن تجرى لهم عملية الختان .

كان الختان طقسا من طقوس المصريين منذ عصر سحيق دلت عليه آثاره فى الجثث التى استخرجت من مقابر عصور ما قبل التاريخ أى منذ حوالى سنة ٤٠٠٠ق.م[٦١] وكانت الألات التى أستخدموها فى عملية الختان بدائية للغاية . فكانوا يستعملون سكاكين من الحجر الصوان والحصى .

لقد أصبحت عملية الختان بمرور الزمن عادة دينية عند اليهود والمسلمين كما كانت منتشرة بشدة بين زنوج افريقيا .

الجدرى والبثور :

عرف المصريون القدماء نوعا من الحمى المصحوبة بطفح جلدى فسره البعض بأنه الطاعون وآخرون بأنه الجدرى . وقد جاء ذكر «الجدرى» ثلاثا وعشرين مرة فى بردية ايبرز كما جاء ذكره فى التوراه[٦٢] وقد وصف بأنه الوباء الثقيل جدا الذى سبب دمامل وبثورا تصيب الناس والمواشى والخيل . وقد أصيب به الملك حزقيا[٦٣] كما أصيب به أيوب[٦٤] أيضا ، كما وجد أن مومياء رمسيس الخامس أحد ملوك الأسرة العشرينية

---

(٦٠) **Chabas** : De la Circonscision chez les Egyptiens Revue Archeologique 1861, III p 298

(٦١) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ١١١

(٦٢) **العهد القديم** : سفر الخروج ٩ ٣ ٩ - ١١

(٦٣) **العهد القديم** : سفر الملوك الثانى = ٢٢ : ٧

(٦٤) **العهد القديم** : سفر أيوب : ٢ : ٥

[حوالى سنة ١١٦٠ ق.م] شوهد على وجهه والأذنين وفروة الرأس والعنق طفح جلدى[٦٥] .

صحة البيئة :

لقد عرف المصريون القدماء قيمة الصحة الشخصية والنظافة فى البيئة والبدن والثياب .

فقد أنشأوا فى بيوتهم الحمامات والمراحيض والمجارى لأول مرة فى التاريخ . وكانت ذبائحهم لاتباح حتى تثبت خلوها من الأمراض وكانوا أول من حرم أكل الخنزير[٦٦] . فلقد كان للمصريين القدماء – فى الصحة الشخصية وصحة البيئة – آمال عديدة يفرضونها فرضا على الناس . فقد كانوا يفحصون اللحوم قبل توزيعها وكانوا يبخرون المساكن بالنطرون عند انتشار الأوبئة ويلحون ان تظل على مستوى رفيع من النظام والدوام .

وقد كان غذاؤهم من الوفرة والتنوع بحيث يبدو كأنما يتبع نظاما صحيا مرسوما فكانوا يعرفون فوائد استعمال اللبن والزبد والعسل لأمراض الرئة وهذه المواد تستعمل الى يومنا هذا لتخفيف حدة السعال ، كما كانوا يعتقدون مثلا أن التين والجميز ينفع الكبد والكرفس والبقدونس ينفع الجهاز البولى وعلى الرغم من اهتمام المصريين القدماء بالغذاء وبتنوعه الا أنهم كانوا ينظرون الى البدانة بشىء من الازراء فهى كانت منتشرة بشدة بين الطبقات الغنية .

ولقد صوروا فى رسوماتهم أنواعا من البدانة منها بدانة ملكة «بونت» (الصومال) المرسومة فى صدر الدير البحرى وهذه الملكة مصابة بالبدانة الجسيمة . وقد قال البعض بأنها «مرض الفيل» . وقد ظهرت هذه البدانة مزرية حتى أن الذين زاروا المعبد بعد بنائه قد أتخذوا من هذا الرسم موضوعا لنقش «كاريكاتورى» .

ومن هنا يبدو لنا واضحا اهتمام المصريين القدماء بمظهرهم وخاصة جمال المرأة واهتمامها بجمالها وزينتها ولذلك برعوا فى طب التجميل وهو إرجاع معالم الوجه الى طبيعتها . ولقد وجد بمتحف لندن مومياء لها عينان صناعيتان وكانت الجثة لولد صغير فى الرابعة عشرة من عمره وأما العينان فمصنوعتان من القطن والراتنج . كما كانوا

---

(٦٥) د. حسن كمال : الطب المصرى القديم ص ٤٠٧

(٦٦) **Castiglioni** = Histoire de la Medecine, p 52

يضعون الشعر المستعار مثل الملكة نفرتارى وكذلك الملك أمنوفيس الثالث وسيتى الأولى ، ورمسيس الثانى . وكان استعمالهم للشعر المستعار اما أن يكون بسبب اصابتهم بنوع من الصلع البقعى وهو المعروف باسم «الثعلبة»، أو سبب النظافة، فيقال أن الرجال والنساء كانوا يحلقون شعورهم دائما بسبب الحفاظ على نظافتهم . وكانوا يعالجون الصلع بزيت الخروع بعد مزجه بدهن فرس البغل والتمساح ، وقيل أن هناك وصفة صنعت خصيصا لوالدة الملك تتى [٣٥٠٠ ق.م] حوت عقاقير مجهولة ترجمتها اللفظية «رجل الكلب» أو «حافر الحمار» ويغلب على الظن أنها أسماء بعض الحشائش[٦٧] .

أما **العقاقير** فكان المصريون القدماء بارعين فى الكيمياء واعترف لهم الغرب بذلك فقد جمعت بردية «برلين» الطبية نحو مائة وسبعين تذكرة طبية كما يوجد شرح لما يقرب من خمسمائة دواء فى جميع الأوراق الطبية المكتشفة وهى من مصادر نباتية معدنية وحيوانية مثل الدم والدهن ولبن الأم وقد كانوا يصنعون العقاقير على شكل مشروب أو مغلى أو منقوع أو حبوب أو مسحوق أو لعوق للاستعمال الداخلى . أما الاستعمال الخارجى فكانوا يستعملون اللبخ واللزوق والمراهم والاستنشاقات والتبخير واللبوس . ويحتمل أنهم كانوا يستعملون لهذا الغرض آلة على شكل قرن مجوف ينتهى طرفه المدبب على شكل ملعقة أو منقار طير ، كما استخدموا أيضا الحقن الشرجية[٦٨] .

وأحيانا كثيرة كان الطبيب يجهز الأدوية بنفسه . فقد وجدت قطع من الخزف مكتوب عليها وصفات أدوية وكان الصيادلة يجهزون العقاقير ويكتبون عليها بيانا على أعمدة الهياكل فى الأمكنة المخصصة للأطباء . ويتضح من هذه النقوش نشاط القائمين به اذ كانوا يسحقون الأدوية ويعتنون بغليانها وبتصفيتها من أقمشة نقية . وكان الماء المغلى هو المشروب العادى اليومى ولكن الكهنة استعملوا على سبيل الرفاهية النبيذ وشراب الشعير واللبن والزيت ومزج ما يستطيعونه من هذه الأنواع لتناولها شرابا دافئا صباحا ومساء .

وكانوا يعتنون بتحضير الأدوية والمسهلات المركبة من عصير النباتات التى كانوا

---

(٦٧) **د. حسن كمال** : الطب المصرى القديم جـ٢ ص ٤٣٦

(٦٨) **يروى بلينى** Pliny عن اكتشاف الحقنة الشرجية أن المصريين القدماء قد شاهدوا على شاطىء النيل أن الطائر «الحارس الكركى» «أبو منجل» Ibis الذى اتخذوه رمزا لمعبودهم «تحوت» يأخذ الماء بفمه ويدخله فى شرجه وشرج أولاده عندما يمرضون . فأخذوا عنه الفكرة لتطبيقها فى حالة الوقوع فى المرض لتنظف أمعائهم
Pliny : Historia Naturalis VIII p. 5)

يخلطونها بعد أن يستخرجوها من الحبوب ونحوها[٦٩] . فكانوا يوصون باستعمال المسهلات ثلاثة أيام فى كل شهر . ويمنعون تكرارها الا اذا مضى على الأول منها أربعة أيام وكانوا يصنعون أيضا أقراصا طبية ومراهم تستعمل من الظاهر كدهان للجسم .

وكان الأطباء يكتبون تشخيص المرض على الروشتة ويذكرون أسماء الأدوية اللازمة دون تحديد المقادير اكتفاء بأن ذكر المرض كاف لإرشاد الصيدلى باعتباره خبير فى فنه عالما بالكميات اللازمة فى كل نوع .

كما كانوا يستعملون رموزا اصطلاحية فى أسماء الأدوية اكتفاء بتداول هذا الاصطلاح بين الأطباء والصيادلة .

وقد أثبتت الوصفات فى البرديات الطبية أن المصريين كانوا على دراية بالخواص الطبية لعدد كبير من النباتات والخضروات وأهمها : الصبر - الكسبرة - الخيار - الكافور - البلح - التين - القمح بأنواعه المختلفة - البصل - النعناع البرى والمر - السمسم - زيت الزيتون - الرمان - التمر هندى - الجميز ...

ولكن خوفا من استعمال الأطباء لبعض العقاقير من قبيل الاختبار فى المرضى ، وضعت الحكومة قانونا حازما يجازى كل من يسيىء استعمال هذه العقاقير . وكل إنسان يموت ضحية لهذه التجارب يعتبر موته فى نظر القانون جناية عظيمة يستحق فاعلها العقاب عليها . اما إذا وصف الطبيب بموجب الأصول الطبية المقررة و لم ينجح فحينئذ يسوغ له الاتيان بما يراه نافعا من التجارب لشفاء المريض[٧٠] .

والمعتاد عندهم أن الطبيب كان يراعى فى أوامره ما كان يستعمله السلف من طرق العلاج وما كانوا يختارون من العقاقير النافعة ، وعليه فكانت أسباب الاكتشاف والتقدم صعبة المنال .

أشتهر المصريون القدماء بوصفاتهم الطبية وبكثرة ما استعملوا منها من عقاقير ، اذ كانت عنايتهم بالعلاج اكثر من عنايتهم بالتشخيص . وبرغم أن هذه الطريقة لم تكن الطريقة المثلى لمواجهة الأمراض فانها بالبداهة كانت الطريقة الطبيعية فى تلك الظروف ..

---

(٦٩) Erman = A = Life in Ancient Egypt p 360

(٧٠) Rivers : W = Medecine, Magic and Religion, London 1924, p 219

وقد احتاج الانسان الى اجتياز عدة قرون ليبدأ الفحص بدقة عما يدور فى الجسم من أعضائه[٧١] .

ولقد أستعمل المصريون القدماء طرقا متعددة للعلاج منها المواد المعدنية كالذهب والفضة والفيروز وصدأ النحاس وأملاح الحديد وسلفات الزئبق والبوتاس والصودا ومنها المواد النباتية كالخردل والخشخاش والنعناع ومنها المواد الحيوانية كالعسل واللبن والزبد والكبد وغير ذلك والى جانب الاعشاب الطبية نجد ان المصرى القديم كان يلجأ الى المخدرات المنومة وكان المراد منها تخفيف الألم وكذلك تسهل القيام بالعمليات الجراحية[٧٢] .

(٧١) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٥
(٧٢) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ ٣ ص ١١٤

الفصل الثالث

١ - الأطبـــــــــــــــاء
٢ - البــــرديـــــــــات
٣ - المدارس وبيوت الحكمة

١ الأطبـــاء

كان الأطباء يتمتعون بمكانة طيبة فى المجتمع المصرى القديم وكان ينظر اليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام .

وكان الأطباء يتكونون من ثلاث فئات هى :

١ - الأطباء الكهنة .

٢ - الأطباء العلمانيون .

٣ - الأطباء المساعدون .

كان الكهنة أول من مارس مهنة الطب ، ثم نشأت فئة الأطباء من غير رجال الدين ثم انقسمت هذه الفئة الى درجتين احداهما وسيلتها السحر والشعوذة وأما الثانية فكانت تعتمد فى علاجها على العقاقير والجراحة وظهر فيها الاخصائيون .

أولا : الأطباء الكهنة :

كان الكهنة أول من مارس مهنة الطب فى مصر الفرعونية وقد كان الكهان الأطباء يلبسون عند التطبيب جبة بيضاء : ففى بادىء الأمر كان الطب حكرا عليهم فكانوا وسطاء بين المريض والاله الشافى ، يعرفون طريق التوسل الى هذا الإله والسبيل الى اجتذاب رضاه ، وبمرور الزمن بدأوا فى استعمال العقاقير . فكان أول استعمالهم لها سحريا مبنيا على التشابه ، أو على الأساطير ، أو على مبدأ تقديم القربان للآلهة الطبية لاستمالتها ، والأشياء الكريهة للآلهة الشريرة لابعادها وعلى جعل تناول الأدوية مثل نبيذ الخل ولبن النساء مقرونا بالتعاويذ ، فلابد أن مرور الزمن قد أدى فى بعض الاحيان الى إغفال التعويذة وبالتالى الى ملاحظة أن بعض العقاقير لها فائدة ذاتية[١] . ثم أن الكهنة لم يكونوا مجرد كاتمى أسرار دينية وإنما كانوا على جانب كبير من العلم ، فكانوا يعرفون أنواع النباتات ويستعملونها لتعزيز تعاويذهم وعلى علم كاف بالكيمياء ويسمح لهم بتحضير المراهم والبلاسم كما ركبوا دواء للشفاء من الحزن والغم والغضب والهم[٢] .

---

(١) Bouillet : LA Medecine p. 6 .

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠

ويرجع البعض كلمة Pharmacy إلى كلمة ph - arma - ka التي اكتشفت منقوشة على تمثال للاله «تحوت» اله العلم والطب والتي تعني «الذى يمنح الصفاء» . وقد رد البعض كلمة «كيمياء» الى كيميت «كمت» . وقد أطلق المصريون القدماء على مصر اسم كمت «أى الأرض مشيرين بذلك الى الطمي الذى غمرت به الفياضانات التي لا حصر لها ، ومفرقين بذلك بينها وبين الصحراء المحيطة بها ، والتي عرفوها تحت اسم «دسترت» أى الأرض الحمراء وكيميت إسم مصر القديم غير أنه فى الحقيقة لا يمكن معرفة علمهم ، ذلك لأن عقائدهم الحقيقية إنما كانت سرا من الأسرار التي لا تفشى لأحد ، غير من كرسوا جهودهم للخدمة الدينية وهى تختلف كثيرا عما يدلون به لغير هؤلاء(٣) .

هذا ويبدو أن الطب كان متصلا فى أول أمره بالدين ، ومتمشيا مع السحر ، وكان معظم الأطباء من الكهنة المصريين وكان الطبيب فى الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الأدعية والرق لحماية المريض من الأرواح الخبيثة ، ويمكن أن تعد نوعا من أنواع الايحاء بالشفاء اذ تؤكد النصوص أن لبعض الألهة تأثيرا على أعضاء الجسم . فمثلا اتخذ [رع] اله الشمس الوجه مكانا له ، واحتلت [حاتحور] الهة الحب العينين وفضل [أبوبيس] اله التحنيط الشفتين ، واستقر [تحوت] اله العلم فى باقى أعضاء الجسم وقد أتت هذه الفكرة من الاساطير الدينية ، وهكذا أصبح الاله الذى يتغلب على الثعبان خير مصل له ، والاله الذى يتغلب على لدغ العقرب يصبح خير دواء له(٤) .

وهكذا رغم أن المصريين جروا على نقيض معاصريهم من أمم الأرض فى بناء حياتهم ، معتمدين على ملاحظات واقعية وخبرات علمية ، نجد أن رواسب الماضى السحيق من مخلفات السلف قد شابت ما حققته النظرات الواقعية والأساليب التجريبية ، وأصبح تراثهم من صناعة الطب مزيجا يختلط فيه الواقع بالخيال .

ومن ثم فان المعنيين بالعلاج كانوا على أنواع فإلى جانب الطبيب العلمانى الذى كانوا يدعونه [سونو] كان الكاهن يقوم بدور الوسيط بين المريض والإله فى توسله اليه لنيل الشفاء وإن كانت لديه معلومات طبية فى الطب ، كما كان الساحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل ، أو فك أعمال الأرواح الشريرة . وقد كان الطبيب العلمانى (سوتو)

---

(٣) يومى مهران : الحضارة المصرية القديمة جـ١ ص٢١

(٤) Rivers . W = Medecine, Magic and Religion, p 113

نفسه يضطر أحيانا الى خلط بعض الطب الكهنوتى بأساليبه العلمية المجربة ، كما يبدو من ألقاب بعض من زاولوا هذه المهنة(٥) .

ويرجع الفضل الى الكهنة فى ادخال كثير من الوصفات الصحية بحجة الدين مثل حظر أكل الخنزير والبجع والصيام أربعين يوما لكل عام ، وتعاطى شراب «السنامكى» مرة كل شهر والاستحمام مرتين كل يوم .. كما أن الكهنة كانوا يتبعون قواعد خاصة يفرضونها على أنفسهم مثل إزالة ما ينمو على أجسامهم من شعر مرة كل ثلاثة أيام .

وكان علاج الكهنة يقوم على نظرية أن الانسان قد منح عند ولادته روحا خالدة غير قابلة للموت الا بالقتل . ومن هنا كان المرض يحدث نتيجة لتأثير عامل قاتل خارجى ، وهذا العامل إما أن يكون ظاهريا كالنار والسلاح ، أو خفيا يشيع فى أنحاء البدن كالجن . ولذلك كانت أول خطوة لعلاج الأمراض الباطنية هى استخدام التعاويذ لانتزاع هذا العنصر القاتل حتى يتسنى للجسم أن يستعيد سلامته(٦) .

ومع ذلك فقد كانت عقائد الكهنة الحقيقية أسرار لا تفشى الا للاخوان المكرسين ، وكانت تختلف كثيرا عما يدلون به لغير هؤلاء .

وقد كان أول من أنكر أى تأثير للأرواح على المرض هو «أبقراط» فى القرن السادس ق.م وجدير بالذكر أنه كان تلميذا للكهنة المصريين وأغلب الظن أنه عرف عنهم هذا السر الخطير ، ثم أفشاه حين أتاح له ذلك محيطه الذى كان يضم كبار فلاسفة عصره من الميتافيزيقيين أمثال سقراط(٧) .

ثانيا : العلمانيون

كان الطبيب العلمانى يسمى [سونو] والرمز الهيروغليفى لهذه الكلمة مكون من قنينة ومشرط ، ولم يميز بين الطبيب البشرى والطبيب البيطرى .

وكان عدد الأطباء كما رآهم هيرودوت – فى القرن الخامس كبيرا جدا ، وكانوا على حد قوله : «أمهر الناس» ، حتى أنه ذهب الى أنهم من سلالة [بيون] طبيب الآله .

هذا وينقسم الأطباء الى فئات مختلفة :

(أ) من حيث العمل .　　　(ب) من حيث التخصص .

---

(٥) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٤٠٠

(٦) **Spencer** : L = Myths and Legend of Ancient Egypt, p 3 14

(٧) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصريين ص ٢٧

(ا) من حيث العمل :

كان هناك أطباء موظفون . ويشار من وقت الى آخر الى تقسيم هذه الفئة الى ثلاث أقسام أو أنواع :

١ - **أطباء القصر** : يشار الى ذلك فى نص «واش بتاح» من الأسرة الخامسة ، ومن هؤلاء من كان ملحقا بالقصر أو خاصا بالملك أو بالزوجة الملكية أو بالحكام المحليين والنبلاء . ويظهر الواحد منهم فى قبره حاملا القرابين مثلا [عنخ] من الأسرة السادسة . وقد صور وهو يحمل الطيور فى يده ، أو يؤدى عملا رسميا[٨] . هذا وقد قام أطباء القصر بدور هام فى حياة البلاط الملكى ، فنجد مثلا [بنتو] يحمل لقب «الذى يدخل القصر ويخرج منه» أى الذى يسمح له بمقابلة الفرعون فى أى وقت . ولعل ما يدل على مكانته ما وجد بالنص بعد كتابة اسمه من مخصص ممسكا بيده سوطا ، كدليل على القوة والجاه .

هذا الى جانب [تى عنخ سخمت] من الأسرة الخامسة وقد أهداه الملك [ساحورع] بابا وهميا من الحجر الجيرى ، وقد ازدان بالألوان الجميلة والأحجار الكريمة ، بل وأمر الملك بتدوين هذا الأهداء على قبره مشفوعا بأطيب عبارات المدح .

٢ - **أطباء الدولة** : وكان معظمهم ملحقين بمصالح الحكومة المختلفة يتقاضون منها مرتباتهم ، وان كان يبدو أنهم كانوا - إلى جانب أعمالهم الرسمية - يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ، ويتقاضون منه أتعابا ويحظون منه بهدايا ثمينة[٩] .

٣ - **أطباء ملحقون بالمعابد** : وهؤلاء يتعاطون معاشهم من ميزانية تلك المعابد . ولعل أروع ما فى هذه المهنة عند القوم انها كانت انسانية الى درجة كبيرة ، فلم تكن فى صالح الموسرين وحدهم من حكام البلاد ، وانما كانت أيضا لصالح أفراد الشعب من عمال المحاجر والبناء والجيوش المحاربة . كما كان من جميل تقاليدهم ان الطبيب كان يقتطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه علومه الطبية[١٠] .

وعلى أيه حال فلقد كان الأطباء فى مركز مالى يسمح لهم بعلاج الغنى والفقير سواء بسواء . وقد قال ديودور الصقلى : «ان هناك كثيرا من المصريين كانوا يعالجون بالمجان

(٨) Sigerist = H.E = History Of Medicine, Oxford 1951, p 246

(٩) **أحمد فخرى** = مصر الفرعونية - القاهرة سنة ١٩٧١ ص ٩٣

(١٠) **بول غليونجى** : الحياة الطبية فى مصر القديمة سنة ١٩٦٥ ص ١١٨

وكان من الطبيعي أن هذا القول لا يمكن أن يصدر الا من شخص رأى بعينيه وسمع بأذنيه . ولعل هذا النظام القديم انما هو بعينه نظامنا الحالى فعندنا المستشفيات والمجموعات الصحية والعيادات الخارجية والمكاتب الصحية وغيرها يجد فيها المريض علاجه مجانا .

(ب) من حيث التخصص :

بلغت صناعة الطب فى مصر الفرعونية مبلغا عظيما تخطت فيه الأصول الى الفروع ، وبات أصحابها يتخصصون فى فروع الطب المختلفة منذ أعرق العصور . فها هو [حسى رع] أقدم طبيب عرف فى التاريخ ويرجع للأسرة الثالثة ومقبرته سقارة ويلقب «كبير أطباء أسنان القصر» على أيام الملك زوسر (أى منذ حوالى خمسة آلاف سنة)[١٢] .

وقد وصل الينا العديد من البرديات التى تدل على تعمق المصريين القدماء فى شئون الطب وتنوع دراساته . ومن ثم فهناك الطب البيطرى ، والطب الباطنى وطب امراض النساء وطب الجراحة وطب الأسنان وطب العيون[١٣] .

فقد كشفت مقبرة رئيس الأطباء «ايرى» ، كما تشير برديتا «إيبرز» و«إدوين سميث» الى مراحل تخصص وتميز تمييزا واضحا بين الطبيب الجراح والطبيب المعالج بالسحر والرقى ، والطبيب الذى يعطى الدواء النباتى .

ويشير هيرودوت الى أن فن الشفاء فى مصر كان منقسما الى أقسام يختص كل طبيب بقسم منها . فهناك طبيب العيون وطبيب الرأس وطبيب الأمعاء وطبيب الاضطرابات الداخلية ، هذا إلى جانب أطباء التحنيط وأطباء الجراحة (وهم كهنة سخمت ربة الجراحة وحامية الجراحين) وأطباء عشابون وهم أطباء العقاقير الذين اختصوا بالعقاقير وتلاوة الأدعية .

ثم هناك الأطباء البيطريون حيث ظهرت فى كثير من النقوش صور للماشية وقف أمامها المشرف عليها وقد سمى أحيانا «بالطبيب» وأحيانا أخرى «بالكاهن الطبيب» الأمر الذى يوحى بأن هؤلاء الأطباء الكهنة إنما كانوا مكلفين بفحص طهارة الذبائح ، كما كانوا مكلفين بضمان مطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية . وكان هناك بعض البيطريين

---

(١١) **د. حسن كمال** : الطب المصرى القديم ص ٨

(١٢) **Reginald** : Coup d'oeil sur la Medecine Egyptienne p. 231

(١٣) **شوكت الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ١٧

من غير الكهنة يمارسون مهنتهم حسب علم يماثل ما نقرؤه فى الجزء البيطرى من بردية كاهون الطبية .

وقد تحدث هيرودوت عن تخصص المصريين القدماء فى فروع الطب المختلفة فقال أن الطب عند المصريين القدماء ينقسم الى الفروع الطبية التالية : العيون ، الرأس ، الأسنان ، الأمعاء ، الأمراض الخفية[١٤] .

ويوجد من تراث المصريين القدماء كتب فى الطب تدل محتوياتها على معرفة فى هذا العلم أذهلت أئمته فى العالم الحديث وذلك لأنها حوت الكثير من النظريات الصادقة وألوان العلاج الناجحة المبنية على ملاحظات واقعية وخبرات عملية وإلمام كبير بالتشريح ووظائف الأعضاء . والواقع أن ممارسة المصريين للتحنيط قد تعرفهم بطبيعة الجسم وأسراره .

وقد قال هيرودوت : «ان رجال الطب الذين تخصصوا فى مختلف فروعه كان لهم صيت ذائع ، وأن الملوك والأمراء والعظماء فى البلاد الأخرى كانوا يستدعونهم لعلاجهم»

وجاء فى الأوديسة ان رجال المهن الطبية فى مصر على أعلى درجة من الذكاء الذى يصل اليه شعب من الشعوب .

ومما هو جدير بالذكر أنه لا يوجد أى أثر لوصفات «روشتات» يتركها الطبيب للمريض . أما قطع الخزف (أوستراكا) التى وصفها جونكر Jonckheere فالغالب أنها كانت مذكرات كتبها طبيب عند زيارته للمريض للاسترشاد بها عند تحضير الدواء بعد عودته الى منزله[١٥] .

ثالثا : الأطباء المساعدون :

وهم الفئة المساعدة للأطباء فى عملهم مثل المرضين والاخصائيين فى الأربطة والتدليك . وكان يطلق عليهم لقب «أوت» وكان البعض منهم للأحياء والبعض الآخر للأموات [التحنيط] فلقد كان بمصر أكفأ المضمدين فى معمل التحنيط ، فمثلا طريقة لف الموميات باللفائف إنما تدل بلا شك على مهارة فائقة فى التضميد ، ومما هو واضح أنه ليس هناك ما يمنع من وجود أمثال هؤلاء ممن ساعدوا الجراحين فى مهمتهم . هذا

---

(١٤) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠

(١٥) Jonckheere : F = Les Medecins de l'Egypt pharaoniques, p 24

وقد جاء فى الآثار أن أشخاصا أعفوا من عملهم ليمرضوا رفقاءهم . ولابد أنه كان فى كل مجموعة كبيرة من العمال أشخاص لهم دراية بالاسعافات الأولية والتمريض[١٦] .

أشهر الأطبـــاء :

كانت أشهر شخصية طبية طوال العصر الفرعونى شخصية

ايمحوتب :

ولد أيمحوتب – على الأرجح – فى ضاحية من ضواحى منف تدعى [عنخ – ناوى] حوالى سنة ٢٨٩٠ ق.م

ومعنى اسم ايمحوتب : «الذى أتى سالما» أما اسم والده هو [كا – نفر] وكان يعمل مديرا للأعمال فى مصر العليا والسفلى . أما إسم أمه [خردو – عنخ] وزوجته هى [نفرو – نبت][١٧] .

وطبقا لما جاء فى نقش المهندس [خنوم – ايب – رع] فى وادى الحمامات ، كان ايمحوتب وزير الملك زوسر ثانى أشهر ملوك الأسرة الثالثة (حوالى سنة ٢٧٨٠ ق.م) ، وكان سياسيا ماهرا وعالما وفلكيا وطبيبا ومهندسا ومعماريا وكذلك كبيرا لكهنة أون (هليوبولس) . كل هذه الصفات عمقت فيه على مر التاريخ[١٨] .

كان المصريون ينسبون تدوين الطب الى المعبود«ايمحوتب»ويقولون أنه أول واضع له ، واليه يرجع الفضل الأكبر فى علاج الأمراض . وسبب شهرته أنه كان يوجد ملك مصرى فى عهد الأسر القديمة يقال له زوسر Zoser واشتهر بذكائه ومهارته وكان سبب نجاحة ملازمته لأحد مستشاريه (ايمحوتب) . وهو رجل فاضل كان على جانب عظيم من الحكمة والعلم وكان نابغة فى الطب والمعمار وفى ضرب الأمثال حتى خلد له اسما فى تاريخ مصر القديمة . فكان الكتاب يذكرونه فى مصنفاتهم على أنه رجل عظيم ذو معرفة وخبرة وكثيرا ما تقربوا اليه بالقرابين ، وترنم القوم بأناشيده بعد وفاته بألفى وخمسمائه سنة تقريبا حتى شبهه اليونان بمعبودهم اسقلبيوس[١٩] .

وقد تناسى القوم أباه وأمه فقالوا عنه أنه ابن المعبود [بتاح] اله منف من أمه وهى

---

(١٦) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصريين ص ٥٢٣

(١٧) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ٢ ص ١١٨

(١٨) **أحمد فخرى** : توت عنخ آمون ص ٤٥

(١٩) **د. حسن كمال** : الطب المصرى القديم ص ١٣

المعبودة [توت] وظلت شخصية ايمحوتب تهيمن على مهنة الطب طوال العهد الفرعونى الى ما بعده وهو العهد الاغريقى .

ففى القرن السابع ق.م زاد اتصال المصريين بالاغريق وعندما وقف الاغريق على كتابات «ايمحوتب» فى علوم الطب أبوا أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشرا كسائر الناس فألهوه واعتبروه ربا للشفاء ، كما اعتبروا أماكن عيادته من الأماكن التى يحج اليها المرضى ليكتب لهم الشفاء . ونعرف من قصة «نشاتيس» الذى كان كاهنا فى معبد ايمحوتب كيف شفيت والدته أثر معجزة تمت فى ذلك المعبد ، وقد أراد «نشاتيس» أن يعبر عن اعترافه بالجميل ، فقام بترجمة قرطاس بردى مصرى منسوب الى أيمحوتب الى اللغة اليونانية[٢٠] .

ولقد شيد له مريدو ايمحوتب – بصفته ربا للشفاء – فى العصر الاغريقى مقصورة فوق السطح العلوى لمعبد حتشبسوت فى الدير البحرى بجوار السرابيوم أى مدينة العجل أبيس ، ولا يخلو متحف من متاحف العالم إلا وله فيه تمثال من البرونز وهو جالس وعلى ركبته كتاب مفتوح وشبهوه بالمعبود الإغريقى اسقلبيوس راعى الطب والحكمة ، ومجدوه لمهارته فى الطب وفى الأدب والكتابه فضلا عن استخدامه الحجر المنحوت فى البناء[٢١] . وفى سنة ٣٢٣ ق.م جلس ملوك البطالمة على عرش مصر وقد حاولوا – ما أستطاعوا الى ذلك سبيلا – أن يظهروا أمام المصريين كفراعنة ، وتعبدوا للآلهة المصرية . وكان تحوت واحدا من هذه الألهة وقد عبدوه تحت اسم «هرمس» الاله الاغريقى وكذلك مركورى[٢٢] . وبالتالى فقد عبدوا «ايمحوتب» كصورة من صور «تحوت»[٢٣] «هرمس» ثم سرعان ما أدخلوا الههم اسقلبيوس رب الطب الى مصر وتكون فى النهاية معبود مصرى بطلمى يبلور فى عقيدة الناس الهيمنة على العلوم والمعارف وهو تحوت – ايمحوتب – هرمس – أسقلبيوس .

ولعل أهم ما تبقى من صفات هذا المعبود صلته الكبيرة بعلوم الطب . ومع اننا لا نعرف الا القليل عن معلومات ايمحوتب الطبية غير أن تأيه القوم له انما ينطوى

---

(٢٠) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٥

(٢١) Sigerist = History of Medicine, Vol I p 228

(٢٢) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ١١

(٢٣) كان تحوت معبودا الأشمونيين (تقع أشمون بجوار مدينة ملوى بمحافظة المنيا وأسمها المصرى «خنتو» أى مدينة الثمانية .. «وفى الأغريقية هرمو بوليس ماجنا» وكانت مقر عبادة الاله بحوت الذى سماه الاغريق بألهم هرمس

على معان واضحة تجعلنا مطمئنين الى تقدير المصريين له بأنه أول رجل عظيم فى الطب . وينبغى أن نذكر أولئك الذين يزعمون بأن «أبقراط» أبو الطب أنه جاء فى منتصف الفترة الزمنية بين ايمحوتب وبين أبقراط وفى ذلك ما يكفى لتعديل منظورهم الى العلم القديم وان الطب الاغريقى لم يكن مستحدثا بل اقتبس كثيرا من الطب المصرى القديم حتى أنه يمكننا اعتباره امتدادا له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالى سنة ١٩٠٠ق.م ، فان الدرجة التى بلغتها إنما تدل على تطور طويل المدى يرجع على الأقل الى حوالى سنة ٣٠٠٠ مما يجعلنا نجزم بأن الطب قد نبع من وادى النيل ومن ثم فيجب أن نعتبر مصر وليس اليونان هى منبت الطب ، وأن ايمحوتب وليس أسقلبيوس هو عبقرى الطب وسيده .

وقد ظلت شخصية ايمحوتب تهيمن على مهنة الطب طوال العصر الفرعونى[٢٤] .

لقد جاء - بعد ايمحوتب - ذكر الكثيرين من الأطباء الذين لم يرقوا الى منزلة ايمحوتب رغم شهرتهم . منهم :

١ - ايرى :

وكان اسمه بالكامل ايرى - ن - اخت . الذى جاء اسمه فى مقبرة بالقرب من أهرامات الجيزة ، ولقب بطبيب «القصر الملكى» ، و«مفتش أطباء القصر» ، وطبيب رمد القصر[٢٥].

٢ - تى عنخ رع :

(الحياة تدوم لرع) رئيس أطباء البلاط الذى عمل فى بيت العلماء ، طبيب البلاط ، العليم بأسرار الملك اليومية .

يوجد له تمثال بالمتحف المصرى وهذا التمثال يوحى لنا بأنه كان كسيحا ولكن هذا مشوب بالشك[٢٦] .

٣ - تى عنخ سخمت :

جاء أن الملك ساحورا (٢٥٥٠ ق.م) كان يدين بصحته الى طبيب اسمه «تى عنخ سخمت» وكافأه بأنه أقام له حجرا منقوشا مثل فيه لطبيب حامل لصولجانين رمز

---

(٢٤) **Jamieson. B. Hurry** = Imhotep, the wizer and Physician of King Zoser and afterward the Egyptian god of medicine, 2e ed. Londond 1328, p 228

(٢٥) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ١١٣

(٢٦) **نجيب رياض** : الطب المصرى القديم ص ٤٤

السلطان وهو يرتدى جلد الفهد وهو لباس أرفع الكهنة مقاما ، وكانت مقبرته بسقارة وكان يعتبر اكبر أطباء السراى الملكية[٢٧] .

٤ - خـــوى :

طبيب آخر للبلاط وهو يحمل لقب رئيس أطباء مصر العليا ومصر السفلى (الصعيد والدلتا) ويجمع بين هذه الوظيفة ووظيفة رئيس كهنة هرم «تيى» (٢٤٠٠ ق.م) ويلقب نفسه باسم «العالم بالفنون السرية» يحمل على الاعتقاد بأنه كان يقرن الطب بالسحر .

٥ - أوزاحورسنت :

هذا الذى كلفه «دارا الأول» باعادة بناء مدرسة الطب التى كان قد هدمها قمبيز . وكان هذا الطبيب ينسب الى الأسرة ١٧[٢٨] .

---

(٢٧) د. حسن كمال : الطب المصرى القديم ص ٩٨

(٢٨) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين ص ٣٢

٢ المدارس وبيوت الحكمة

نشأت المدارس الطبية فى مصر الفرعونية فى عهد الأسرة الأولى [حوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م] . وقد بلغت بعض هذه المدارس شهرة عظيمة ، ولعل من أشهرها مدرسة أون[٢٩] (هليوبوليس) وهى «أيونو» عند الأغريق ، وكذلك مدرسة أخرى أنشئت فى «ساو»[٣٠] (سايس = صاالحجر) للمولدات اللاتى كن يقمن بدورهن بتدريس علم أمراض النساء للأطباء أنفسهم ، ثم مدرسة «ايمحوتب» فى منف التى زادتها شهرة مكتبتها التى كان يتردد عليها الأطباء حتى القرن الثانى الميلادى فى عهد جالينوس[٣١] ، ثم مدرسة طيبة (الأقصر) .

وكانت المدارس الموجودة فى هذه المدن أشبه بجامعات كبرى لتلقى العلوم الطبية بأنواعها ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والفلك والهندسة . وقد أعيد تنظيم مدرسة الطب فى عهد الملك دارا الأول [٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م] فى مدينة «صاو» وصاحبة كبير الأطباء أوزاحورسنت[٣٢] الكاهن العظيم الذى عاصر «أحمس الثانى» [٥٧٠ - ٥٢٦ ق.م] وبسماتيك الثالث [٥٢٦ - ٥٢٥ ق.م] وكان مقربا من قمبيز [٥٢٥ - ٥٢٢ ق.م] ودارا الأول الذى أعاده الى مصر بعد أن كان قد أصطحبه الى فارس .

وهناك مدرسة طب قديمة فى سايس ردمت بعد ما أصابها من التلف (ربما من قمبيز الغازى المتوحش) وعلى أية حالة ، فهذا يعنى أن المدارس الطبية كانت قائمة والدراسة فيها كانت خاضعة لنظم معروفة . ويمكن القول بحال من الأحوال أن أول العهد لا بها كان فى القرن السادس ق.م (العهد الفارسى) فالاشارة واضحة الى أن ماتم فى العهد المذكور يشير الى إعادة بناء ما تهدم من هذه الدور ، التى ربما كان هدمها نتيجة لغارات الفرس البربرية . ومهما يكن من أمر فان دراسة الطب عريقة فى مصر ، لها أسسها وقواعدها ، ولها شهرتها فى العالم القديم ، ومدرسة سايس هذه وريثة غيرها من المدارس القديمة كمدرسة «منف» التى تخرج منها ايمحوتب الطبيب المؤله.على أن هناك ما يلفت

---

(٢٩) **Breasted** : Histoire de L'Egypte. p 17.

(٣٠) **زكى شنوده** : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٣ ص ١١٤

(٣١) **بول غليونجى** : الطب عند قدماء المصريين ص ٥٢٧

(٣٢) **د. حسين كمال** : الطب المصرى القديم جـ١ ص ١٠٢

النظر فى نص «وحا - صر - رسنت» حيث يشير الى انتقاء الطلاب من الأسرة الراقية ، فضلا عن توفير كل وسائل الراحة لهم[٣٣] ، كما أن ذكر الآلات انما يشير الى الجراحة. وليس هناك ما يمنع من وجود مدارس مشابهة لمدرسة «سايس» فى المراكز العلمية الكبرى فى البلاد كطيبة ومنف وعين شمس ، كما أن التحاق هذه المدارس بالمعابد لا يعنى أبدا أن الطلبة كانوا يتعلمون الطب الجسمانى والطب الروحانى معاً خاصة أن المعابد كانت مراكز العلم - الروحانى وغير الروحانى - وخاصة فى عهد الامبراطورية المصرية على أيام الدولة الحديثة [١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م] عندما أباح أحمس الثانى [أمازيس] للأجانب دخول مصر وكما هو اليوم فى عصرنا الحديث فان جامعة الأزهر الشريف أعرق الجامعات الدينية وأعظمها وأشرفها قاطبة ، إنما هى من العصر الحالى مثال واضح على ربط العلوم الدنيوية بالعلوم الدينية وليس ببعيد ان الأمر كان كذلك فى مصر الفرعونية.يقول هيرودوت : ان المدارس الطبية فى مصر كانت فى منتهى الشهرة والسمعة الطبية ، كما أن رجال الطب الذين تخصصوا فى مختلف فروعه كان لهم صيت ذائع وان الملوك والأمراء والعظماء فى البلاد الأخرى كانوا يستقدمونهم لعلاجهم .

وكانت أشهر هذه المدارس :

١ - مدرسة عين شمس : أون = ايونو = هيلوبوليس

كانت «أون» عاصمة الإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى وتقع فيما بين عين شمس [أو فى مكانها] وبين المطرية شمال القاهرة . ويشير هيرودوت[٣٤] [٤٨٤ - ٤٣٠ ق.م] إلى أنها كانت بحق مركز العلم والمعرفة وكان علماؤها أحكم أهل مصر وأغزرهم علما ، وكان يشار اليها وكأنما هى موطن الأسرار المقدسة التى تدرس فيها دقائق العقائد ، وتحوى مكتبتها ذخائر العلوم ، ويتخرج منها المبرزون من الاطباء والفلكيين والحكماء . قيل ان المؤرخ المصرى ماتينو[٣٥] [٣٢٣ - ٢٤٥ ق.م] قد جمع تاريخه من سجلاتها وكان من حظ «أسترابون» أن شاهد إحلال دور حكمائها وان كان عهد الفلاسفة والفلكيين قد انقضى على أيامه ، بعد أن تخربت معاهدهم ، كما يقول ويشير مؤلف بردية ايبرز الى أنه تلقى علومه فى «هيلوبوليس» قبل أن يتجه الى «سايس» .

---

(٣٣) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٤٠٠

(٣٤) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ١ ص ٧٤

(٣٥) **المرجع السابق** جـ١ ص ٦٥

٢ - **منف** [إنب حج] :

لم تكن جامعة عين شمس اللاهوتية العلمية وحدها هى منار العلم فى مصر الفرعونية ، وانما كانت تنافسها - بل ونجهد أن تظهر عليها - منف[٣٦] .

وكان لمدرسة منف مذهب ينافس مدرسة «أون» فى نشأة الوجود ، كما كان كبير كهنة الاله «بتاح» فيها يحمل لقب عظيم الفنانين .

وكانت منف أو «إنب حج» ثالثة المدن الكبرى فى عصر بداية الأسرات من حيث الزمن ، ولكنها ظلت أوفرها مجدا وأبقاها شهرة . وتعددت الاحتمالات حول ترجمة أسمها الأول «إنب حج» فهو قد يعنى «الجدار الأبيض» أو «الحصن الأبيض» أو «السور الأبيض»[٣٧] .

٣ - **الأشمونيون** : [خمنو المصرية] :

تقع شمال غرب ملوى بمحافظة المنيا مركز عبادة «تحوت» رب الحكمة وعاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا (الصعيد)

٤ - **أبيدوس** :

على بعد ١٠ كيلو متر غربى البلينا بمحافظة سوهاج ، المركز الدينى الممتاز ، حيث كانوا يزعمون أن رأس المعبود «أوزير» دفنت فيها .

٥ - **سايس** : [ساو المصرية ومكانها الأن صاالحجر] :

عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الدلتا على بعد ٧ كيلو متر شمال بسيون بمحافظة الغربية ، وهى مدينة الطب فى عصر النهضة [الأسرة السادسة والعشرين] [٦٦٤ - ٥٢٥ ق.م] .

(٣٦) **منف** : تقع بجوار قرية ميت رهينة بمركز البدرشين على بعد ٢٢ كم الى الجنوب من القاهرة يومى مهران : الحضارة المصرية القديمة جـ١ ص ٧٨

(٣٧) **عبد العزيز صالح** : الشرق الأدنى القديم ص ٨٧

دور الحيــــاة

اختلف الباحثون فى دور الحياة . فبينما ذهب فريق الى أنها معاهد علمية ، ذهب فريق آخر الى أنها لا تعدو أن تكون دورا للنسخ والتصنيف[٣٨] .

وقد عرفت دور الحياة منذ الدولة القديمة ، وكانت توجد فى الحواضر العامة ، وحيث وجدت المعابد الكثيرة ، ففى دائرة معبد الاله «مين» فى مدينة قفط عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الصعيد ، قامت دار حياة تواتر ذكرها من الدولة القديمة ، كما تواتر من العصور المتأخرة .

هذا وقد وجدت دور الحياة أيضا فى المراكز الثقافية الكبرى مثل عين شمس ومنف ، فضلا عن تلك التى كانت الى المعبود «خنوم» والتى يحتمل وجودها فى مراكز عبادته ، كما فى الفانتين (جزيرة فيلة بأسوان) وأدفو وأسنا والطور ، هذا فضلا عن تلك التى وجدت فى غير أيام الدولة القديمة ، كما فى أبيدوس وطيبة والعمارنة وفى سايس وتل بسطة . فمن الحقائق المفترضة أنه كان لكل معبد ذى مكانة ملحوظة «دار حياة» خاص به[٣٩] .

وكان خريجو «دور الحياة» يشغلون عادة مكانة ممتازة ومركزا مرموقا فى المجتمع القديم . فالواحد منهم انما هو «كاتب دار الحياة» ما من أمر يسأل عنه إلا ويجد له جوابا مناسبا ويعتبر Lefulure ان تلك المدارس التى سميت بيوت الحياة كانت على شكل حوانيت للناسخين الذين كانوا على جانب كبير من العلم ، وأن الطلبة كانوا يترددون عليها لمقابلة الفلاسفة والعلماء ، يضيف ان التعليم الاكلينيكى كما نفهمه اليوم لم يكن له وجود . وقد قال ديودور الصقلى أن هذا التعلم كان ينقل من الطبيب الى ابنه شفويا حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه .

وهذه التقاليد العائلية اتسم بها الطب فى كل بلاد العالم القديم ، فنجده عند الاغريق وقفا على «الأسقلبياد» سلالة «اسقليبوس» التى كان ينتمى اليها أبقراط وجالينوس ، ونرى أبقراط يفرض على الأطباء قسما يوعز بمثل هذا الكتمان[٤٠] .

---

(٣٨) بول غليونجي : الطب عند قدماء المصريين ص٥٢٧

(٣٩) بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٣٤٤

(٤٠) بول غليونجي : الطف عند قدماء المصريين ص ٥٢٧

واستمر الأطباء يتبعون هذه التقاليد حتى العصر المسيحى فقد ورد فى اللفافة القبطية التى درسها شاسينا Chassinat العبارة التالية : «هذه قطرة حضرتها مع أبى»

وعندما أباح أمازيس [أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين] للأجانب دخول مصر ، حضر اليها عدد كبير من الاغريق ليتلقوا فيها العلم من بينهم عباقرة عصرهم «أفلاطون» و«أودوكسوس» و«أبقراط»، غير أنه من المشكوك فيه أن يكون الكهنة قد ائتمنوهم على علومهم السرية على الرغم من أنهما عاشا بينهم ١٣ عاما . وهذه الاسرار كانت تتصل بالعلوم والفلك والطب والميتافيزيقيا بل أن كتب «تحوت» الستة التى تتضمن معلومات عن الجسد والأمراض والأجهزة الطبية كانت تحفظ فى خزانة المعبد ، وقد عثر أبقراط فى القرن الخامس ق.م فى سراديب المعابد المصرية والاهرام على بعض تلك الأسرار التى لم تكن تفشى لغير الكهنة[٤١] .

وبالرغم من الهيبة التى أحاطت بهذه المدارس فقد عانت نتيجة بعض الغزوات وتخص بالذكر غزوة «قمبيز» الذى أمر بهدم المعابد عقابا للمصريين عندما رآهم يحتفلون بعيد الحصاد بعد عودة حملته الفاشلة من الجنوب فظنهم مبتهجين بهزيمته وقد أعاد بناء بعضها ابنه «دارا الأول» لاستمالة المصريين فكلف فهذه المهمة أحد موظفيه فى فارس وهو المصرى «أوجاحورسنت» الذى روى كيف أدى هذه المهمة فى نقش سجله على تمثال له محفوظ الآن بمتحف الفاتيكان .

(٤١) المرجع السابق ص ٢٢

٣ البرديـــات

ان أهم مراجع الطب المصرى القديم هى قراطيس البردى القليلة التى اكتشفت فى بعض مقابر المصريين الأقدمين . ويبدو ان تاريخ كتابة هذه القراطيس أو البرديات يرجع معظمها الى قبل الميلاد بحوالى الف وخمسائة عام .

ان من الثابت الآن أن معظم هذه القراطيس قد نسخ نسخا من كتب مصرية طبية قديمة ، وكتب بعضها قبل أن يولد التاريخ .

تنسب اكثر هذه القراطيس الى الآلهة والقليل منها الى أشخاص آدميين ، والأغلب أنها مستقاة كلها من الموسوعات الطبية التى ترجع الى عدة قرون قبلها والتى لا نعرف شيئا عن مكان نشأتها أو عن مؤلفيها[٤١] .

كانت هذه البرديات جزءا من مكتبة عظيمة مكونة من اثنين وثلاثين بردية منها ما يختص بالطب . وهى متأخرة نسبيا اذ يرجع تاريخها الى ما بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة العشرين [٢٠٠٠ – ١٠٩٠ ق.م] .

وكانت هذه المجموعة تسمى «الكتب المقدسة للاله توت» اله القمر ورب الكتابة . وكانت هذه البرديات تحفظ فى المعابد وتعرض أثناء الاحتفالات الدينية .

وقد فقدت هذه الكتب جميعا ويغلب على الظن أن البرديات الطبية التى وصلت الينا ما هى الا مقتطفات وملاحظات من المجموعة الأصلية .

ويظهر أيضا من هذه البرديات أنها بنيت أيضا على التخصص وتقع كل مجموعة من أوراق البردى فى لفائف أفقية ليتصفحها القارىء من اليمين الى اليسار حتى اذا ما فرغ من قراءتها أعاد لفها لتكون الصفحة الأولى أول ما يمكن الاطلاع عليه من جديد . وهكذا وجدت جميع اللفائف على هذه الصورة أى معدة للقراءة ، ماعدا لفافة «هرست» التى عثر عليها بشكل عكسى أى أنه أهمل اعادة لفها بعد الانتهاء من قراءتها . وكانت عملية النسخ تتم على يد الكتاب المحترفين لا بواسطة الأطباء .

وكان الخط المستعمل هو الهيراطيقى وهو نسخ الهيروغليفى ، وكان يكتب بالمداد الأسود ماعدا الأرقام والعناوين والهوامش فكانت تدون بالمداد الأحمر .

---

(٤٢) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين ص ٥٢٤

ولم تكن ثمة فهارس لهذه الكتابات ، ولم تكن أوراق البردى مجرد مؤلفات تكتب لتظل سجينة المكتبات ، وانما كانت متداولة بين الأيدى كل يوم كما يتضح ذلك من التفسيرات والتعليقات الكثيرة المدونة فى هوامشها ، مثل «جريت هذا ووجدته مفيدا أو هذا طيب» وذلك يدل على أن المخطوط منقول بحذافيره وكذلك الهوامش ، غير أن الهوامش مدونة بخط الناسخ نفسه[٤٣] .

وتعتبر أقدم برديتين فى المجموعة الطبية كلها هما المعروفتان باسمى : كاهون وجاردنر [حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م] . وهما متعلقتان بامراض النساء والأطفال والماشية ، ويرجع تاريخ أهم برديتين وهما المعروفتان باسمى سميث وايبرز الى القرنين السابع عشر والسادس عشر ق.م ، مع العلم بأن بردية سميث معاصرة لبردية «رانيد» الرياضية .

ولذا تستطيع أن تقول على وجه الاجمال ان الرسائل الرياضية والطبية الهامة التى وصلت الينا ترجع فى تاريخها الى عصر واحد وهو العصر الذى يمتد من أواخر الدولة الوسطى الى أوائل الدولة الحديثة أى قبل العصر الأمبراطورى الذى سيطرت فيه مصر على العالم القديم[٤٤] .

١ - بردية سميث Smith

من أشهر كتب الطب المصرية ويرجع تاريخه الى سنة ١٥٥٠ ق.م . وقد اشتراها أدوين سميث [١٨٢٢ - ١٩٠٦] عام ١٨٦٢ من مدينة الأقصر وهى أقصر من بردية ايبرز ولكنها نسخة من نص أقدم منها يرجع تاريخه الى عصر الاهرام وربما قبل ذلك أى القرن الثلاثين تقريبا . ويبدو أن استعمالها شاع لبضعة أجيال ، ثم تبين أن مصطلحاتها غدت قديمة غير صالحة للاستعمال ، وتعد هذه البردية أقدم كتاب جراحى فى العالم[٤٤] .

ويقول سارتون : «وفى نهاية الدولة القديمة فى القرن السادس والعشرين ق.م ، فكر أحد العلماء الأطباء فى تحديد هذه البردية باضافة تعليقات (مجموعها ٦٩) تشرح الاصطلاحات التى بطل استعمالها وتوضح المسائل الغامضة فيها . وهذه التعليقات تكون أهم قسم فى البردية ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب الطبية المصرية فهو خاص

---

(٤٣) بيومى المهران : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٣٨٥

(٤٤) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ١١٣

(٤٥) Sarton : isis 15, 1931, p 359

بالجراحة ويمتاز بالدقة والنظام والزام التسلسل فى الدراسة والعرض . فهو قد بدأ فى كل فصوله ببيان الفحص ثم التشخيص ثم العلاج . وهو يعتبر أول كتاب فى الجراحة يظهر فى العالم[٤٦] .

ويحتوى نص بردية سميث على قسمين مختلفين أولهما : سبعة عشر عمودا (٣٧٧ سطر) على وجه الورقة . ثانيهما : أربعة أعمدة ونصف عمود [٩٢ سطر] على ظهرها ويحتوى هذا القسم الثانى على وصفات تمائم غير جديرة بأن تقف عندها . أما القسم الأول وهو الرئيسى فهو بحث فى الجراحة تشيع فيه روح علمية تفوق كثيرا الروح التى كتبت بها بردية «ايبرز» . فهى تعد وثيقة نفيسة للمعلومات التشريحية والطبية التى تشتمل عليها والتى تبلغ مبلغا كبيرا من الدقة. والواقع ان ميدان الجراحة أقل مجالا للشعوذة من الطب الباطنى ، لأن سبب المرض فى معظم الحالات الجراحية التى عالجها الاطباء القدامى يكون ظاهرا حتى أنهم لم يكونوا فى حاجة الى إقحام المقدمات السحرية[٤٧] . وعلى العكس من ذلك يكون المرض الباطنى خفيا دائما ، فيولد الأفكار الخرافية فى ذهن المريض ، بل فى ذهن الطبيب ، ولذلك فان بردية سميث لا تحتوى على وصفات بل حالات معينة مرتبة لعلاج الأمراض حسب ترتيب أجزاء الجسم ، من الرأس الى القدم ، وكلها للأسف تقف عند الكتفين بقليل ، ولا تعرف سبب ذلك وهل هو راجع الى توقف الكاتب أو الى ضياع نهاية المخطوط[٤٨] وظل ذلك الترتيب – من الرأس الى القدم – قاعدة مطبقة خلال العصور الوسطى ، وهى قاعدة طبيعية بديهية فى الطب ، وليس من الضرورى أن نفترض أنها أحتذاء للقاعدة المصرية الأولى وتثير الواقعية واليقظة التى تشتمل عليها هذه النصوص الطبية القديمة إعجاب الباحث الجديد ، ويتضح من هذه النصوص كذلك ، أن الطبيب الذى دونها لم يكن رجلا مجربا فحسب ، بل كان حكيما تشف نظرته العامة على أطياف عابرة من كتاب أبقراط[٤٩] .

وليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن المصريين القدماء درسوا التشريح دراسة علمية

---

(٤٦) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٣ ص ١١٤

(٤٧) **Reginald** = Coupd'oeil sur la Medecine Egyptienne Archion IX, 1928, p 19 - 30

(٤٨) د. حسين كمال : الطب المصرى القديم ص١٢

(٤٩) الدوميلى : العلم عند العرب ص ٣٣ .

بواسطة تشريح الجثث ولكنهم أفادوا من التجارب التى وقعت تحت أبصارهم عرضا وتوافرت لديهم بذلك معلومات كثيرة .

ومن ناحية أخرى يتضح أن المؤلف الذى سجلت بردية سميث معلوماته «فكر وتأمل فى مسائل تشريحية وغير بايولوجية»، كما أنه أدرك أهمية النبض ، والصلة بين النبض والقلب فضلا عن ادراك عام مبهم لجهاز القلب لا الدورة الدموية طبعا لأن أحدا لم يعرفها بوضوح مثل هارفى[٥٠] .

أما معلومات هذا المؤلف المصرى القديم فى الجهاز الدموى فظلت مشوشة جدا لعدم استطاعته التفرقة بين الأوعية الدموية والأوتار العضلية والأعصاب .

كما أن هذا المؤلف أدرك وجود الأغشية السحائية وهى الأغشية الخاصة بالمخ والعمود الفقرى ، كما أدرك تلافيف المخ ، كما أنه أدرك أن المخ مركز رقابة الجسم ، وأن أنواعا خاصة من هذه الرقابة تنحصر فى أجزاء خاصة من المخ .

ومما هو جدير بالذكر أن بردية سميث محفوظة فى متحف الجمعية التارخية فى نيويورك[٥١] حيث ظلت تفاصيل محتوياتها مجهولة حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الأمريكى «جيمس هنرى برستد» سنة ١٩٢٢ ثم طبعت مرة أخرى سنة ١٩٣٠ . كما قام الأستاذ «محمد كامل حسين» بنقل هذه البردية الى اللغة العربية وأعتبرها نقطة تحول فى تاريخ الطب بين فن العلاج وفن الطب . وكان طول هذه البردية فى الأصل نحو ثمانية أمتار لم يبق منها الا ٤٫٥٨ وتحتوى على ٤٦٩ سطراً[٥٢].

٢ – ايبرز **EBERS.**

عثر عليها فى الأقصر سنة ١٨٦٢ وحصل عليها الأثرى الالمانى جورج ايبرز [١٨٣٧ – ١٨٩٨م] من أدوين سميث ثم نشرها سنة ١٨٧٥ ، كما قام والتر فريزنسكى [١٩٨ – ١٩٣٩] بنشر أربعة أجزاء من البردية سنة ١٩١٣م ، كما قام ب بل سنة ١٩٣٧ بنشرها[٥٣] أيضا وتعتبر بردية ايبرز من أطول البرديات فهى تحتوى على ٨٧٧ وصفة طبية لأنواع متعددة من الأمراض أو أعراضها ، ومنها اثنتا عشرة حالة علاجها

---

(٥٠) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ٢ ص ١٢٤

(٥١) **فيليب حتى** : خمسة آلاف سنة ص ١١١

(٥٢) **يومى مهران** : الحضارة المصرية القديمة جـ٤ ص ٣٨٦

(٥٣) **Budge** : Book of Medicine : Introduction

الرق[٥٤] . أما العلاج فى غير هذه الحالات فلا يبدو سحريا أو خرافيا ، ولو أنه يندر أن نعرف حقيقة المرض أو علاجه . وأما محتويات هذه البردية فمرتبة على النظام التالى[٥٥] .

أدعية تقرأ قبل العلاج الطبى لتقوية مفعوله ، الأمراض الباطنية ،أمراض العيون ، الأمراض الجلدية ،(مع حاشية لعدة أنواع من هذه الأمراض) ، أمراض الأطراف ، متنوعات (وخاصة أمراض الرأس مثل أمراض اللسان والأسنان والأنف والأذن) ، المساحيق ، أمراض النساء (والأمور الخاصة بتدبير المنزل) ، معلومات ذات صفة تشريحية وفسيولوجية ، وتفسير كلمات الأمراض الجراحية .

وهذا الترتيب عرضه لكثير من الانتقاد ، غير أن غرض المؤلف هنا واضح اذ أراد أن يجمع بقدر الإمكان كل المعلومات التى من آثار الأسرة الثامنة عشرة[٥٦] . وهى أقدم ما عرفه المحدثون وهى إن كانت حافلة بتعاويذ السحر ووسائل الرقى ، وكانت لا تعطينا فكرة سامية عن الطب الذى نعرضه ، فانها حافلة أيضا بمعلومات مفيدة عن الأدوية ، ومن ثم المعارف الكيميائية والنباتية والعقاقير ان دراسة هذه البردية من الناحية اللغوية لا تترك مجالا للشك فى أن كاتبها قد جمع مادته من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى [٢٠٥٢ – ١٧٨٦ ق.م] وربما قبل ذلك .

وقد جاء باحدى عباراتها انها منسوخة فى عهد الأسرة الأولى [حوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م] وجاء بأخرى أنها من عهد احدى ملكات الاسرة السادسة [حوالى سنة ٢٤٢٠ – سنة ٢٢٨٩ ق.م]

ان بردية سميث وكذلك بردية ايبرز على مقياس أصغر – تعطينا فكرة دالة على تقدم الطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء عند المصريين ومدى ما وصلوا اليه فى نظرتهم العلمية قبل «أبقراط» بألفى سنة على الأقل .

٣ – بردية هرست :

ان بردية هرست قريبة الشبه جدا من بردية «ايبرز» وذلك من ناحية تاريخها ومن ناحية المعنى . فقد عثر على هذه البردية فلاح من دير البلاص (محافظة قنا) فى ربيع

---

(٥٤) تذكرة داود الانطاكى : ص ٣٠

(٥٥) **Sigerist** : History of Medicine, Vol I p. 362

(٥٦) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٣٢

سنة ١٩٠١ ثم سلمها الى الدكتور «جورج رايزنر» (١٨٧٦ - ١٩٤٢) الذى كان مشرفا على حفائر هرست [١٨٤٢ - ١٩١٩] فى دير البلاص ، والتى نسبت البردية اليها ، ثم أهديت الى متحف جامعة كاليفورنيا .

وعلى الرغم من تمزق حواف هذه البردية فانها محفوظة جيدا وبها ٢٦٠ فقرة تقع فى ١٨ صفحة وردت منها ٩٦ فقرة فى بردية ايبرز . وتؤرخ هذه البردية على الأرجح من أيام تحوتمس الثالث [١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م] واكثر مافيها منقول عن الكتاب الأصلى الذى نقل عنه جامع محتويات بردية ايبرز ، وان فاقتها فى بعض فقراتها[٥٧] .

٤ - بردية كاهون :

هى أقدم اللفائف الموجودة ويرجع تاريخها الى سنة ١٩٠٠ ق.م اكتشفت فى مدينة اللاهون بالفيوم فى ابريل ١٨٨٩ م وهى مكونة من ثلاث صفحات واكتشفها «سير فلاندرز بترى[٥٨]» .ان بردية كاهون ليست من أقدم اللفائف فى تاريخ نسخها بل أن أصلها يبدو أيضا أقدم من أصول اللفائف الأخرى وتتناول بردية كاهون الجزء الخاص بامراض النساء والولادة والتكهن بالحمل ، كما تحتوى أيضا على جزء فى الطب البيطرى ويقع القسم الطبى فى ثلاث صفحات . الأولى متآكلة ممزقة رممت فى عهد قديم بلصق قطع من لفافات بردية أخرى على ظهرها ، والثانية فى وسطها ثقب كبير وليس بها سوى سبعة أسطر كاملة ، أما الثالثة فقد أعيد تكوينها من ست وأربعين قطعة متناثرة وتضم الصفحتان الأولى والثانية سبعة عشر تشخيصا ووصفة فى أمراض النساء ، ولم يذكر أى إجراء جراحى وانما اكتفى صاحبها بوصف العقاقير مثل الجعة واللبن والزيت والبلح .. وتحوى الصفحة الثالثة سبع عشرة علامة لتمييز العقيمات من بين النساء فضلا عن التكهن بجنس الجنين .

وبالاضافة الى القسم الطبى والقسم البيطرى يوجد قسم خاص بحل المسائل الحسابية . وقد دون على ظهرها حساب من عهد الملك امنمحات الثالث [١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق.م] من الأسرة الثانية عشرة[٥٩] .

---

(٥٧) د. حسين كمال : الطب المصرى القديم ص ٥٩٥
(٥٨) تذكرة داود الانطاكى : ص ٣٢
(٥٩) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين ص ٥٢٧

٥ - بردية برلين :

اكتشفت بردية برلين بمدينة منفيس بالقرب من سقارة وهى أحدث من بردية ايبرز وأدوين سميث .

وكانت فى ملف من طين يرجع تاريخها الى سنة ١٣٠٠ ق.م وقد حصل على هذه البردية «تسالاكا» سنة ١٣٥٠ ق.م من مقبرة بسقارة فى القرن التاسع عشر ويرجع تاريخها الى أيام الأسرة التاسعة عشرة وربما قبل ذلك . ويبلغ طولها ١٦ر٥ متر وتحوى ٢١ لوحا أو عمودا ومتوسط تعداد كل عمود ١١ سطرا .

والكتابة فى هذه البردية غير سليمة ومليئة بالأخطاء ، وتحتوى على شرح مطول عن القلب والأوعية .

كما أنها تحتوى على مجموعة من الوصفات والتشخيصات والتعاويذ يبلغ عددها تقريبا ١٧٠ تذكرة طبية تقريبا(٦٠) .

وكانت أغلب العقاقير فى هذه البردية نباتية وحيوانية كما أن بها بابا عن الروماتيزم غير أنها مليئة بالأخطاء ومظاهر الاهمال وأقل مدعاة للاهتمام .

٦ - بردية لندن :

يرجع تاريخها الى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة ، وقد ظن البعض من قبل أنها كانت ترجع الى الأسرة الرابعة ، لأن أحد الرق ذكرت الملك «خوفو» - صاحب الهرم الأكبر - غير أن فحص الأسلوب والخط انما يدل على أنها من عصر رمسيس الثانى [١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م]

وهذه البردية مزيج من الطب والسحر وبها وصفات قليلة وتعاويذ كثيرة . تنفع فى شفاء بعض الأمراض .

فهذه البردية بمثابة وسيط بين كتب الطب السابقة وبين بعض كتب الرق . وقد وردت بها ٦١ وصفة منها ٢٥ فقط طبية والباقى تعاويذ .

وهى مكتوبة بخط ردىء تصعب قراءته وذلك لأن الكتابة مسحت عنها ثم كتبت مرة ثانية .

---

(٦٠) نجيب رياض : الطب المصرى القديم ص ٤٣

وهذه البردية توجد فى المتحف البريطانى فى لندن تحت رقم «١٠٠٥١» بعد أن نقلت اليه من المتحف الملكى بلندن فى سنة ١٨٦٠م .

٧ - بردية كارلزبرج :

هذه البردية تشتمل على بعض أمراض العيون وأمراض النساء والولادة سنة ١٣٠٠ ق.م وهى تكاد تكون منقولة نقلا حرفيا من باب الرمد فى بردية «ايبرز» .

وهذه البردية عبارة عن قصاصات بردية مهلهلة موجودة بمعهد الآثار المصرية بجامعة كوبنهاجن بالدانمارك وعليها نصوص ترجع الى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كما حوت بيانات عن انذار الوضع ونوع الجنين تداولها الأم فيما بعد ، كما لفت نظر الأثريين الأطباء الآراء العديدة التى أبداها قدماء المصريين عن الحمل وجنس الجنين وأثرها على الطب الأوربى(٦١) .

---

(٦١) د. حسين كمال : الطب المصرى القديم ص ٦٨٥

الباب الثالث

الطب عند

البابلين والآشوريين

الفصل الأول
حضارة مابين النهرين

حضارة ما بين النهرين

يرد تسمية جنوب بلاد ما بين النهرين فى سفر التكوين[١] تحت اسم «أرض شنعار» والمقصود بها منطقة «سومر وأكاد» حيث قامت فيما بعد إمبراطورية بابل . كما يذكر العهد القديم[٢] أيضا منطقة «أور» وهى تعرف باسم «أور الكدانيين» وتعرف اليوم «بالمقيَّر» . و«أور» هى مسقط رأس ابراهيم الخليل نشأ فيها ولكنه خرج منها إطاعة لدعوة الرب وذهب الى حران ومنها ذهب الى كنعان . وكانت بلاد «كلد» تمثل فى الحقبة المتأخرة المنطقة الجنوبية من بابل أو المنطقة الواقعة ما بين الصحراء العربية غربى شط العرب والخليج العربى على حد تعبير المؤرخ اليونانى سترابون[٣] .

وقد أثبتت الكشوف الحديثة أن مدينة «أور» وجدت منذ ما يقرب من ألف عام قبل عصر ابراهيم ، وكانت فى ذلك الزمن السحيق مركزا ومدينة راقية . وتقول سجلاتها القديمة التى كشفت فيها أن بعض ملوكها حكموا آلافا من السنين ، كما تدل طبقة من رواسب الطمى اكتشفت فيها أن طوفانا عظيما حدث فى أرض ما بين النهرين ، ولكن لا يمكن الجزم بأن رواسب هذا الطمى باقية من الطوفان الذى حدث أيام نوح كما يدعى البعض ذلك[٤] .

وقد ذكر كتسياس KTESIAS[٥] وهو طبيب ومؤرخ يونانى ألف عدة كتب فى الآشوريات قائلا : فقد كان ثمة قبيلة كلدانية تسكن رقعه من بابل متاخمة لعرب البادية والخليج وهؤلاء الكلدان هم قدامى البابليين .

وهؤلاء البابليون القدامى هم الذين أغنوا المنطقة بالعناصر الأساسية لحضارة الشرق

---

(١) **العهد القديم** : سفر التكوين ١٠ = ١٠ .

(٢) **العهد القديم** : سفر التكوين ١١ = ٢٨ / أعمال الرسل : ٧ = ٤ .

(٣) **سترابون** : من الجغرافيين الكلاسيكيين [٦٤ ق.م – ١٩ ق.م] وكان «استرابون» أو «سترابو» من مواطنى بونتس زار الاسكندرية حوالى سنة ٢٥ ق.م على أيام الإمبراطور أغسطس [٢٧ ق.م – ١٤ ق.م] وأقام بها ما يقرب من خمس سنوات . وقد تحدث عن مصر فى الجزء السادس عشر من مؤلفه الجغرافى **géographica** فوصف النيل ومصر واهتم كثيرا بالدلتا .

حسن برنا : تاريخ ايران القديم ص ٥٧ .

(٤) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ٢ ص ١٣ .

(٥) **كتسياس Ktesias** هو مؤرخ يونانى كان طبيبا لأردشير الثانى . كتب تاريخ ايران والهند ولكن كتاباته عن تاريخ إيران ليست جديرة بالاهتمام سوى تأريخ للفترة التى عاصرها . حسن برنا : تاريخ ايران ص ٥٧ .

الأوسط بأكملها وكانوا يسكنون فى أرض سومر وأكد حيث سكن الكلدانيون فيما بعد . ومن هنا بدأ ظهور أهمية الدور الذى لعبه السومريون منذ فجر التاريخ[٦] .

ففى العهد السابق للسومريين عثر فى مدينة «أور» على كنوز كثيرة وذلك فى المقبرة الملكية التاسعة للمدينة ، كما عثر على ما يثبت وفاة كل حاشية هؤلاء الملوك دفعة واحدة فقد وجدت هذه الجثث مصفوفة بعرض حفرة طويلة وعريضة فى المقبرة . ويستدل من دقة ترتيب الهياكل العظمية المتبقية أن وفاة أصحابها لم يكن نتيجة عنف أو تعذيب . فأكثر الخادمات كن يلبسن لباس الرأس بشكل مهندم مما يتنافى مع حدوث الوفاة نتيجة إصابة بالرأس أو طعنة برمح أو بسبب اختناق . فقد كانت الوفاة اذن بمحض الارادة ويحتمل أن يكون سبب الوفاة هو تناولهم عقارا منوما شديدا ناموا على أثره نومتهم الأبدية .

ومن هنا كان السومريون على علم بالأقراباذين[٧] .

كما أستخرجت ضمن أثار هذه المنطقة مديات نحاسية مما يجيز وجود جراحين استعملوها فى مهنتهم .

فقد عثر فى «كيش» على نص تصويرى يرجع تاريخه الى سنة ٤٢٠٠ ق.م ثم عثر على قوالب منقوش عليها نصوص طبية وفى «لاجاش» عثر على خاتم طبيب يرجع تاريخه الى سنة ٣٠٠٠ ق.م والخاتم عبارة عن أسطوانة صغيرة طبية منقوش عليها إسم صاحبها للاستعانة بها على تسجيل إسم الطبيب على قوالب طينية أخرى . وعلى هذا الخاتم وجد مرسوم المعبود «إيرو» وهو إله الوباء والمرض[٨] .

ولقد تمكن العلماء المعاصرون فى بحوثهم من الكشف عن المبادىء التى اعتمدها السومريون بحيث أصبح من المستطاع التمييز بين النتائج العلمية التى توصلوا إليها وبين العرافة والسحر الذى يلجأون إليه للحصول على نتائج نجاح وفشل . وبواسطة الكلدان السومريين تم انتقال معلومات سبقت العلم فى هذا الميدان الى العالم القديم بأسره وظلت مستمرة حتى العصر الوسيط .

---

(٦) مارغريت روثن : علوم البابليين ص ١٠ .

(٧) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٢ .

(٨) د. حسن كمال : الطب المصرى القديم ص ٢٠١

وقد انتهت المدنية السومرية حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م وحلت محلها مدنية بابل وأشور .

وكان الطابع الغالب على طب بابل وأشور - أو وادى الرافدين - هو الكهنوت والسحر ؛ وذلك لأن العلم كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالكهنة .

وقد احتفظ الملك آشور بانيبال فى دار كتبه الكبيرة بنينوى بأكثر من ثلاثين ألف لوحه طينية منها ثمانمائة لوحة نقشت عليها نصوص طبية وأستدل من هذه اللوحات على أن القوم اعتقدوا أن الأمراض من أعمال الأرواح الخبيثة . وكان تشخيص المرض واستخلاصه يتم عن طريق الكاهن الذى يقوم بتلاوه بعض أنواع الرقى وصنع الأحجبة . وبذلك يتم - فى أغلب الأحوال - شفاء المريض .

وبظهور التدوين وانتشاره زادت معارف الإنسان المتعددة ومن بينها معارفه بالطب الذى وصل الى مرحلة متقدمة أيام العهد البابلى القديم . والذى أدى إلى هذا الرقى فى العهود الأشورية والبابلية الحديثة هو سهولة الاتصال بالأمم الأخرى وتبادل الأفكار وتطوير التجارب الناجحة واشاعتها كى يستفيد منها أكبر عدد من الناس .

وبالرغم من اهتمام البعض من علماء الأشوريات فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن بالعلوم الطبية فإن الدراسات المستفيضة فى هذا المجال لم تظهر إلا بعد النصف الثانى من هذا القرن(٩) .

إن ما اكتشف من ألواح منذ بداية التنقيب حتى الآن هو جزء ضئيل مما يزال مطمورا تحت الأرض . وذخيرتنا المتزايدة من هذا التراث كل عام مازالت غير كافية لكشف الحجاب عن معالم تلك الحضارة ، ولكن ما وصلنا إلى الآن قد أعطانا قدرا لا بأس به من المعرفة عن حياة أولئك الناس وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وكل ما ينظم حياتهم ومجتمعهم ، وجعلنا نعرف شيئا عما وصلوا إليه من معرفة فى مختلف أنواع العلوم .

وقد دلت الدارسات على أن هؤلاء الأقوام كانوا قد سبقوا غيرهم فى الكثير من أوجه الحضارة . فلقد كانوا الأوائل فى انشاء المدارس والأوائل فى إيجاد المكتبات العامة وإثرائها بالألواح المكتوبة ، وكانوا الأوائل أيضا فى سن القوانين والشرائع(١٠) .

---

(٩) **Harper : R.F = Assyrian and Babylonian literature, p 220**

(١٠) **عبد اللطيف البدرى** : من الطب الأشورى المقدمة ص ٧ .

الفصل الثانى
النـصـوص الطـبيـة

النصوص الطبية

أدوار النصوص الطبية :

إن معلوماتنا عن الطب ومعارفه محدودة جدا وذلك بالنسبة للفترة السومرية الأولى . فإن معلوماتنا فى تلك الفترة لا تزيد على معرفتنا للأصل السومرى للفظة طبيب الأكادية ASU الذى يميز بها السومريون الطبيب عن الساحر وهو ASIPU .

ففى كل المراحل التاريخية وفى معظم النصوص– وإن لم يكن جميعها– يرجعون المرض إلى الآلهة أو إلى الأرواح الشريرة ، كما خص البابليون والأشوريون الطب ببعض الآلهة .

لقد كان للبابليين والأشوريين فى معتقداتهم ثلاثة آلهة عظام ، كانوا يكونون ثالوثا من الآلهة يتربع فوق الأجزاء الثلاث للكون . وهم :

١ – أيا : إله الأعماق والذى أصبح بعد ذلك اله الشفاء وسمى فى السومرية «إنكى» أى سيد الأرض .

٢ – «بل» إله الأرض

٣ – آنو اله السماء والذى كان يعتبر الإله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية[١] .

ثم أصبح بعد ذلك «نينوترا» إلهًا آخر للشفاء ورئيسا للأطباء يساعده فى هذه المهمة «كولا» حامية الطب[٢] وتظهر صورة الإلهة «كولا» وهى جالسة رافعة يديها إلى السماء وبجوارها كلب كبير . وهى تشبه فى ذلك صورة أسقلبيوس اليونانى[٣] .

أما أقدم آلهة الشفاء فى أرض الرافدين فهو الإله «سين» إله القمر وكان رمزه الهلال وكان يعبد فى «أور» تحت اسم «نانا»[٤] .

لقد كانت شعوب أرض الرافدين تنسب إلى الآلهة صفات وعواطف إنسانية ، كما رفعوهم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا أنهم خيرون ورحماء فى الظروف حتى حين كانوا يقاضون البشر جزاء إثمهم وأخطائهم[٥]

---

(١) فيليب حتى : خمسة آلاف سنة ص ٧٨ .

(٢) Conteau : La Magie chez les Assyriens et les Babyloniens p 207

(٣) مارغريت روثن : علوم البابلين ص ٧٣

(٤) Castiglioni : Histoire de la Medecine p 42

(٥) ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ١٦٦ .

وكما كان الطب فى أرض الرافدين يرجع إلى الآلهة فإنه كان أيضا يرجع إلى أرواح شريرة تظهر فى صورة الشياطين فقد كانت الحياة اليومية التى يحياها البابليون والأشوريون تظللها دائما مخافة الشياطين ، وكانت هذه الشياطين مخلوقات عجيبة يمكنها أن تتشكل فى أية صورة ، وكانت تفضل عامة الأماكن المهجورة المظلمة والخرائب والمدافن . وأرض الرافدين غنية بصور الشياطين وهى تجمع عادة بين الإنس ورؤوس الحيوان ، أو تربط بين أعضاء حيوانات مختلفة . وقد كانت الخطيئة أقرب الطرق التى يستطيع بها الشيطان دخول جسم الإنسان . وكانت الخطيئة تظهر بصور عديدة كإهمال الطقوس الدينية والسرقة والقتل . ولم يكن هناك ثمة تمييز بين الذنوب الخلقية والذنوب المتعلقة بالطقوس الدينية ، فكان ينظر إليها كلها على أنها من نوع واحد وذلك بسبب الدور الغالب الذى كانت الأفكار الدينية تقوم به فى نظام الحياة اليومية .

كان المرء فى اعتقاد هذه الشعوب إذا أذنب ينبذه الإله الذى يظله بحمايته فيصير الطريق مفتوحا أمام الشياطين فتنتهز الفرصة لدخول جسم الإنسان .

وكان المرض أبشع صورة لوجود الشيطان فى جسم الإنسان وربما كان «شيطان الحمى» أهول الشياطين عند أهل الرافدين وكانت له رأس أسد وأسنان حمار وأطراف نمر أرقط ، وكان صوته كصوت النمر الأرقط والأسد ، وكان يمسك بيديه أفاعى هائلة ، وكان كلب أسود وخنزير يداعبان ثدييه . وهكذا كان المريض - فى تصور شعوب بابل وأشور - صاحب إثم وكان مرضه راجعا إلى وجود شيطان فى جسمه[٦] .

أما عن العلاج : فكان من الطبيعى أن يصل الطب فى أرض الرافدين من هذا إلى أن علاج المرض هو فى طرد الشيطان ، وفى سبيل هذا الغرض كانت تتبع إجراءات مفصلة معقدة . فكان يجب على المريض أولا تعيين الشيطان الذى يسبب له المرض فأسماء الشياطين التى كانت تقيم فى مختلف أجزاء الجسم كانت معروفة منذ وقت طويل وكان أولها وأهمها أشكو ASHAKU وهو «شيطان الرأس» الذى كان يسبب الصداع[٧] وكان من الضرورى بعد ذلك طرد الشيطان ، وكما يتولاه كاهن متخصص فى هذا الأمر ، وذلك بالرقى والأعمال السحرية التى تتطلبها الحالة . وكان الكاهن المتخصص فى هذا الأمر يسمى أشيبا ASHIPU . وكان قوام عملية التعويذ تلاوة عبارات سحرية

---

(٦) موسكاتى . الحضارات السامية القديمة ص ٧٦ .

(٧) Conteanu : La Magie chez Assyriens et les Babyloniens p 223

مع أداء طقوس معينة . كانت المراسم تبدأ بدعاء الآلهة بنصف الكرب الذى يعانيه الآثم وأمله فى الغفران ، وكان يرش على المريض ماء مقدس وتلقى قطع من اللحم حتى يمسك بها الشيطان فيفك قبضته عن حجم المريض وكان هذا كله يدل على انتشار استعمال الرق والسحر والتعاويذ فى أرض الرافدين انتشارا واسعا [8] .

ومما هو جدير بالذكر أن الآلهة نفسها لم تسلم من شر الشياطين وآذاهم إذ كان يعاكس أو يطارد الآلهة سبعه من الشياطين تسمى «المسقم» وتلقب أيضا بالأشباح السبعة وهذه الأشباح كانت تجد اللذة فى هدم نظام الطبيعة فتسبب الزلازل والأوبئة. وإلى جانب الأشباح السبعة ، كان هناك أشباح صغار كثيرة وبأشكال متعددة تنتظر لتهاجم الرجل السائر فى الطريق فتؤذى جسمه ونفسه وهى توابع «العشتار» إلهه السحر والظلام والتى تتلذذ بالمهاجمة ليلا[9] .

المكتبة أو بيت الألواح :

ولكن الفترة مابين سنة ٢٤٠٠ ق.م وسنة ١٥٠٠ ق.م زودننا بالقليل من النصوص من مختلف المدن الأشورية والبابلية بالإضافة إلى بعض النصوص التى وصلت إلينا من مدن حيثية وقد دل هذا على رقى العلوم الطبية فى هذه الفترة[10] .

وفى تلك الفترة كان تعليم الطب فى أرض الرافدين يتم فى بيت الألواح وهو أشبه ما يكون بالمكتبة[11] . وقد كتبت المادة الطبية فيها على ألواح من الطين حيث يجلس الطالب على مقاعد ليبدأ فى دراسة الألواح المصنعة ثم يتعلم كيفية كتابة الوصفات بعد ذلك.

فإذا ما أتم هذه المرحلة التحق مع «آسى» كبير يتعلم من الجانب السريرى (الاكلينيكى) من المهنة ، ولا يسمح له بممارسة الطب إلا بعد إكمال مراحل التعليم وبعد أن يوصى به مدربه وبعد أن يؤدى القسم الطبى أمام الآلهة ويعلن ولاءه للملك .

لقد وجدت لوحات طبية مختلفة الأماكن والأزمنة لها أهمية كبيرة ولكن أكثرها أهمية

---

(٨) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ١ ص ٢٥

(٩) **Castiglioni** : Histoire de la Medecine p. 42

(١٠) **عبد اللطيف البدرى** : من الطب الأشورى ص خ

(١١) **جورجى زيدان** : تاريخ أداب اللغة العربية . الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٦ ص ١٢

ما وجد في نينوى . ففي سنة ١٨٤٩ وجد المنقب الإنجليزى «أوستن هنرى[١٢] لايارد» أثناء تنقيبه في تلال قوينحق (وهي نينوى الحالية) قدرا كبيرا من الألواح الطبية التي تكونت منها مكتبة الملك .

ومن حسن الحظ أن هذه المكتبة اكتشفت على حالتها الأولى في مطلع البحوث والحفائر الأشورية[١٣] .

ومن المحتمل أن تكون هذه المكتبة قد سبقت مكتبات ملكية أخرى في آشور . وتوجد عدة ألواح تحمل شارة «سرجون» الجد الأكبرلآشور بانيبال . أما مكتبة سرجون نفسها فإنها مفقودة .

أما عصر الازدهار الحقيقي بالنسبة للعلوم الطبية فهو في الفترة ما بين العهد الكاشي[١٤] إلى نهاية العصر الأشورى الحديث حتى جاءتنا منه مئات الرقم . وقد عثر على القسم الأكبر من هذه النصوص بين مخلفات مكتبة الملك العظيم آشور بانيبال[١٥] .

وكانت معظم تلك النصوص عبارة عن استنساخات سومرية وأكديه وبابلية قديمة وأشورية بالإضافة إلى هذا عثر على نصوص طبية كثيرة في مدينة أشور .

وقد ساهم العهد البابلي الحديث بمجموعة من النصوص البابلية الحديثة والمتأخرة وهي قليلة العدد بالمقارنة مع النصوص الأشورية أو نصوص مكتبة أشور بانيبال .

وتعتبر مكتبة أشور بانيبال أول مكتبة منظمة في الشرق الأدنى القديم ويرجع تاريخها إلى سنة ٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م وقد أحتوت على مجموعة من الكتب في قواعد اللغة ومعاجم لغوية وسجلات تاريخية ونصوص سومرية بين سطورها ترجمات أشورية . ومعظم هذه

---

(١٢) Austin Henry Layard [١٨١٧ – ١٨٩٤م] أثر دبلوماسي أنجليزى قام بالتنقيبات في نينوى وأشور وبابل في السنوات ١٨٤٥ – ١٨٥١

مارغريت روثن : علوم البابليين ص ١٢

(١٣) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ٣٣٨

(١٤) **الكاسيون** : أو الكاشيون : لا يعرف مواطنهم الأصلي . لكن هناك أراء تردهم الى المرتفعات الشرقية . ونسبت اسمهم الى معبودهم كاشو ، وتربط بينهم وبين جماعات متأخرة عنهم في الزمن ذكرها بطليموس باسم **Kassaeans** وذكرهم غيره باسم **Kassians**

عبد العزيز صالح ص ٤٨٥

(١٥) **ليو أوبنهايم** : بلاد ما بين النهرين ترجمة سعدى فيض عبد الرازق ص ٢٣

النصوص علمي : فلكي وتنجيمي وطبي وكيميائي وهكذا مما يدل على حرص هذا الملك على أن ينمي مكتبته[١٦] .

ويوجد في هذه المكتبة في المتحف البريطاني حوالي ثلاثين ألف لوح من الطين مصنف ومفهرس وعلى كل واحد منها دمغة ليسهل الاستدلال[١٧] عليه ومنها ٦٦٠ لوحة تبحث في الطب قام بترجمة أكثرها ر.ت . كامبل Reginal Thompson Campbell الى الإنجليزية[١٨] .

أنواع النصوص الطبية :

تنقسم النصوص الطبية إلى الأنواع التالية :

١ – الوصفات الطبية .

٢ – نصوص التشخيص والإنذار .

٣ – النصوص الطبية التي تجمع بين التشخيص والوصفات .

٤ – ما يخص الطب في شريعة حمورابي .

٥ – الرسائل ونصوص أخرى متفرقة .

١ – الوصفات الطبية :

هي من أقدم أنواع النصوص الطبية التي وصلتنا إلى اليوم ويعود تاريخها إلى نهاية الألف الثالث ق.م.أن هذه النصوص – من الناحية العلمية – ترقى على ما يماثلها من نصوص متأخرة لكونها لم تذكر أي شيء عن «المعزم» أو الساحر أو دورها في تنفيذ الوصفات الطبية .

لقد كان تفكير بلاد الرافدين في النباتات نتيجة رغبة اكيدة لاستخدامها في الطب كوسيلة لعلاج المرض . وقد دعاهم ذلك إلى معرفتها كلها وعمل قوائم بأسمائها ثم إجراء تجارب على الكثير منها حتى يمكن الوصول إلى مدى الانتفاع بها .

فقد عرفوا خصائص الأعشاب والنباتات وكذلك المعادن ومختلف المواد الأخرى

---

(١٦) **داود الانطاكي** : تذكرة داود ص ٢٩

(١٧) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ٢ ص ٢٨٤

(١٨) **Campbell** = **R.T** = A Babylonian explanatory text . Medical Journal of the Royal Asiatic Society 1924

ويؤكد ذلك حسن استعمالها كلها حيث يقتضى مفعولها الطبى . وقد جاء المصطلح شامو Shammû بمعنى أعشاب مطابقا لكلمة دواء[١٩] ولقد استعملوا الأعشاب التى كانت موجودة عندهم بكثرة ووضعوها فى الدواء على هيئة حبوب أو مراهم أو مساحيق .

ولما كان الإله [سن] هو إله القمر ، وهو نفس إله الطب ، فقد استلزموا جمع الأعشاب فى الليل[٢٠] .

كان الطبيب هو الذى يشرف على تركيب الدواء أو أحيانا كثيرة كان يصنعه بنفسه . وقد تعددت لديهم أشكال الأدوية وطرق استعمالها . ولعل معرفتهم بالكيمياء هى التى مكنتهم من استخلاص الأدوية من بعض المعادن والأملاح وإدخالها فى تراكيب جديدة . فالمحاليل والعصارات والمنقوعات كانت إحدى صور الأدوية التى تعطى عن طريق الفم ، وعن هذا الطريق تعطى بعض الأدوية بشكل لعوقات أو سفوفات .

كذلك لم يفت الطبيب معرفة إعطاء بعض الأدوية على الريق وذلك لسرعة إمتصاصها وبالتالى يكون تأثيرها أجدى ، أو أن يقسم الأدوية إلى جرعات متعددة متفاوتة الأوقات لكى لا يثقل على معدة المريض وجسمه .

وقد جاءت الوصفات على شكل حقن شرجية وذلك عندما يتعذر تناول الأدوية عن طريق الفم ويكون ذلك بسبب القيىء أو الانسداد المعوى[٢١] .

كذلك وصفوا النشوقات لأمراض الأنف والغسول والمراهم والقطرات للعين .

أما أدوية الجلد فقد كانت على شكل الغسول والدهون والمراهم واللباخ والمساحيق والضمادات .

وقد وردت كل هذه العقاقير سواء أكانت نباتية أو حيوانية أو معدنية فى النصوص نفسها . وفيما يلى بعض أجزاء منها

١ - بعد سحق جذور النباتات المنصوص عليها مع الطين المجفف الذى يؤخذ من النهر ومزجه بالجعة ، يدعك المكان المصاب بالزيت ويوضع (الدواء) على شكل كمادة .

---

(١٩) ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٣٨٢
(٢٠) عبد اللطيف البدرى : من الطب الأشورى المقدمة .
(٢١) ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٣٨٣

٢ - بعد سحق بذور النبات (المنصوص عليها) تمزج مع الحبة ومن ثم يشربها المريض .
٣ - وفى وصفة أخرى يشار على المريض يأخذ العديد من الأدوية النباتية الأصل مثل التين المجفف ، وأدوية مستحضرة من أملاح مختلفة . يشار عليه أن يقوم بتسخين المواد من ثم مسح المكان المصاب بالمزيج(٢٢) . ويستنتج الباحثون من هذه الوثيقة التى تضمنت العديد من الوصفات الطبية أن أهل الرافدين القدامى كانوا على معرفة جيدة بالأدوية النباتية والمعدنية وأنهم أستخدموها بأشكال مختلفة خارجيا كالكمادات والدعك بالزيت داخليا كالجرع والحقن وما إلى ذلك .

وهناك المئات من النصوص الخاصة بوصفات طبية معظمها من مكتبة أشور بانيبال ، وقسم أخر من أشور تعود إلى القرن الثالث ق.م ، ونصوص محدودة من فترة العهد البابلى القديم .

وقد تضمنت وصفات تتألف من مواد نباتية كالجذور والبذور واللحاء والأوراق والفاكهة والأغصان . ومن أكثر المواد الطبية شيوعا الثوم وعرق السوس ، ومئات أخرى من أنواع الأعشاب التى جاءتنا من خلال القوائم المعجمية أو من خلال الوصفات الطبية .

كما أنهم استخدموا الأدوية الحيوانية بما فيها ألبانها ولحومها وحتى فضلاتها ، وأستخدموا أيضا الطيور على مختلف أنواعها كالبوم والنعام والصقر والغراب والدجاج .

ان أهل الرافدين لم يهتموا فقط بأدوية المريض كى يتم شفاؤه ولكنهم أدركوا أن الغذاء يلعب دورا كبيرا فى صحة الإنسان فقد اهتموا بأكل المريض وأشاروا عليه بالابتعاد عن بعض المأكولات مثال : على الذين عندهم مرض فى أعينهم عدم أكل الكرات أو الكزبرة ، وعلى الذين يشكون ألما فى أذانهم عدم تناول الباقلاء .

وكما أهتموا بأكل المريض فقد اهتموا أيضا بالصحة العامة. فإن أقدم مظهر للعناية بالصحة العامة هو وجود مجارى للمياه القذرة فى «الكش» يرجع تاريخها إلى سنة ٣٠٠٠ ق.م ، كذلك توجد حمامات ذات أرضية لا تنفذ فيها المياه فتنصرف إلى مستودع خارج البيت يتم تنظيفه على فترات من قبل عمال محترفين(٢٣)

---

(٢٢) Sigcrist = History of Medicine, p 246
(٢٣) عبد اللطيف البدرى : الطب الأشورى : المقدمة

كما وجدت أيضا المراحيض فى دور «آور» أيضا فى قر سنة ٢٠٠٠ ق.م كما أن هناك لوحة طبية وجدت فى «نيبو» يرجع تاريخها لنهاية الألف الثالث ق.م ولعل أهم ما فى هذه اللوحة هو أن ما فيها من وصفات ومعالجات خال من ذكر الأرواح والسحر والتعاويذ وهى تعتمد كلية على المادة فى التطبيب .

كما وجدت أيضا فى لوحة «نيبو لثو» أعمدة ثلاث . سطر فى العمود الأول ، اسم مائة وخمسين نبات طبى وفى العمود الثانى المرض الذى يعالج بكل منها وفى الثالث الكميات وعدد المرات فى اليوم وهى تستعمل على الجوع أو بعد الأكل وغير ذلك من إشارات[٢٤] .

ويعتبر اكتشاف بلاد ما بين النهرين للنباتات الطبية بداية طبية للتاريخ الطبى الذى استعمله اليونان والرومان فيما بعد إلى حد كبير فأتخذوه موضوعا لأبحاثهم وميدانا لتجارتهم[٢٥] ثم استطاعوا بعد ذلك أن يوسعوا من دائرة معارفهم فى ذلك العلم فلم يقفوا عند حدود نباتات بعينها وإنما امتدت حتى شملت كثيرا من نباتات البيئات الأجنبية كشمال أفريقيا ومصر وآسيا . ولعل أهم مثل يضرب لذلك هو ذلك المؤلف الضخم الذى كتبه «بلين القديم» وسماه التاريخ الطبى historia naturalis فهو دائرة معارف لكل النباتات المعروفة قديما[٢٦] .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان هناك نوع آخر من الأدوية فى بلاد ما بين النهرين يستخدم فى حالة تقمص الشيطان لجسم المريض لذنب أرتكبه وكان أكثر ما يعالج به لهذا السبب هو تلاوة العزائم وأعمال السحر والصلوات . ولكن إذا أستخدمت العقاقير الطبية فإنها لم تكن تستخدم لتطهر جسم المريض ، بل كان استخدامها لارهاب الشيطان وإخراجه عن الجسم[٢٧] .

وكانت أكثر الأدوية شيوعا هو عقار مكون من خليط من العناصر التى تعافها النفس اختيرت لهذا السبب عن قصد . ولعلهم كانوا يفترضون أن معدة المريض أقوى من

(٢٤) **جورج قنواتى** : تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط القاهرة – دار المعارف سنة ١٩٥٩ ص ١١٩ .

(٢٥) **Thompson** : R.C = The Assyrian herbal, London 1924, p 46

(٢٦) لقد عاش «بلين» فى القرن الأول الميلادى سنة ٢٣ م – سنة ٧٩م وكان له انتاج واسع لم يبق منه إلا هذا التاريخ الطبيعى **د. حسن عون** : العراق ما توالى عليه من حضارات ص ٥٠

(٢٧) **Bouillet** : La Medcine p 5

معدة الشيطان الذى يتقمصه . وكانت العناصر المألوفة لديهم هى اللحم النىء ولحم الثعابين ونشارة الخشب الممزوجة بالنبيذ والزيت أو الطعام الفاسد، ومسحوق العظام، أو الشحم والأقذار ممزوجة ببول الحيوان أو الانسان أو برازه . وفى بعض الحالات كان يستبدل هذا العلاج بالأقذار ، لبن وعسل وزبد وأعشاب عطرة يحاولون بها استرضاء الشيطان[٢٨] .

وكانت هناك ثلاثة مذاهب للمعالجة :

١ - المعالجة بالنصح (الطب الوقائى)

١ - المعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوان والمعدنية و(الطب المرضى والطب الطبيعى) .

٢ - المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسى) .

وكان العلاج بالماء من أهم طرقهم فى العلاج وربما كان ذلك لما عرفوه من أهمية ماء النهر لإحياء النبات ، واستعملوا الكمادات المبللة ، ووصفوا الاستحمام فى النهر كعلاج لكثير من الأمراض[٢٩] .

٢ - نصوص التشخيص والانذار :

إن الطابع الغالب على طب وادى الرافدين ، هو الكهنوت والسحر . فالكهنة هم الأطباء الذين يتشددون فى الحفاظ على سر المهنة . فكانت معلوماتهم فى البداية أولية لأن الطب عندهم كان طبا تجريبيا بحتا . أما ما يعجزون عنه علميا فكانوا يضعون له تفاسير روحية[٣٠] .

فكان يعتقد أن الأمراض الشديدة تأتى نتيجة لغضب الآلهة أو نتيجة السحر وتأثيره[٣١]. لذلك فإن معظم النصوص القديمة التى وصلتنا- والخاصة بالطب- كانت إما نصوصا سحرية أو وثائق خاصة بالعرافة Omen. Texts أو رقما خاصة بالرقى والتعاويذ Incantation Texts[٣٢]

---

(٢٨) Spencer : L = Myths and Legends of Ancient Egypt 213

(٢٩) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٢

(٣٠) عامر النجار تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ١٩

(٣١) Conteuau : Les civilisations du Proche - Orient p 60

ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ٢٨٤

(٣٢) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٤

وقد كان هناك نوعان من السحر :

الأول : هو السحر المؤذى الضار الذى يمارس من قبل المشعوذين ، وهذا النوع من السحر قد حرمته القوانين .

أما الثانى : فهو السحر النافع ويمارس من قبل رجال الدين أو ما يمكن أن نطلق عليهم «المعزمين» . وكانت ممارسته مقدسة وهدفه الحماية . على أن معرفة المرض وتشخيصه كانت تتم من قبل الطبيب . وكان للمعزم دور كدور الطبيب النفسانى فى شفاء المريض[٣٣] .

ولهذا كان الساحر الطبيب يتمتع بنفوذ كبير آنذاك لأنه كان يمثل الواسطة بين المريض وبين قوى الأرواح التى تتحكم فى زعمهم فى التأثير على المريض ، وكان الطبيب الساحر يقدر على طرد هذه الأرواح من جسم المريض[٣٤] .

ولقد كان السحر جزءا من أنظمة الدولة وأجهزتها .

لذا نرى الملوك يحيطون البلاط بالسحرة والعرافين والمنجمين وكان الطب أيضا تطبيقا عمليا للسحر .

وقد كان السحر فى أيدى إلهين بابلين من الآلهة العظام هما: إلهة مياه القمر العميق الحكيمة [إيا] وهى ذات أصل سومرى وابنها الإله [مردوخ][٣٥] أما بخصوص التنجيم والفلك والرقى والتعاويذ . فقد وجد الأشورى ما يرضى رغبته فى التنبؤ بالأحداث القادمة فصاغ من معلوماته القليلة فنا استعمله فى الطب . وكان فى البداية للتنبؤ بشفاء المريض أوموته ثم توسع وأصبح أيضا للتشخيص والمعالجة . ومن بعد ذلك ابتكر لكل برج من الأبراج الإثنى عشر علامة بجزء من أجزاء الجسم وبنوع أو أكثر من الأمراض[٣٦] .

ولكن استرساله فى هذا الطريق لم يكن ليعود عليه بفائدة علمية إلى أن بدأ بالعرافة والنبوءة من فحص النذور . ومن هذا نشأ شخص له اختصاص مبرز هو «البارع» وجاء اسمه من البراعة فى الملاحظة والاستنتاج وهذا الاختصاص وإن لم يكن ذا نفع

---

(٣٣) عامر النجار : تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ١٥

(٣٤) **Castiglioni** : Histoire de la Medecine p 39

(٣٥) مارغريت روثن : علوم البابلين ص٦٣

(٣٦) **Sigerist** : H : A History of Medicine, Vol I p 393

صحيح فى قراءة الطالع إلا أنه قد أصبح وبصورة عفوية بداية لدراسة علم التشريح المقارن[٣٧] .

وكان البابليون أول من أستخدم التنجيم فى الطب فحسبوا الكواكب والأبراج الفلكية وأثرها فى الولادة وفى وظائف الجسم وفى الأمراض وعلاجها[٣٨] وقد رصد العرافون البابليون النجوم ولكن التنجيم الذى انتقل إلينا بواسطة الرومان كان اختراعا من زمن متأخر كما يشير ذلك الى اسمه المعروف به أى «التنجيم الكلدانى»[٣٩] .

أما طريقة العرافة البابلية وهى أهم الطرق لمؤرخى العلوم فهى فحص الكبد أى «عرافة الكبد»

وقد سيطرت طرق العرافة على الحياة البابلية ، ويمكن أن نقول أنها اختراعات بابلية أو بالأحرى سومرية ، مع العلم بأن الإيمان بالعرافة لم يقتصر عليهم إذ نجده فى العالم القديم لا يختلف عن بعضها .

وكانت أهم الأعضاء الخاصة بالعرافة هى «الكبد» ، وربما ترجع الأهمية الكبيرة التى صارت للكبد إلى اعتقادات تقليدية ليست من التشريح فى شىء . فقد اتخذوا من أكباد الذبائح وسائل للتنبؤ بالغيب وقد عنوا بفحصها عناية فائقة ليكشفوا ما وراءها من نذر وآيات[٤٠] ولكن هذا التفسير مشكوك فيه ، اذا أن التفسير التشريحى المحض هو الذى يبدو مقبولا أكثر .

أما أنواع الكبد التى فحصوها - أو بالأحرى سألوها العرافة أو الفأل - فهما فى الغالب أكباد الخراف أو الماعز . وسمى العرافون الأقسام المتنوعة من الكبد بأسماء خاصة .

ولم يقصر البابليون اهتمامهم على الكبد بل فحصوا الأعضاء المحيطة بذلك العضو أيضا ولا سيما الأمعاء .

وقد جاء ذكر للكبد وأهميته فى العهد القديم فى سفر حزقيال «لأن ملك بابل قد وقف على أم الطريق على رأس الطريقين ليعرف عرافه . حقل السهام سأل بالتراقيم

---

(٣٧) **عبد اللطيف البدرى** : من الطب الاشورى : المقدمة

(٣٨) **الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص٦

(٣٩) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ١٩٦

(٤٠) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٢٢

نظر إلى الكبد»[41] كما أدرك البابليون جزءا آخر من الجسم ألا وهو القلب ووصلوا بالتدريج إلى مرحلة أعتبروا فيها القلب مستودع الفهم أما الكبد فهو موضوع العواطف والحياة نفسها .

وتنوعت طرق العرافة فكان لكل ظاهرة فى الطبيعة ولكل حادثة تفسير تكهنى . واستخدم العرافون الزيت ، فحين سكب الزيت فوق الماء فإن الأشكال التى يتخذها فى انتشاره واختلاطه بالماء تدل على أشكال الأشياء التى ستقع .

وربما اعتمد العراف على طير الطيور أو تفسير الأحلام . وكانت حالات الولادات تلاحظ بدقة ولاسيما الولادات الشاذة أو حالات المولود الممسوخ ، ولا يزال شغف الناس بتعبير الأحلام وتطلعهم إلى أخبار المسوخ [كالعجول ذات الأرجل الست وذوات الرأسين] تحتفظ بأساليب موغلة فى القدم[42] .

وكان الهدف الأساسى للطبيب البابلى هو ترضية الآلهة أو خداعها ، وطرد الشياطين من البدن العليل[43] ويتم هذا بالصلوات والتضرعات ودعاء واستنزال اللعنات[44] والاستغفار وذبح القرابين وإجراء الطقوس السحرية وهكذا ..

وقد استطاع علماء الأشوريات وأهمهم د.كاميل طومسون[45] [١٨٧٦ - ١٩٤١] أن يميزوا عددا من الأمراض الخاصة بالرأس وأمراض العين والأذن والجهاز التنفسى والجهاز الهضمى وأمراض العضلات ، وكان الدواء يوضع على الجزء العليل أو يدخل من الفم والشرج .

كما اهتدى العلماء إلى أعشاب وعقاقير أخرى ، وكانت الوصفات العلمية مذيلة بتعويذة أو رقية . والمرجح أن أكثر الأطباء تجربة قام بذلك من باب احترام التقاليد وإرضاء المريض فضلا عن أنه لم يكن مضرا[46] .

---

(٤١) **العهد القديم** : سفر حزقيال ٢١ = ٢١

(٤٢) **Contenau** : Les Civilisations du Proche - Orient, p. 65

(٤٣) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٠

(٤٤) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ٢ ص ٢٥٢

(٤٥) **Campbell .T.** = Assyrian Medical Texts, Oxford 1923, p 114

(٤٦) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ١٩٦

كا كتب تومسون أيضا فى النبات عن الأعشاب الأشورية بحثا عن الأدوية التى يمكن استخلاصها من الخضروات الأشورية(٤٧) .

ووصف المؤلف فى هذا الكتاب ما يقرب من ٢٥٠ نباتا وعرضا للأفكار الأشورية حول موضوع تلقيح النبات ، كما أن هناك مؤلفا ثالثا هو معجم علم النبات الأشورى(٤٨)

ولا شك أن انتاج «تومسون» كبير القيمة من الناحية التحليلية لعلماء الدراسات الأشورية ولكنه قليل القيمة لمؤرخى العلم .

ومن أبرز النصوص فى هذا المجال سلسلة عثر عليها فى مكتبة «أشوربانيبال» وهى الأن موجودة فى المتحف البريطانى(٤٩) ، كما عثر على كسر منها فى «بوغار كوى الحتى» وغيره من المدن .

أن القسم الأكبر من المعارف الطبية يرجع إلى الألف الثالث ق.م وهى محفوظة نوعا ما فى أربعين لوحة ترجع فى عهودها إلى أزمنة مختلفة أقدمها زمن الملك مردوخ – أبال – أنا [٧٢٢ – ٧١١ ق.م] وأحدثها السنة الحادية عشرة من حكم الملك أرتحششتا [٤٥٣ ق.م] وهى تصور لنا التقاليد البابلية القديمة(٥٠) .

ويتضح من تلك الوثائق الأصل السومرى لمعظم الوثائق الأشورية تمام الوضوح اذ أنها مكتوبة فى الواقع باللغة السومرية ، بل السومرية القديمة وبنسبة كبيرة من العلامات التصويرية . وقد استعمل الأطباء الأشوريون صيغا طبية سومرية ، كما أستعمل الفرنسيون من القرن التاسع عشر صيغا طبية لاتينية ، ولنفس السبب – أى بسبب التقاليد المتوارثه – ذلك لأن السومرية واللاتينية أعرق وأشرف ولها الأفضلية فى كونها مقصورة على الطبقة المثقفة المختارة فلا يستطيع العامة فهمها وهم يحترمون الأطباء كثيرا بسبب ذلك .

و لم يقتصر الأمر فى الألواح الطبية على كونها مكتوبة بالسومرية بل إنها فى الغالب مختصرة لا تعدو أن تكون تقاريرات دون تفسيرات .

---

(٤٧) **Thompson : R.C** = The Assyrian herbal, London 1924, p 322

(٤٨) **Thompson : R.C** = Dictionnary of Assyrian botany, London 1343, p 420

(٤٩) حكم هذا الملك الأشورى فى القرن السابع ق.م [٦٨٨ ق.م – ٦٢٦ ق.م]

(٥٠) **Contenau** = Les Civilisations du Proche - Orient p 228

ويبدو أيضا من هذا أن التعليم الطبى كان أغلبه شفهيا وأن المعرفة الطبية قد انتقلت من المعلم إلى تلميذه ولعله من الأب إلى الابن ، وأن الألواح لم تكن تستعمل للدراسة بقدر ما أستعملت للاستفادة والتذكير أى من قبل المذكرات وهذه الوثائق المكتوبة على ألواح من الطين لا تعطينا سوى شذرات منفصلة متعثرة وأهمها ما يعرف باسم لوح القسطنطينية الذى يقرب أكثر من أى لوح آخر إلى نص طبى كامل على الرغم من كونه قصيرا جدا وهذا اللوح يتناول الأعراض الناتجة عن لدغة العقارب ووسائل علاجها وهى وسائل خارجية بحتة .

٣ - النصوص الطبية التى تجمع بين التشخيص والوصفات

لقد عرف البابليون والأشوريون من الوصفات الأدوية المجربة والوصفات المتنوعة كما أشرنا فالوصفة المجربة بالضرورة ارتبطت بعدد من الأمراض وهذا قاد الكتبة إلى تدوين التشخيص والوصفة أو العكس على رقم منفصلة .

وخير مثال فى هذا المجال : التآليف الطبية والتعليمية التى غالبا ما شملت ثلاثة أعمدة من الكتابة يخص الأول منها أسماء الأعشاب المجربة ، والعمود الثانى يتناول ذكر أسماء المرض،أما العمود الثالث فيدرج فيه الكاتب أو الناسخ الطريقة المجربة لتحضير وإعطاء الوصفة للمريض . فقد جاءت الكتابات الطبية (وهو المعروف عندنا اليوم بالروشتة) بشكل يكاد يكون موحدا ومبسطا . فالكاتب يبدأ أولا بالأمراض كأن يقول «إذا احمرت عين رجل وكثر فيها القذى ..» ثم يعقب ذلك بالتشخيص كأن يقول «فالمرض هو التهاب العين» . وقد يتبع التشخيص فى حالات قليلة ذكر سبب المرض فيقول «وسبب ذلك حر النهار» . ثم يجىء ذكر العلاج فنذكر الوصفة ومكوناتها وكيفية تحضيرها وطريقة استعمالها ثم يختتم الكاتب بالإنذار كأن يقول ! وسوف يشفى ، أو يموت ، أو يزمن المرض وغير ذلك ..

ويظن الطبيب الأشورى أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء عن طريق التنفس أو مع الأكل والشرب عن طريق الجهاز الهضمى ، أو مع الأوساخ عن طريق الجلد ، وهذا هو التعليل السليم لما نصفه اليوم «بالعدوى الجرثومية» فمثلا كانوا يعتقدون بأن الجذام معد وقد اتخذوا الوسائل للوقاية منه . ونتيجة لخشيتهم من العدوى فقد جاءت المادة ٢٧٨ من قانون «حمورابى» تبطل عقد بيع العبد إذا ماظهر به الجذام بعد شهر واحد من بيعه ، وقد أطيلت هذه الفترة الى مائة يوم بعد ذلك .

وقد جاء فى العهد[٥١] القديم ذكر لمرض الجذام وهو أكبر دليل على قدم هذا المرض[٥٢] .

وقد كانت من عاداتهم أن يصب الماء على اليدين قبل كل أكلة وبعدها وهى عادات بالإضافة إلى وقعها الطيب عن النفوس تخدم فى إبعاد العدوى عن الشخص بأكثر من طريقة .

وقد لاحظ الطبيب فى الحشرات تنقل الأمراض . فالطاعون كان من الأمراض المنتشرة وقد جاء فى لوحات «شلمناصر الرابع» و«أشور الثالث» و«أشور نيرارى الخامس» أن حكمهم قد ضعف بسبب أوبئة الطاعون ولعل إدراكهم أن الطاعون ينتقل بواسطة الحشرات جعلهم يمثلون إليه الطاعون «نرجال» على هيئة حشرة[٥٣] .

أما عن الذباب فقد جاء فى المنحوتات صورة لخدم يبعدون الذباب بمنشات عن أكل سيدهم وهو دليل أخر على أنهم أدركوا أن الذباب سبب المرض .

أما عن تصنيف الأمراض فقد وصفها حسب مناطق الجسم فقد كانت هناك أمراض الرأس ، وأمراض العين ، والأذن ، والفم ، والأسنان ، والصدر ، والبطن ، والأطراف . والجدير بالذكر أن الإغريق قد ذكروا نفس هذا التصنيف . فكانت هناك أيضا أمراض الأطفال ، وأمراض النساء ، والتسمم ، والأمراض العقلية[٥٤] .

٤ – ما يخص الطب فى شريعة حمورابى

إن سكان الجزيرة العربية كانوا منقسمين فيما بينهم ، ولم يعرفوا الوحدة إلا قبل الميلاد بألفى سنة على الأقل أو أكثر على يد حمورابى [١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق.م] الذى جمع شملهم ووحد دولتهم ووضع قوانين استخلفها من قوانين المدن التى أخضعها له بعد أن صاغها صياغة جديدة فاضافت إليها الشىء الكثير مما ساعد على وضح أسس التعامل بين الأفراد والجماعات وبينها وبين الدول[٥٥] .

(٥١) **العهد القديم** : سفر الخروج : ٩ = ٨ – ١١
سفر اللاويين : ١٣ = ١٨ – ٢٠
سفر رؤيا حزقيال : ١٦ = ٢

(٥٢) **Conteneau** : Les Civilisations du Proche - Orient p 40

(٥٣) **Castiglioni** : Histoire de la Medecine p 42

(٥٤) **عبد اللطيف البدرى** : التشخيص والانذار فى الطب الأكدى منشورات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٨٦ ص ح

(٥٥) **حضارة العراق** جـ٢ ص ١٢٥

لم تعتمد شهرة حمورابى على فتوحه وتدوينه ورعايته لاقتصاديات بلده بقدر ما أعتمدت على تشريعاته الادارية والقانونية . وهى تشريعات بدأ فى اصدارها منذ العام الثانى لحكمه ، وسجله رجاله على نصب كبير اشتهر منها نصب اكبر من الديوريت ٢ر٢٥ متر ارتفاعا نقشوه فى السنوات الأخيرة من حكمه وصوروه فى جزئه العلوى يتلقى الإذن باصدار تشريعاته من رب العدالة ورب الشمس «شمش» ويبدو أنهم أقاموه فى معبد مردوك بابل .

و لم تكن تشريعات حمورابى هى الأولى من نوعها فى تاريخ بلاد النهرين ، فقد سبقتها ثلاث محاولات للتشريع ولتدوين نصوص العرب القديم فى «أور» و«إشنونا» و«إسين» .

ولقد تولى تجميع هذه التشريعات فى عهد حمورابى عدد من رجاله القانونيين والاداريين .

وتعد شريعة حمورابى من أعظم الوثائق التى أمدتنا بمعلومات طبية خاصة عن قوانين الجراحة عند البابليين والأشوريين .

فمن بين مئات الرقم الطينية التى تعنى بالعلوم الطبية لا توجد سوى كسرتين فيما يخص الجراحة(٥٦) .

الأولى ربما تخص إزالة الماء الأزرق من العين ، والثانية ربما تتعلق بعملية إزالة الجزء الملتهب من أحد العظام ونقرأ فيها : «إذا كان المرض قد وصل إلى داخل العظم فعليك أن تكشطه وتزيله» .

وقد تكونت شريعة حمورابى من ٢٨٥ مادة وقد رتبت ترتيبا يكاد يكون هو الترتيب العملى الحديث ، فتناولت أمور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وعقود الزراعة وشروط القروض والأحوال الشخصية وغيرها من أمور كثيرة(٥٧) .

فتنص شريعة حمورابى مثلا على أن الجراح إذا ما استعمل مشرطه البرونزى وأخطأ فى استعماله تقطع يده ، وإذا تعاطى أجرة أكثر مما يستحق يعاقب بالحبس فالمادة ٢٨ تتحدث عن الجراح إذا ما صنع جرحا كبيرا فى جسم مريض أو خاط جرحا كبيرا حدث به كما أن هناك المادة ٢١٥ من نفس القانون والتى تنص على أنه إذا أجرى الجراح

---

(٥٦) Harper = R.F = Code of Hamurabi, p 29

(٥٧) حضارة العراق جـ٢ ص ١٢٥

ول ديورانت قصة الحضارة جـ٢ ص ١٨٨

عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وأنقذ حياة النبيل أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وأنقذ عين النبيل فيأخذ عشرة شيقلات من الفضة أجرة له ، أما إذا تسبب فى موت ذلك النبيل أو فى تلف عينه تقطع يد الجراح أما فى حالة كون المريض من الطبقة العامة أو من العبيد فيكون الأجر أقل من ذلك . فهى بذلك نظمت أسعار الخدمات الطبية وأجور الأطباء وعرضت كذلك عقوبة على الحاضنات والمراضع اللواتى يهملن العناية بالرضيع(٥٨) .

كما أن بها موادا تنظم مهنة الطبيب وتحدد الأجر الواجب تقاضيه عن الحر والمستنير والعبد(٥٩) . كما أن القانون يعنى بالجراح أكثر مما يعنى بالطبيب . ففى المادة ٢٢٠ ذكر الطبيب إذا ما أجرى عملية بعين مريض ، والمادة ٢١٥ تتناوله إذا ما فتح خراج مريض . كما يميز القانون بين الطبيب والجراح والجراح والبيطرى والحلاق ويحدد أجورهم وذلك وفق حاله المريض الاجتماعية كما حدد عقوبات الأخطاء المهنية(٦٠) ومما هو جدير بالذكر أن المادتين ٢٢٤ – ٢٢٥ من قوانين حمورابى تتعلقان بالطب البيطرى .

فإن المواد من ٢١٥ الى ٢٢٣ من قانون حمورابى تعد من أقدم القوانين الطبية فى الوجود ، وتبين مدى المكانة المرموقة التى يحملها الطبيب فى المجتمع البابلى الأشورى ، وفى نفس الوقت تظهر لنا مدى صرامة العقوبات التى يمكن أن ينالها الطبيب المهمل(٦١) .

وبما أن الطب البابلى زاخر بالتعاويذ فنجد حمورابى يختتم قانونه بمدح مفرط للملك العادل واستحلاف رعيته أن يطيعوا قانونه الذى منحهم إياه ، وستنزل اللعنات الشديدة على من يبلغ به الإثم والحمق أن يعصيه وبعض هذه اللعنات خاص بالطب(٦٢) .

٥ – الرسائل ونصوص أخرى متفرقة :

تميزت بعض المراكز الحضارية – البابلية والأشورية عن غيرها فى مجال العلوم الطبية .

---

(٥٨) الشطى : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٣
(٥٩) لبيب عبد الستار = الحضارات ص ٥١
(٦٠) مارغريت روثن = علوم البابلين ص ٦٨
(٦١) حضارة العراق جـ٢ ص ٣٢٥
(٦٢) جورج سارتون جـ١ ص ١٩٨

ومن تلك المراكز مدينة «نفر» وهي «نيبور» ومدينة «أيسن» و«أشور»[٦٣] و«نينوى» و«يورسبا» .

ونتيجة لذلك فقد كان للطب أدبا خاصا وللطبيب مكانه مرموقة فلقد كان على الطبيب أن يكون حليقا نظيفا حسن اللباس ، يدل مظهره على الاحترام ، يعلن عن دخوله بيت المريض بأنه مستعين [أيا] و[مردوخ] على الشفاء ، وأن يحمل فى زياراته حقيبة فيها من الأعشاب والأدوية ما يحتاجه فى مداواة المريض وأن تكون تلك الحقيبة محتوية على بعض الآلات الجراحية وبعض اللفائف[٦٤] . ونظرا لتلك المكانة فى العلوم الطبية تمتع الطبيب أيضا بمكانة خاصة عند الملوك وعند الناس . وكان كثير من الملوك يرسلون بالرسائل طلبا لهذه الخبره للاستعانة منها فى بلادهم بشكل عام ولمعالجة حاشيتهم الملكية بشكل خاص ، وكان إرسال طبيب لملك صديق أمر مستحق التسجيل فى التاريخ .

وقد عثر على رسائل مرسله من مملكة مارى إلى أشور ، كما جاء فى إحداها أنه الملك «تو شراتا» ملك «ميتانى» أرسل للفرعون «أمينوفيس الثالث» تمثال عشتار ومعه طبيب لكى يعالجه من مرض ألم به . وفى رسالة أخرى أن «موطاليش بن مرشيليش» ملك الحيثين كان يشكو من فأفأة عصبية السبب تعذبه كثيرا حتى فى أحلامه . وكان له طبيب مصرى لم ينجح فى معالجته إلى أن أرسل له الملك البابلى «ناظم الروتاشى» طبيبا من بابل طمعا فى تقوية أواصر الصداقة معه لمحاربة الأشوريين . وقد كان هذا الطبيب أنجح فى معالجته من زميله الموجود[٦٥] قبله وأيضا كان ابن حاطو شليش مريضا منذ صغره ولكنه عاش طويلا وحكم من سنة ١٢٧٥ – سنة ١٢٥٠ ق.م ويرجع ذلك لطبيبه «راباشا مردوخ» الذى جلب معه لوحات .

وكان «أسرحدون» الذى احتل ممفيس فى مصر مريض النفس والجسم لأنه أخذ

---

(٦٣) أيسن : حكم ملوك سلالة «أيسن الأولى هذه المدينة اكثر من مائتى عام [٢٠١٧ – ١٧٩٤ق.م] بعد سقوط امبراطورية أور التالية بزعامة مغتصب الحكم البدوى الأصلى ايشبى – ايرا [٢٠١٧ – ١٩٨٥ ق.م] وخلفائه الذين جاءوا من بعده مباشرة . وقد توسعت سلطة المدينة بشكل سريع ولذلك استطاع الملك من الإيحاء بخلافة أور باعتبار أنها السلطه البارزة فى المنطقة . ولقد فتح «ريم – سن» ملك لاريسا ومدينة ايسن فى السنة التاسعة والعشرين من حكمة واعتلى العرش قبل أن يعتلى حمورابى عرش بابل بحوالى ستين. ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٩٢

(٦٤) **Contenau : Les Civilisations du proche - Orient p.228**

(٦٥) **ديلابورت** : بلاد ما بين النهرين جـ١ ص ٢٨٤

العرش بعد أن قتل والده ، فأدى ذلك إلى بقائه معذب الضمير ، بالإضافة الى أنه أصيب بالتهابات المفاصل . وقد كتب فى آخر أيامه : «أنى لا أقدر على فتح عينى وتأكلنى الحمى التى تحرق أطرافى . وكان له طبيب يسمى «أرادنانا» كتب له مرة يقول . لقد أخبرت سيدى أن فى رأسه وقدميه التهابا وسبب ذلك يرجع الى مرض أسنانه الذى يجب أن تخلع وعندها ستذهب آلامه وتتحسن صحته» . كما وجدت فى «نيبور» لوحة تعود رمتها إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م فيها تقرير عن حالة مريضة فى مدرسة الغناء والرقص ، وقد كتب طبيب يدعى «مكلم» قال فيه : «إن حالة المغنية فى مصر سيدى جيدة وأن الحمى عند بنت «مستالو» قد تحسنت» .

ونستطيع أن تستشف من تلك الرسائل أن الأطباء كانوا يرفعون إلى درجات أعلى نتيجة لخدماتهم الجليلة فى البلدان المجاورة والبعيدة ، كما مكنتنا تلك الرسائل من معرفة بعض الشيء عن طبيعة تنظيم وترتيب الأطباء استنادا لمراتبهم العلمية . فقد كان لا يمارس الطب إلا أفراد من طائفة بذاتها من طبقة اجتماعية معينة . ففى البدء لم يكن يرخص للكهنة بممارسة الطب ثم امتدت الرخصة بعد ذلك إلى كثيرين . وكانت لديهم طبقة من المتطببين يؤدون الخدمات الطبية الهينة ولعلهم كانوا مساعدين للأطباء والجراحين[٦٦] .

وقد كان الذين يعالجون المريض من المتطببين ثلاثة :

(ا) **الكاشف** ASIPU وهو أول من يستدعى منهم ومهمته تشخيصية . تبدأ بتقصى ما تضعه الصدف تحت سمعه وبصره ابتداء من ساعة استدعائه وانتهاء بوصوله للمريض مضيفا الى تقديراته كل ما يعترضه فى الطريق وما يجده حول المريض سواء كانت من الظواهر الطبيعية أو من الأحياء أو الجماد ومن تفسيره لها ، ولما يعتقده ذا أهمية فى رأيه يضع التشخيص والإنذار .

فإذا مر طير لاحظ نوع هذا الطير وهل مر من اليمين الى اليسار أم عكس ذلك ، وهل الطير أصدر صوتا أم مر صامتا وقد اعتبر مرور الطير واتجاهه وصوته أمور لها علاقة بالمريض الذاهب للكشف عليه[٦٧] . وكان أيضا بنظر الى المريض وما حوله فإن

---

(٦٦) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٤

(٦٧) **Castiglioni** : Histoire de la Medecine, p 42

رأى رجلا عند رأسه فسر الأمر بشيء أو عند قدمه فسره بشيء أخر . وإن كان مكان الرجل امرأة إختلف الأمر أو إن كان طفلا استنتج شيئا ثالثا .

وعندما ينظر إلى المريض يهتم بالوضع الذى يراه فيه وهل هو مستلق على يمينه أم على شماله أم على قفاه،وهل هو ساكن أم يتقلب،وهل هو متألم ضجر أم مطمئن . وبعد ذلك يسأل المريض أو أهله متى بدأ المرض وفى أى وقت من أوقات اليوم فى الليل أم فى النهار ، وقد يسأل ماذا حدث فى اليوم الأول واليوم الثانى والأيام التى بعدها ، وإن كان ذلك المرض قد طال الى زمن يستوجب هذا السؤال ، ويسأل كذلك ما شاء له السؤال عن أمور طبية يراها ضرورية . وبعد كل هذا ينظر للون بشرة المريض ويلمسه ليرى ان كان محموما أو بارد الأطراف وهل هو جاف الجلد أو رطبه . وقد ينظر إلى عينيه أو بطنه أو أطرافه حسب ما يقتضى الأمر ، ونجد الكاشف ASIPU فى الوقت نفسه قد يضيف حساب الفلك والأبراج وما يمكن أن يساعده فى التشخيص والانذار وقد لا يتعدى التشخيص ذكر كون المرض آتيا من استحواذ أحد الآلهة على ذلك المريض فيقول أن يد الإله فلان قد أصابته أوقد يقول أحيانا أن المرض ناتج عن انتهاك قدسية الآله أو حرقة معابدها آتيا من المشى على أرض غير طاهرة(٦٨) ثم يأتى بعد ذلك على ذكر الانذار ليقول أن المريض سيموت أو أنه سيشفى ، وقد بذكر موعد موته فيحدده بأجل معين ، قد يكون فى نفس اليوم أو قد يطيله عددا من الأيام ومثله للشفاء وموعده .

(ب) **الآسى** ASÛ و«معناه الذى يعرف الماء»(٦٩) وهى كلمة سومرية ينتهى دور الكاشف عند هذه المرحلة فيستدعى بعدها «الأسى» وهو الطبيب الذى يصف الدواء ويحضره ويشرف على تعاطيه فيعين مقدار الجرعة وتكرارها وأسلوب تعاطيها ، وهو الذى ينصح بما يسمح للمريض من أكل وشرب وهو الذى يوصى أيضا باستدعاء الجراح اذا لزم الأمر .

وقد اتضح للكاشف بمرور الزمن أن دوره قد بدأ يتضاءل بعد أن كان الأهم ، وأن مكانة الطبيب بدأت تحتل الصدارة ، وعرف أيضا أن السبب فى ذلك هو اعتماد الطبيب على الأمور المادية فى ممارسته للمهنة فهو يبنى الانذار على ما يراه فى المريض

---

(٦٨) **عبد اللطيف البدرى** : الطب الأشورى : المقدمة

(٦٩) **Contenan** : LesCivilisations du Proche - Oreint p 207

ولا شيء غير ذلك فيقول مثلا اذا توجع المريض من بطنه ، وكان ألمه شديدا فإن به كذا وكذا ولمعالجته يعطى كذا وكذا .

ولقد أثبت هذا الأسلوب أنه أكثر نجاحا من دور الكاشف الذى يعتمد على أمور أثبتت التجربة أنها ليست ذات علاقة بالواقع أو بصحة المريض ، بل أنه اعتمد على الأمور المادية فى ممارسته للمهنة ، ونتيجة لذلك خشى الكاشف من تدهور مكانته فاستعان بالطوالع والنجوم(٧٠) للتأكد من صحة رأيه فى التشخيص والانذار ، ولكن هذه بدورها لم تضف الكثير للواقع العملى عنده مجددا استعانته بقراءة الطالع فى أجسام القرابين والتركيز على التفاوت التشريحى بين جسم ذبيحة وأخرى وهذه بدورها أيضا لم تفده الكثير لأنها مبنية على أساس واه فلم يعد أمامه إلا السير بنفس الطريق الذى سلكه الطب . وهكذا أصبح الكاشف فى أدواره المتأخرة يضيف شيئا من الأدوية مع الرقى والأدعية بعد تشخيص الداء واستنتاج الإنذار .

وبعد تلك الخطوة شعر الطبيب بمراجعة الكاشف له فى مهنته . ومع أنه قد أصاب نجاحا أكبر إلا أنه ثبت فى هذه المنافسة وعزز مكانته بجعل ممارسته أكثر واقعية بإضافته ما يرفع من حالة المريض النفسية علما منه أن المريض المتفائل المملوء بالأمل أكثر احتمالا للمرض وأقرب للشفاء من المتخاذل أمام رهبة المرض .

وهكذا رجحت كفة الطبيب على كفة الكاشف لدرجة أن قوانين حمورابى التى جاءت فى وقت متأخر نسبيا ذكرت إسم (الطبيب) وحده فى النصوص المتعلقة بالطب وأهملت ذكر الكاشف تماما .

ويلاحظ مما جاء فى مختلف الألواح أن آسى (الطبيب) القديم [كما جاء فى لوحة نيبور] قد كتب لوحاته خالية مما يتعلق بالسحر والأرواح أو الأدعية أو التعاويذ ، ولكنه أضاف فى آخر اللوحة [كما جاء فى لوحات مكتبة أشوربانيبال] شيئا من التعاويذ والأدعية مفصولة عن الكتابة الطبية وجعلها فى الأخر وصحبها بطقوس أستعمل فيها الأدوية التى يستخدمها فى معالجاته الأخرى(٧١) .

(جـ) **النوع الثالث** من الأطباء لم تذكره النصوص الطبية صراحة إلا فى النادر ، غير أن الكتابات الأخرى والشرائع ذكرته بما يكفى لإعطاء صورة عنه . هذا النوع من

---

(٧٠) **Bouillet** = Histoire de la Medecine p 7.

(٧١) **Garrison** : F = Histoire de la Medecine, p 63

الأطباء هم «الجراحون» لقد ورد ذكر الجراحة فى نصوص عديدة منها فى الكتابات الطبية،وأخرى فى الشرائع،وثالثة فى الرسائل المتبادلة بين مختلف الناس،ورابعة فى الأدب والملاحم والقصص وغيرها ، كما وردت نصوص عن عمليات جراحية لقدح العين وعمليات خراجات الأذن وخلع الأسنان(٧٢) .

لقد لجأ الأشوريون إلى الجراحة فى طبهم ، ولكن معرفتهم بالتشريح كانت بدائية بل أكثر بدائية من المصريين القدماء . وقد جاءت معرفتهم هذه من تقطيع الحيوانات التى تذبح لتقدم قربانا للآلهة أو لإطعام الناس هذا بالنسبة للحيوان . أما فيما يخص التشريح البشرى فإنه عرف الكثير من النواحى التشريحية من ملاحظة مظاهر الجسم ، وزادت معرفته بملاحظته ما كشفت عنه جروح القتال خاصة الكبيرة منها . ومن مقارنة المعلومات التشريحية فى حيوانات القرابين مع شبيهاتها فى جسد الإنسان(٧٣) .

لقد عرفوا التشريح معرفة جيدة واهتموا بدراسة كبد الإنسان لظنهم أن الكبد رئيس جميع الأعضاء ، وأنه مركز العاطفة ، كما أن القلب عندهم مركز العقل(٧٤) . فقد كان الطب والجراحة من اختصاص الإلهة [بُوْ] التى لا تخطىء . فمن يخطىء هو الوسيط البشرى أى الطبيب وهذا ما يدعو الجراحين إلى الامتناع عن كل عملية غير مؤكدة النجاح لأن العقاب ينتظرهم .

ومن الطريف أن يذكر شيء عن الحية باعتبارها رمزا للشفاء . فقد كان المظنون أن هذا الشعار من وضع اسقلبيوس الأغريقى ولكن فى متحف اللوفر بباريس منحوته وجدت فى «لكش» وهذه المنحوتة قد زينت دورقا فيه صورة لحيتين ملتفتين على بعضهما يقف خلفهما «جوديا» امير لكش ومكتوب عليها أنها مهداه إلى «نينكيش زيدا» آله الشفاء ، ويرجع تاريخ هذه المنحوتة إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م

كما جاء أيضا فى ملحمة جلجاميش ما يؤكد أن الحية هى رمز الشفاء «عندما شاءت الآلهة أن يموت رئيس جلجاميش يذهب هذا باحثا عن الأعشاب التى تعيد الحياة الى رفيقه ، فلما وصل إلى بحر الأزل غاص فى أعماقه ووجد الأعشاب التى تحيى الموتى

---

(٧٢) **عبد اللطيف البدرى** : من الطب الأشورى : المقدمة

(٧٣) **Contenau** : Les Civilisations du Proche - Orient p. 56

(٧٤) **عامر النجار** : تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ص ٩

فأخذها وقفل راجعا إلى أوروك . وفى الطريق من شدة الحر اضطر للاستحمام فى بحيرة باردة بعدما ترك ملابسه والأعشاب على الصخور ، وعندما أراد كيس ملابسه بعد أن أكمل استحمامه لم يجد الأعشاب بل وجد حية قد أكلتها . وبدأ تأثير العشب على الحية بسرعة فنزعت ثوبها وعادت فتية من جديد ، ومنذ ذلك التاريخ والحية تعيد نزع ثوبها ليتجدد شبابها .

البـاب الـرابــع

الطب عند اليونان

الفصل الأول
الحضارة اليونانية الرومانية

الحضارة اليونانية

ازدادت الصلات بين مصر واليونان ازديادا كبيرا منذ الأسرة العشرين [٦٣٣ - ٥٢٥ ق.م] وهو عهد النهضة التى تسمى نهضة «صاالحجر» حين غدت مدينة صاالحجر فى غرب الدلتا (على فرع رشيد)، وسمح أحد ملوك تلك الأسرة وهو أحمس الثانى [أمازيس عند اليونان] لليونانيين أن يبنوا لهم مدينة «نوكراتيس» فلم يلبثوا أن جعلوها أكبر مركز تجارى فى مصر وأصبح هذا المركز نقطة اتصال مستمر بين مصر وبلاد اليونان[١] وكانت المدينتان «صاالحجر - ونوكراتيس» قد سبقتا تأسيس الإسكندرية وقد تم ذلك أواخر القرن السادس عشر ق.م أى قبل هيردوت وهيبوقراطيس.

وقد بلغ الطب اليونانى شأوا عظيما فى تلك الفترة إلا أن معظم معارفهم قد اكتسبوها من المصريين القدماء فاستوعبوها وهضموها جيدا، كما أنهم أخذوا عن الكلدان والسريان[٢]. بل لقد أضافوا إلى طب هذه الحضارات الشىء الكثير ذلك لأن العقلية اليونانية تميزت بأنها عقلية تركيبية نشطة. فمن المعروف أنه لما فقدت مصر وبابل استقلالهما بعد ظهور دولة الفرس، وغزوها لمصر فى القرن السادس ق.م، أنتهى بذلك العصر الشرق الذى بنيت على أطلاله كل الحضارات التى تلته ثم انتقل مركز العلم إلى الإغريق[٣] وهناك ظاهرة أخرى اتسم بها الشعب الإغريقى وهى أن العلم الذى كان فى بداية عهده سريا شأنه فى ذلك شأن الحضارات التى عاصرته سرعان ما حطم قيوده وتخطى الحدود التى كان موضوعا فيها. وإذا بالطائفة تتحول إلى مدرسة وإذا بالمرتدين يتحولون إلى طلبه، وإذا بفلاسفة أثينا يتجادلون أو يتفلسفون فى كل المناسبات كالحفلات والولائم. لقد حقق الإغريق تقدما كبيرا فى الطب، إذا يقول «الدوميلى» «فى وسعنا أن نقرر أنهم رفعوا ذلك العلم الذى هو فن فى الوقت نفسه إلى مستوى لم يتجاوز اليوم إلا فى الجزئيات والمعارف الخاصة[٤].

---

(١) Breasted : History of Egypt, p 590

(٢) داود الأنطاكى : تذكرة داود ص ٣١

(٣) د. فهمى أبادير : تاريخ الطب عند العرب ص ١٥
عامر النجار : تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ٢٠

(٤) الدوميلى : العلم عند العرب ص ٥١

ففى سنة ٥٠٠ ق.م كان للطب فى اليونان مذهبان(٥)

(ا) مذهب يهتم بالعمل على شفاء المريض بصرف النظر عن نوع المرض الذى يشكو منه ، لأن أصحاب هذا المذهب كانوا ينظرون إلى جميع الأمراض على أنها مرض واحد . من أجل ذلك كانوا يهتمون بالتشخيص ومعرفة المرحلة التى وصلت إليها حالة المريض ويمر المريض عند هؤلاء بثلاثة أدوار :

١ – دور الحضانة للمرض أو بدء ظهور أعراضه .

٢ – البحران أو دور اشتداد المرض .

٣ – دور النقاهة التى يمكن أن تؤدى إلى الشفاء أو إلى انتكاس فى حالة المريض .

(ب) ثم كان هناك مذهب الذين يهتمون بالتشخيص الوصفى أى معرفة نوع المرض قبل البدء بمعالجة المريض .

إن تاريخ الطب الإغريقى – بمعناه الأخص – يبدأ «بأبقراط الكوسى» الذى ظلت كتبه المسماه التعريفات Aphorisms(٦) فى مقدمة «المتون» التى ينتفع بها الأطباء . وكانت هذه المجموعة من التعريفات من بين المؤلفات الطبية الأولى التى ترجمت إلى العربية على يد «حنين بن إسحق» الذى كان قادرا على استعمالها فى صورتها الإغريقية .

وهناك ترجمة سريانية مجهولة المترجم نشرها «بنيون Pognon» فى ليبيزج سنة ١٩٠٣ ولكن تاريخها لا يظهر عليها .

وفى أواخر عهد مدرسة الإسكندرية اعتبرت مؤلفات جالينيوس Galen حجة فى الطب ، واتخذت مختارات من مؤلفاته برنامجا رسميا لدراسة الطب وقد استعيد هذا البرنامج فى مدرستى «الرها وجنديسابور»، وأعدت نسخ سريانية ليستعملها الطلبة الذين يتكلمون السريانية ، وتم الكثير من هذه الترجمات السريانية على يد «سرجيوس الراسعينى» ، ثم راجعها من بعده حنين بن إسحق وأصحابه فى دار الحكمة ببغداد أو أستبدلت بها نسخ غيرها أعدت فى هذه المدرسة .

وهذه الترجمة إلى السريانية تقدمت فى الزمن على إعداد النسخ العربية ، ولكنها استمرت زمنا طويلا تستعمل إلى جانب الترجمة العربية .

---

(٥) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٦

(٦) Littré : Oeuvres Complètes d'Hippocrate, Paris 1839

ولكن بعد أن أصبحت مصر قطعة من الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠ ق.م انتقل مركز العلم إلى روما ، وأنطفأ نور الإسكندرية تحت رماد مكتبتها التى أحرقها الثوار سنة ٣٩١ م(٧) .

وفى ذلك الوقت كانت روما تقوى وتزداد نفوذا وسيطرة على مر الأيام . وكان الرومان شعبا باطشا له عبقرية ملحوظة فى التأسيس والتنظيم ولكن دون ولع كبير – على الأقل فى عهده الأول – بالفنون والآداب والعلوم .

كان أطباؤهم قلة وكانوا قليلى التدريب ، وكان أكثر الرعاية الطبية للمرضى يقع على عاتق رب الأسرة مهما بلغ من تفاهة علمية من الناحية العلاجية .

وبمرور الزمن وبازدهار الطب الإغريقى وعلو شأن روما أخذ الأطباء اليونان ينزحون إليها ويعلقون لأفتاتهم على الأبواب ، بيد أن أكثرهم كانوا مشعوذين أو أفاقين وكانوا يقابلون من الرومان بالاحتقار . فقد كانوا أجانب لا مواطنين من ناحية،ومن ناحية أخرى كان معظمهم أرقاء.عندما أراد «كاتو» التائب أن يسدى لولده بما كان يسميه نصيحه طبية ، حذره من الأطباء اليونانيين وحتم عليه أن يخلص لتقاليد الأباء ، وظل هو نفسه يقوم بعلاج أهل بيته حتى يقال : أنه عمل على قتل امرأته بما وصف لها من دواء(٨) . ولكن على الرغم من ذلك لم يمنح الأطباء اليونان حق التجنس بالجنسية الرومانية الا على يد «يوليوس قيصر» سنة ٤٦ ق.م . وكان أول طبيب يونانى أكسب نفسه شهرة طبية فى روما عن جدارة هو «اسقلبيوس»(٩) الذى يقال أنه استعار اسمه من إله الطب الإغريقى . وقد ولد سنة ١٢٤ ق.م وتعلم فى أثينا والإسكندرية ، ونجح فى روما نجاحا أضفى عليه لقب «أمير الأطباء» . وكان صديقاه «مارك أنطونيو» و«شيشرون» الخطيب العظيم .

واشتهر كذلك من الأطباء اليونان المتأخرين فى روما :

«سورانوس» : وقد أثبت شهرته على براعته فى التوليد ورعاية الأطفال .

«أرتياءوس» الذى سمى مرض السكر وكان من مجموعة أبقراط .

«ديقوريدوس» : كان له إلمام كبير بالعقاقير وله فيها مؤلف عظيم .

---

(٧) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٢٢

(٨) المرجع السابق ص ٥٩

(٩) Avolon : J = Imhotep, Aesculape, Oxford 1921 p.36

«متريداتوس» ملك بونطي Pontus الذى كرس حياته لدراسة السموم وركب «ترياقا» زعم أنه يشفى كل الأمراض ، وكان يحتوى على مفردات عددها خمسون وظل يستعمل من بعده عدة قرون .

«سلسلول» المؤلف الرومانى العظيم فى الطب الذى اكتسب شهرته عن جدارة . وأغلب الظن أنه لم يمارس الطب لأنه كان مواطنا رومانيا ولقب باسم «شيشرون الطب»[١٠] .

واشتهر كذلك من المؤلفين الرومان فى ذلك العهد «بلاينى الأكبر» . لقد جمع كثيرا من المعارف الطبية حقها وباطلها وهو - ولو أنه أدنى بكثير من سلول - إلا أن مؤلفاته وجدت فى العصور الوسطى كثيرا من القراء .

ونظرا لذلك فقد اهتمت روما بالطب ولكن كان الاهتمام الأكبر بالصحة العامة أكثر من صحة الأفراد . فقد ترك طب الأجسام لليونانيين فبرعوا فيه واتجهت الحكومة من جانبها إلى العناية بالصحة العامة . فأنشأت مدارس للطب يتدرب فيها أطباء الجيش والحرب وأطباء الفقراء من المواطنين . ولعل هؤلاء الأطباء تعلموا فى البداية على أيدى الأطباء الإغريق[١١] .

وقد ظل الطب اليونانى حتى القرن الخامس ق.م وثيق الارتباط بالدين إلى حد كبير . فقد انتشرت هياكل «أسقليبوس» أو هياكل الشفاء وأصبحت مراكز للعلاج الطبى ، وعد منها فى العالم اليونانى حوالى ٣٢٠ هيكلا[١٢] .

لقد بقى هذا المكان المقر الرئيسى لعبادة أسقليبوس ثم اشتهرت بعد ذلك . وبالإضافة إلى ذلك الهيكل عدة معابد أخرى مثل معبد كنيدوس Cnidos وكوس Cos ورودس Rhodes وبرقة Cyrène[١٣] .

وكان لهذه المعابد أو الهياكل أهمية خاصة بالنسبة إلى النشأة الأولى للطب اليونانى . فإنه حين تعذر وجود مطببين ، كان فى استطاعة النبهاء من الكهنة أن يجمعوا بيانات تاريخية عن الحالات المرضية ، ولا يستبعد أنهم دونوها وحققوها ، بل لعلهم أخذوا

---

(١٠) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٢ ص ٣١٦
(١١) المرجع السابق ص ٥٥
(١٢) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٢ ص ٢٠٩
(١٣) جورج سارتون : جـ١ ص ٢١١

فى تصنيفها وتبويبها بقليل أو كثير من الوعى والتعهد حتى تم لهم تدريجيا تأليف مصنف فى الاختبارات الطبية .

وكان كهنة هذه الهياكل يقومون بعلاج المرضى عن طريق خليط من الأدوية التجريبية والطقوس المؤثرة كالرقى السحرية التى تؤثر فى خيال المريض . وليس بعيدا أنهم كانوا يلجأون أيضا إلى التنويم المغناطيسى وإلى بعض المخدرات .

وقد كانت هذه الهياكل عبارة عن نماذج فخمة لفن العمارة فى عهد الإغريق تختار لها أجمل المواقع . وفى مثل هذا الجو وتحت رعاية كهنة موقرين لابد أن المريض كان يشعر بالخلاص من نصف علله وذلك أول ما تطأ قدمه أرض الهيكل ، ثم لا يلبث أن يدخل حتى يقدم قربانه ويستحم وينام فى الرواق من تحته البحر ومن فوقه نجوم السماء . فإذا أغرق فى النوم جاءت حية الشفاء ولعقت أجفانه ثم يتجلى ويظهر له أسقلبيوس فى هاله من النور أو ناداه من حيث لا يراه ووصف له الدواء المطلوب .

فإذا أشرق الصباح شعر بالعافية تدب فى أوصاله وأزداد ثقة بالشفاء إذا قرأ سجلات الهياكل السحرية التى تروى أخبار من نالوا الشفاء ممن كابدوا ما يكابد من علل وآلام .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد أن «الإسكندر الأكبر» عندما أصابته الحمى فى أعقاب غزوة الفرس ، نام بعض أتباعه نومة الهيكل يبتغون شفاء العاهل العتيد .

وكان المزعوم فى البداية أن الشفاء بنومة الهيكل ، إنما ينشأ من معجزة تحل بغته خلال الليلة الوحيدة التى يقضيها المريض فى زيارة الهيكل ، ثم رؤى شيئا فشيئا أن التداوى يحتاج إلى إقامة أطول والاستحمام فى حمامات خاصة والرياضة وألوان أخرى من العلاج تشبه ما يتبع اليوم فى المصحات ومدن الاستشفاء . لقد أدرك كثير من الإغريق بما أوتوا من الفطنة واتساع الأفق أن هذا الطب الكهنوتى محفوف بالكثير من ألوان الدجل والشعوذة ، وقد أشار بذلك كاتبهم الفكاهى «أرستوفانيس» مؤلف مسرحية تسمى «بلاتون» ويجعل بطلها الإله الضرير المسمى بهذا الاسم ينام فى الهيكل ملتمسا أن يرد بصره إليه . وكان مع «بلاتون» عبد من عبيده لم يدركه النوم ففتح عينيه فرأى خادم الهيكل ينتقل من مذبح إلى مذبح ويجمع فى جراب معه ما على المذابح من قرابين . ثم أبصر «أسقلبيوس» قادما يمسح على عينى «بلاتون» بالكتان ثم تعقبه ابنته «باناسيا» فتعصبها بعصابة حمراء ثم يصفر أسقليبوس ، فتأتى حيتان عظميتان تحشران رأسيهما تحت عصابة الإله الضرير وتلعقان أجفانه وينتهى العلاج .

لقد كان العلاج بالنبات مألوفا عند اليونان . فقد وضع شيرون Chiron[(١٤)] وهو الذى قام أبولو إله الطب بتعليمه فن الطب والدواء . وكانت المعلومات الأساسية فى العقاقير قد تجمعت طيلة قرون طويلة على أيدى جامعى الأعشاب ومقتلعى الجذور Rhizotomoi . بناء على ما فى متناول يدنا من جملة المعلومات المتجمعة عن طريق التجربة ، وكل ما يعرف من بطء شديد فى هذا الطريق ، نستطيع أن نقرر أن ذلك استمر أجيالا لا تحصى . فد اختبر عدد كبير من النباتات وعرفت بعضها ونافعها وكشفت أخص مؤثراتها ، ثم استنبطت الوسائل الفعالة لجمع ما كان منها أكثر نفعا .

وإن لم يكن تعليل منافعها تعليلا معقولا وجدت الخرافة والسحر مكانهما إلى استكمال ذلك ، ولذا يتعذر علينا أن نخوض فى هذا دون أن نتوه فى مجاهل الخرافات[(١٥)] .

لقد كان التأثير الكبير لبعض أنواع النبات معروفا لدى «مقتلعى الجذور» قبل نشأة علم الطب بزمن طويل .

فقد تلقى الأطباء الأبقراطيون من أسلافهم المجهولين كنوزا من العقاقير . وكل ما أحتاجوا إليه من الأعشاب جمعه لهم عشابون محترفون تقيدوا فى عملهم هذا بجميع الطقوس الخرافية المعهودة .

كان عليهم مثلا فى أثناء عملهم هذا أن يكونوا فى حالة من الطهر ناتجة عن قيامهم ببعض الشعائر الدينية ، والا فلا تنفع الأعشاب المجموعة . وكان يشترط فى بعض أنواع الأعشاب أن تجمع فى الظلام ، أو فى أوان ازدياد القمر أو تناقصه ، وأن ترتل أثناء جمعها بعض الكلمات والتعاويذ ويستخدم لذلك أدوات خاصة . وتتناول الأعشاب المجموعة بحسب مراسم معينة ، ويجرى ذلك على وجوه شديدة التنوع ويهيمن على مرحلة من المراحل مجموعة من المعانى السحرية[(١٦)] .

وعلى كل فلم يكن لزاما على أطباء العهد اللاحق أن يستكشفوا الأعشاب أو الجذور بل كان يؤتى بهما إليهم ، وكانت مهمتهم تقتصر على إعادة استقلاع خصائصها وتبيين طريقة الاستعمال ومقدار الجرعة .

(١٤) هو «شيرون القنطارى»
(١٥) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٢ ص ٢٠١
(١٦) داود الانطاكى : تذكرة داود ص ٣٢

ومما هو جدير بالذكر أن كل أطباء اليونان كانوا يدينون بجزء كبير من معرفتهم بالنباتات الطبية إلى الطب المصرى[١٧] القديم وكان أشهر الأطباء الذين تخصصوا فى الأعشاب والعقاقير هو «ديسقوريدس» وهو طبيب يونانى ولد فى عين زربه Anazerb فى آسيا الصغرى فى القرن الأول الميلادى،وقد صاحب الجيش فى تنقلاته فى بلاد البحر الأبيض المتوسط مما سمح له بالاطلاع على أعشاب جديدة والتحقق الشخصى من صحة ماورد فى كتب سابقيه من المادة الطبية . وقد جمع فى كتابه كل ما ورد فى مؤلفات من سبقه من الأطباء فى المادة الطبية ، وظل كتابه المرجع الاساسى على مر الأجيال للمفردات الطبية وما من طبيب ذى قدز إلا ودرسه درسا مطولا وعلق عليه[١٨] .

وكان الطب الدنيوى ينافس الطب الدينى ويحاول أن يتغلب عليه .

وكان أيضا هذا وذاك يعزون منشأ علمهم إلى «أسقليبوس» ، ولكن الأسقلبيين «غير الدينيين» كانوا يرفضون الاستعانة بالدين فى علمهم ، ولا يدعون أنهم يعالجون المرضى بالمعجزات . ولقد نجحوا شيئا فشيئا فى إقامة الطب على قواعد النقل[١٩] .

وقد تطور الطب الدنيوى فى بلاد اليونان أثناء القرن الخامس ق.م وتقدم تقدما ملحوظا فى عهد أبقراط من الناحيتن الفنية والاجتماعية . لقد كان الأطباء اليونان قبل أبقراط يتنقلون من مدينة إلى مدينة كلما دعتهم الحاجة إلى هذا الانتقال . أما فى عهده فقد استقروا فى مدنهم وأفتتحوا مكاتب وأمكنة للعلاج iatreia يعالجون فيها المرضى تارة ويعالجونهم فى منازلهم تارة أخرى .

ولعل أقدم مركز طبى فى اليونان يمكن أن يسمى مدرسة أى مدرسة نظرية هو ذلك المركز الذى نما فى كروتون[٢٠] .

ولعل أصل تلك المدرسة أسبق من فيثاغورس ولكن الأغلب أنها اندمجت فى المدرسة الفيثاغورية[٢١] .

غير أن كتابات معلمها الأول «القمايون» الكروتونى Alcaméon ابن بريتوس

(١٧) **Budge** : Book of Medicine p 13

(١٨) **د. يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٣٥٧

(١٩) **Bouillet** : La Medecine p 42

(٢٠) **كروتون أوكروتونا** : فى مستعمرة يونانية قديمة أسسها الأخيون والأسبرطيون سنة ٧١٠ ق.م جورج سارتون جـ١ ٤٤٢

(٢١) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ١ ص ٤٣٧

قد ضاعت، وهو تلميذ لفيثاغورس حسب ما يستخلص من النصوص الباقية وما ذكره الرواه . وكان القمايون أوسع أطباء اليونان شهرة قبل أبقراط وكان يلقب الأب الحق للطب اليونانى[٢٢] ولكنه لم يكن فى الواقع إلا إسما متأخرا فى قائمة طويلة من اسماء الأطباء غير الدينيين ضاعت أسماؤهم فيما وراء أفق التاريخ .

١ - القمايون :

وقد نشر فى أواخر القرن الخامس كتاب فى الطبيعة **Peri physeos** وكان ذلك هو العنوان المألوف فى بلاد اليونان لأنه بحث عام فى العلوم الطبيعية .

كان أول من حدد من اليونان موضع العصب البصرى وقناة استاكيوز» (القناة الموصلة من الأذن إلى البلعوم) ، كما كان أحد الأوائل الذين درسوا تركيب جسم الإنسان عن طريق التشريح وقام بعدة اكتشافات هامة ، فذكر أن المخ هو مركز الحواس والذكاء والتفكير ، وتعقب مسار العصب البصرى وقناة استاكيوز[٢٣] .

كان القمايون لاجئا ملطيا مثل الكثير من معاصريه الذين حملهم الخوف من الفرس أو من الاستبداد المحلى على الهجرة إلى بلادهم[٢٤] .

كما درس «القمايون» الطب فى مدرسة كروتون فقد كانت مدارس الطب فى ذلك الوقت قد بدأت تأخذ سبيلها الى الوجود ولكنه مع ذلك كان وثيق الصلة بمدرسة فيثاغورس .

لقد بحث القمايون فى أعضاء الجسم وبخاصة البصر وكان أول من حاول إجراء عملية جراحية فى العين .

٢ - ديموقيدس بن قليفون :

هو ثانى طبيب من كروتون بعد القمايون التحق ديموقيدس هذا فى أول أمره بخدمة بوايقراطيس طاغية «ساموس» (توفى سنة ٥٥٢) ثم عاش بعد ذلك مقربا فى بلاط دارا ملك الفرس [سنة ٥٢١ - ٤٨٥ ق.م] بمدينة سوسة إذ حدث للملك العظيم دارا أن زلت قدمه وهو يترجل عن فرسه ونجح ديموقيدس فى علاجها بعد أن أخفق الأطباء المصريون فى ذلك ، واستعمل نفوذه فى التماس العفو عن مواطنيه التعساء الذين كانوا

---

(٢٢) **Sarton** : Introduction to the Science = p 77

(٢٣) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٣٩

(٢٤) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٤٣٧

على وشك الإعدام بالخوازيق ، ثم عالج زوجة دارا وهى ابنة «قورس» المسماه «أتوشا» Atossa حيث أفزعها ورم فى ثديها وانتهز ديموقيدس فرصة مهمة سياسية فرضها عليه الملك دارا فأبحر من صيدا وعاد إلى موطنه وحاول مبعوثون فارسيون اقناع حكام كروتون بتسليم الهارب حتى يعيدوه إلى ملكهم دارا ، ثم سمح أخيرا لديموقيدس بالبقاء فى موطنه بسبب زواجه من ابنة البطل الرياضى «ميلون» الذى كان أشهر أبناء كروتون[٢٥] .

أشهر المدارس الطبية اليونانية :

لقد اشتهرت أربع مدارس كبرى لتدريس الطب فى اليونان . وكان أشهرها :

١ – مدرسة فى كنيدوس فى آسيا الصغرى .

٢ – مدرسة فى كرتون بايطاليا .

٣ – مدرسة فى كوس .

٤ – مدرسة فى صقلية .

وكانت كل المدارس فى تعليمها وفى دراستها للطب قد بدأت تبحث عن الحقيقة وغيرها فى بعض الأحيان وترتكب أخطاء بالبداهة ولكنها فى محاولتها للوصول الى التشخيص الدقيق للأمراض استغلت حواس الإنسان الخمس وكذلك استغلت عقله لتمحيص ما تلاحظه الحواس .

١ – مدرسة كنيدوس الطبية :

هى مدرسة إغريقية أصيلة وإن قامت فى أرض آسيا الصغرى على ملتقى الطرق البحرية للتجارة العالمية فى ذلك الحين . وكانت هذه المدرسة أوثق صلة بالشرق من مدارس جزر اليونان وكان طبها عمليا تستعير فيه العلم حيثما وجدت سبيلا للاستعارة وكانت تعاليمها تعاليم الطب الاغريقى المستقل ، موشاة بمعارف بابل فى الفلك والحساب وما أثر من دروس الصحة عن المصرين والعبريين . أما وصفاتها الطبية فهى مستقاه من بردية «ايبرز» العريقة ذلك الكتاب الطبى المصرى القديم .

وقد امتاز جراحو هذه المدرسة بالإقدام ، فاستأصلوا أجزاء من الضلوع ليزيلوا من غشاء الرئة ما تجمع فيه من الصديد ، بل أنهم فتحوا الكلوة ليبطلوا ما تكون من خراريج فى هذا العضو الحيوى الهام .

(٢٥) مليون : كان أشهر أبطال الرياضة فى الزمن القديم عند اليونان فأصبحت أعماله أسطورية جورج سارتون جـ١ ص ٤٤٠

ومن بين أبناء هذه المدرسة الكندية «يوريفون» Euryphon of Cnidos الذى كتب فى الطب خلاصة موجره تعرف باسم الأقوال الكنيدية Cinidiai Gnomai وكان أول من أوضح أن شرايين الجسم وأوردته تحتوى على دم ، وقد كان الرأى منذ قرون قبل ذلك أن الشرايين لا تحتوى إلا على هواء كما كانت ترى عند قطعها بعد الوفاة ذلك أن جدرانها القوية المرنة تمنعها أن تتهاوى كما تفعل الأوردة إذا فرغت من الدم .

وقام «يوريفون» بأبحاث تشريحية ووضع كتابا فى الحمى الزرقاء Pelie Nosos وعالج السل باللبن والكى بالحديد المحمى[٢٦] ، وقد ذاع صيته خاصة فى عمليات التوليد[٢٧] .

كان أطباء كنيدوس – فيما يبدو – أكثر اهتماما بشئون التوليد وأمراض النساء ومن زملائهم الكوسيين [مدرسة كوس] .

وكان من أشهر أطباء كنيدوس كسياس Ctesias الذى اشتهر فى البلاط الفارسى وكذلك خريسيس Chrysippos الذى كان تلميذا لفلسيتيون Philistion ويودكسوس Yiodoxos وقد جمع فى شخصه بين نظريات كوس وصقليه .

٢ – مدرسة كوس :

ازدهرت مدرسة كوس فى الجزيرة المسماه بهذا الاسم على مقربة من ساحل آسيا الصغرى . وكان من تعاليم هذه المدرسة أن المريض أهم من المرض ، وهى نظرية لا يزال يؤمن بها حتى اليوم معظم الأطباء .

ولقد حاول أطباء مدرسة كوس التعرف على عواقب المرض بتتبع سيرته فى المريض ، وتسمى تعاليم هذه المدرسة «بتعاليم كوس» .

وإذا كان أبقراط لم يؤسس هذه المدرسة ، فإنه بلغ من التفوق على جميع أطباء تلك الجزيرة بحيث أصبح الطب «الكوسيى» والطب «الأبقراطى» اليوم تعبيرين مترادفين. إن الفارق الأساس بين مدرسة كنيدوس ومدرسة كوس هو أن الثانية (كوس) عنيت بالمرض عامة فى حين أن الأولى عنيت ببعض الأمراض الخاصة .

ويمكن أن نقول بلغه الطب الحديث : إن مدرسة كوس كانت تمارس الطب العام

---

(٢٦) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٢ ص ٢١٧

(٢٧) Sarton : Introduckion to the Science p 102

(الباثولوجيا العامة) بينما اقتصرت مدرسة كنيدوس على الطب الخاص (الباثولوجيا الخاصة) . وكان لكل من الاتجاهين ما يبرره .

وقد يذهب البعض الى أن الثانى لا يقل ضرورة عن الأول وأن الفارق بين المدرستين كمى لا نوعى .

فأطباء كنيدوس كانوا – فيما يبدو – أكثر اهتماما بشئون التوليد وأمراض النساء من زملائهم الكوسيين ، ومع ذلك لا يمكن أن يكون هؤلاء قد تخلوا عن معالجة النساء فهناك عدد وافر من المأثورات الأبقراطية تتصل بأمراض النساء وعلم التوليد وعلم طب الأطفال .

وبالإضافة إلى هذه المدارس الطبية كانت توجد هيئات من الأطباء كهينة الاسقولابيين وهم أبناء «أسقلابيوس» . وتشبه هذه الهيئات الجمعيات الطبية اليوم . وكانت تتألف من خريجى المدارس الطبية المختلفة وتلزم أعضاءها بمستوى عال من الندرة وحسن السلوك وكان لبعض المدن الإغريقية موظفون من الأطباء . وفى بعض الأحيان كان الأغنياء يعينون لأنفسهم أطباء خاصين من ذوى الشهرة والمكانة بأجر معلوم بيد أن سواد الناس كانوا يتطببون على أيدى جماعة من الأطباء المتجولين المتخصصين[٢٨] وكان بعض هؤلاء الأطباء المتجولين متخصصين فى إزالة الحصيات البولية ، وكانت هذه الجراحة شائعة شيوعا كثيرا فى قديم الزمان ، يتعالى عنها ذو المكانة من الأطباء ويمارسها الحلاقون والأطباء والفقراء والدجالون الذين كثيرا ما كانوا يخبئون الحصى ويزعمون أنهم أخرجوها من المريض ولما كانت هذه الجراحة يتبعها يومئذ أذى كبير فى أغلب الأحوال فان كبار الأطباء كانوا يعزفون عنها ، كما أنها حرمت فى يمين أبقراط .

وثمة فريق آخر من الأهالى كانوا يأخذون بنصيب من رعاية المرضى منهم «الخطابون» الذين يجمعون الأعشاب الطبية والذين أصبحوا فيما بعد صيادلة ذلك الزمان ومنهم «المدلكون» الذين يشبهون مدربى التربية البدنية اليوم، يعالجون بالرياضة البدنية ويمارسون التدليك ويكرسون أنفسهم لبناء الأجسام . ومنهم القوابل وكانت إحداهن والدة سقراط الفيلسوف الكبير ، كما كن يشرفن على المخاض .

أما عن التشريح فى الطب اليونانى فكان علماؤه أطباء أى أنهم كانوا مدربين طبيا وعلى وعى وإدراك بالمسائل الطبية حتى ولو لم يزاولوا هذا الفن. وعلاوة على ذلك فإن

---

(٢٨) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٢٤٨

التقاليد التشريحية والطبية تتشابك إلى حد أن المرء لا يستطيع الفصل بينهما تمامًا[٢٩]

كان تقدم علمى التشريح ووظائف الأعضاء فى بلاد اليونان بطيئا . وكان العامل الأكبر فيما أحرزه من تقدم هو الفحص عن أحشاء الحيوانات فى عمليات العرافة . وكانت اكثر معلوماتنا عن البحوث التشرعية ترجع إلى جالينوس الذى أتيح له برغم تأخره فى الزمن أن يجمع أدلة ذات قيمة لا فى الإسكندرية وحدها بل فى مدن أخرى عديدة لها فى علم التشريح تقاليد ترجع إلى عصور سابقة .

أما عن المؤلفات الجراحية فإنها تكاد تكون بالنسبة إلى نظام الطب الأبقراطى فى منزلة المصنفات الطبية الأخرى إلا أن طابعها الفنى يجعلها أبعد تناولا عن القارىء العادى . ولذلك فإن البحوث الجراحية على كل ما تتميز به من تفوق نسبى أقل إثارة للإعجاب من بعض البحوث الطبية الأخرى .

لقد مارس اليونان حرفة الجراحة فى عهد موغل فى القدم وقد كشفت قصائد «هوميروس» عن كثير من المعلومات الجراحية . فقد ورد فى الإلياذة[٣٠] وصف لنحو ١٤٧ جرحا. وجاء هذا الوصف على درجة من الوضوح بحيث يستطيع الجراح أن يميز بينها تمييزا واضحا صحيحا . ولقد جمع اليونان الكثير من الاختبارات الجراحية لا من حيث الحرب وحدها بل مما وقع لهم أيضا فى أثناء التمارين الجمنازية والألعاب الرياضية مثال ذلك : ان الكتف كثيرا ما كانت تخلع من مكانها فى المصارعة ، فعلى الجراح البارع أن يعرف جميع الطرق التى تمكنه من إرجاعها الى موضعها .

ولم تكن المعلومات الجراحية تقتصر على جبر العظم المكسور وإرجاع المفاصل المخلوعة ، بل اشتملت فوق ذلك على أنواع من التضميد ووضع الجبائر وضم المفاصل وممارسة التدليك واستخدام الدهون .

ولكن لم يعرف الجراح اليونانى من وسائل تطهير الجرح أو التخدير الا ما هو بدائى للغاية .

---

(٢٩) المرجع السابق .

(٣٠) **الإلياذة** : أرجع البعض تاريخ نظمها الى حوالى سنة ١٢٨٠ ق.م والبعض الآخر الى سنة ١١٨٠ ق.م أما الأوديسا فقد كملت بعد الألياذة بحوالى قرن أو أكثر والإلياذة قصة حروب على حين الأوديسا قصة سلام وهى مليئة بالحب والخيال كما هى مليئة بالسحر

جورج سارتون جـ١ ص ٢٩٤

وقد ذاعت شهرة الجراحين اليونان فى الخارج حتى بلغت بلاد فارس قبل نهاية القرن السادس .

وقد قام الجراح الفرنسى ج . بتركين[٣١] بإصدار مؤلف ضخم للجراحة وقد عكف على هذا العمل لمدة ثلاثين عامًا .

وكانت الجراحة لا تزال فى معظم الأحوال عملا لا يتخصص فيه الطلاب دائما بل يقوم به كبار الأطباء فقط .

وقد وجدت فى هيكل «أسقليبوس» بأثينا لوحة نذور نقشت عليها صورة تحتوى على مباضع ذات أشكال مختلفة ، كذلك يحفظ متحف أثينا الصغير بعدد من الملاقيط والمسابر والقناطر والنظارات الطبية القديمة لا تختلف فى جوهرها عن أمثالها المستخدمة فى هذه الأيام .

وفى رسالة أبقراط فى الطب تعليمات مفصلة لتحضير حجرة العمليات الجراحية وتنظيم ما فيها من ضوء طبيعى وصناعى وتنظيف اليدين والعناية بآلات الجراحة وطريقة استخدامها وموضع المريض وتضميد الجروح وما الى ذلك ، كما تصف أيضا عملية التربنة وكيفية القيام بها[٣٢] .

أما عن أمراض النساء فقد كثرت عند اليونان طبيبات أمراض النساء وكن تستخدمن عادة فى علاج أمراض النساء وقد كتبت بعضهن رسائل فى العناية بالجلد والشعر تعد حجة فى موضوعها .

لم تكن الدولة تحتم على من يريد ممارسة الطب أن يؤدى إمتحان عامًا ، ولكنها كانت تطلب اليه أن يقدم لها أدلة مقنعة على أنه قد تمرن أو تتلمذ على يد طبيب معترف به .

ولقد عينت الحكومة أطباء للعناية بالصحة العامة وأطباء لعلاج الفقراء بالمجان .

ولقد اهتم الفلاسفة بتوضيح الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الطبيب ، فشاركوا فى وضع تقاليد سامية لمهنة الطب تقضى بتقدم الاعتبارات الانسانية على كل اعتبار آخر فكان هذا هو أساس تلك المهنة[٣٣] .

---

(٣١) جوزيف اليور تبركين [١٨١٠ - ١٨٧٦] Joseph Eleanore Petrequin اسم للمؤلف جراحة أبقراط chirurgie d'Hippocrate ويشتمل على مجلدان عدد صفحاته ١٢٢٢ صفحة أصدرته مطبعة باريس الوطنية سنة ١٨٧٧ ويشتمل المجلدان على تعليقات دقيقة للغاية . وقد أتم هذا المؤلف أميل جوليان Emile Julien

(٣٢) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ٧ ص ١٨٤

(٣٣) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٥٢

الفصل الثانى
الطب فى عصر أسقلبيوس

اسقليبوس

باليونانية AΣKAHUIOZ

أما بالعربية فتكتب اسقلابيوس ، واسقيلبيوس واسقليبيادس . ويطلق عليه الملك ، والنبى والحكم والألهى[1] . ومعناه بالعربى «منع اليبس» .

أما عند اليونان فهو مشتق من «البهاء والنور»[2] .

وتقول الأساطير اليونانية القديمة أن «اسقليبوس» هو طبيب الإغريقى الأسطورى . وتقول الأسطورة أن اسقليبوس هذا هو ابن [أبولون][3] [وكورونيس] ويعد أبولون أول حكم تكلم فى الطب ببلد الروم وقد كان الاغريق يعتقدون أن أبولون اله الموسيقى والشفاء وطارد الشرور . ولد فى جزيرة [ديوس] وأن أباه [زيوس] – كبير الآلهة – أمر البحر فانداح عن هذه الجزيرة لتكون مثابة لمولد ابنه [أبولون][4] .

حمل أبولون وهو رضيع الى «دلفى» فى أرض اليونان ، وكان «دلفى» – فى رأى الأغريقى – حاضرة العالم ، وفيها ذبح أبولون الرضيع حية ، فأقيم فيما بعد فى المكان الذى ذبحت فيه هيكل لأبولون يعبد فيه . وأصبح هيكل «دلفى» منذ ذلك اليوم مهبط الوحى الإلهى للإغريق ، وأصبح كهنة الهيكل نقلة للوحى ، وأكثره خاص بالطب والعلاج يبذلونه لكل من تقدم للهيكل بقربان .

ولقد كان [أبولو] من أهل القياس .

فقد كان الطب فى أول أمره منذ عهد اسبقليبوس يهتم بالتجربة ، ثم بعد ذلك ظهر من الأطباء من قالوا بالقياس الى أن جاء أفلاطون الطبيب فجمع بين القياس والتجربة[5] .

---

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص١٢

(٢) ابن أبى أصيبة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣

(٣) أبولون يقال آبلن وأبولو :
المرجع السابق ص ٢١

(٤) Castiglioni : Histoire de la Medecine p.105.

(٥) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص ٢٩

علم [أبولو] كذلك فن الطب والدواء لشيرون القنطارى[٦] وعن شيرون تعلم الطب البطل خيرون[٧] ومنه انتقل الى أخيل الفارسي ومن ثم الى اسقلبيوس بن أبولو وقد قيل ان اسقلبيوس ولد فى تساليا على مقربة من أثينا[٨] ويقال أيضا أنه كان يسكن أرض شامات[٩] .

وكانت له فى بداية حياته مرضعتان عجيبتان هما : كلبة وشاه لقد وصل اسقلبيوس الى ذروة تألقه فى القرن السابع[١٠] ق.م الميلاد فقد عرف فى الأساطير اليونانية القديمة واشتهر باسم الطبيب العظيم . وقد ذكر [جالينوس] فى كتابه الذى ألف فى الحث على الطب أن الله أوحى اليه أنك الى أن أسميك ملكا أقرب منك الى أن أسميك إنسانا[١١] .

وتقول الأسطورة الإغريقية ان اسقلبيوس هذا هو ابن أبولو إله الطب وكان خيرون الحكم أول معلميه . فلما مهر فى الطب لدرجة أنه استطاع إحياء الموتى خشى أخوه [بلوطن] إله الأرض السفلى [الجحيم] من حدوث أزمة فى الأموات ، فاستغاث بأبى الآلهة [زيوس] فأرسل بصاعقة أودت بحياته. ولكم حمل أبولو «زيوس» [جوبتير] على أن يجعل اسقلبيوس إله الطب ، ورمز اليه برأس أسوة بزيوس Zeus وجعل فى يده صولجان التفت حوله حية واحدة . والحية رمز قديم لعبادة قوى الشر ويصور اسقلبيوس آخذا بيده عصا معوجة ذات شعب من شجرة الخطمى التف حولها تنين أو حية .

وكان لهذه الصورة دلالات وتفاسير مختلفة بمرور الزمن . فالعصا – مثلا – تدل على أنه يمكن فى صناعة الطب أن يبلغ – من استعمل هذا الطب – من السن أن يحتاج الى عصا يتكىء عليها ، أى معناها أنه يعيش عمرا طويلا ويصل به العمر أنه يتكىء على عصا ، وكذلك أيضا يمكن أن ينبه النيام[١٢] .

أما تصويرهم أن تلك العصا مأخوذه من شجرة الخطمى فلأنه يطرد بها ويشفى كل مرض .

---

(٦) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٣٥
(٧) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠
(٨) عامر النجار : تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ٢١
(٩) المرجع السابق .
(١٠) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٦
(١١) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص ١١
(١٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٥

وقد قال حنين بن إسحٰق : نبات الخطمى لما كان دواء يسخن تسخينا معتدلا تهيأ فيه أن يكون علاجا كثير المنافع إذ استعمل مفردا وحده أو اذا خلط بما هو أسخن منه أو أبرد وقال جالينوس : انما اتخذ عصا الخطمى مراعاة للاعتدال اذ كانت شجرة الخطمى معتدلة فى الحر والبرد فهو كان يراعى فى أعماله كلها الاعتدال فلم ير أن يتخذ عصا الا من شجرة معتدلة[١٣] .

ولهذا نجد اسمه فى اللسان اليونانى مشتقا من اسم العلاجات وذلك أنهم يدلون بهذا الاسم على أن الخطمى فيه منافع كثيرة .

أما عن اعوجاج العصا فقد قال جالينوس عن الاعوجاج وكثرة شعبها فانه يدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود فى صناعة الطب[١٤] .

ولا نجدهم أيضا قد تركوا العصا بغير زينه ولا تهيئة لكنهم رسموا عليها صورة حيوان طويل العمر يلتف حولها وهو التنين . ويقرب هذا الحيوان من اسقليبوس لاسباب كثيرة أحداها أنه حيوان حاد النظر كثير السهر لا ينام فى أى وقت من الأوقات . وقد ينبغى لمن قصد تعلم صناعة الطب أن يتشاغل عنها بالنوم ويكون فى غاية الذكاء يمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر وبما من شأنه أن يحدث وقالوا هذا الحيوان التنين طويل العمر جدا حتى أن حياته يقال أنها الدهر كله وقد يمكن فى المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم[١٥] . واذا صور اسقلبيوس وهو يحمل على رأسه اكليلا يتخذ من شجرة الغار[١٦] لأن من شأن هذه الشجرة أن تذهب بالحزن . ولهذا نجد هرمس اذا سمى «المهيب» كان يمثل هذا الإكليل . ولهذا ينبغى للأطباء أن يصرفوا عنهم الأحزان لأن اسقلبيوس كان يذهب الحزن بالإكليل ولأن هذه الشجرة أيضا منها قوة تشفى الأمراض من ذلك إنها اذا ألقيت فى موضع هربت من ذلك الموضع الهوام وذوات السموم[١٧] .

وقد كان نبات الغار رمز الفرج والانفراج والنصر والابتهاج وقد قال جالينوس عن صورة اسقلبيوس التى يجدونها فى هيالكهم أنها صورة رجل ملتح متزين قال واذا تأملته

---

(١٣) **ابن جلجل** : طبقات الأطباء والحكماء ص ١٤

(١٤) **بشارة زلزل** : دعوة الأطباء ص ١٠٧

(١٥) **عمر فروخ** : تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٦

(١٦) **شجرة الغار** : هو نوع من الشجر له أوراق كثيفة وطويلة وحمل أصغر من البندق أسود يستخرج منه الزيت وورقه طيب الرائحة

(١٧) **ابن أبى أصيبعه** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٦ .

وجدته قائما مشمرا مجموع الثياب فيدل هذا الشكل على أنه ينبغى للأطباء أن يتفلسفوا فى جميع الأوقات . قال : وترى الأعضاء منه التى يستحى من تكشفها مستورة والأعضاء التى تحتاج الى استعمال الصناعة بها معراه[١٨] مكشوفة .

وفى اليونان القديمة رمزوا للطب باسم اسقلبيوس وكان أسقلبيوس هذا لما صنعوا له التماثيل عبارة عن رجل فى عنفوان الشباب ممتلىء صحة وقابض بيديه على عصا يلتف عليها ثعبان .. وبقى الثعبان الملتف على العصا رمزا للصيدلة حتى اليوم[١٩] .

ومما هو جدير بالذكر أن الديك والسلحفاة كانا مقدسين عنده . فكان الديك يرمز الى اليقظة ، والسلحفاة ترمز الى التؤدة والثبات .

وقد كان لاسقليبوس ابنتان وثلاثة أولاد . فالبنات .

١ - [بانيسيا] إلهة الشفاء . كانت تعرف كل الأدوية وتعالج كل الأمراض . وقد استعمل اسم [بانيسيا] فى الطب على أنه يعنى علاجا لكل الأمراض .

٢ - [هايجيا] إلهة الصحة وقد برعت فى الصحة العامة والصحة الاجتماعية . وكان أهم أعمالها تغذية الثعابين المقدسة التى كانت تقوم بمعجزات العلاج . والملاحظ أن العقيدة الطبية فى الثعبان لم تكن مقصورة على الاغريق ، فقد وجدت فى طب البلدان القديمة ، ذلك لأن الثعبان كان يعد رمزا للحكمة . يعرف السم والترياق) وكان دائما محترما ومحبوبا عند الأطباء . وازداد الإغريق اعتقادا فى ذلك فأكلوا الثعبان ليزدادوا معرفة بالطب .

أما الأولاد فهم :

١ - الابن الأول : **تكسفورس** : يرسم دائما صغيرا وكان أحيانا يظهر فى تماثيل أسقليبوس

٢ - الابن الثانى : **بودا ليريس** : تخصص فى الطب الباطنى والنفسانى .

٢ - الابن الثالث : **مخيون** : كان جراحا بارعا .

لقد ورث الإغريق ثقافتهم من عدة بلدان . فقد تأثروا بالثقافة الفرعونية والبابلية والهندية والفارسية وثمة من الدلائل ما يشر الى أن اسقلبيوس كان كزميله «أمحوتب»

---

(١٨) **الشطى** : تاريخ الطب مثل الاسلام ص ٣٥

(١٩) **داود الأنطاكى** : تذكرة داود : ص ٣١

فى مصر كائنا بشريا عاش حقيقة على وجه الأرض ، وكزميله أيضا «أمحوتب» فقد انخرط بعد موته فى تلك الآلهة وأصبح يعبد كآله الطب فى اليونان[٢٠] فشيدت له الهياكل ، ونحتت له التماثيل فى بلدان كثيرة ومنها سوريا .

ان اسقليبوس أول من استخرج الطب بالتجربة وأستنبطه[٢١] .

وتعتبر الفترة الواقعة بين سنة ٤٨٠ وسنة ٣٩٩ ق.م أى بين مولد بركليز[٢٢] ووفاة سقراط العصر الذهبى اليونانى فقد كانت أهم الحوادث فى تاريخ العلوم اليونانية فى تلك المرحلة وهى نهضة الطب القائم على العقل وليس على الخرافة وقد ذكر البعض أن الطب قد جاء الى اسقليبوس بطريق الوحى . وقد ذكره يحيى النحوى فقال : إنه أول من أظهر الطب فى الكتب المكتوبة والأحاديث المشهورة من العلماء والثقات .

لقد احتل اسقليبوس أمانة الطب بما كان يتمتع به من صفات حميدة ساعدته على المهارة فى صناعة الطب ، كما كان ذكيا بالطبع ، قوى الفهم ، مختبرا مجريا حريصا مجتهدا . ولقد أنكشفت له أمور كثيرة عجيبة من أحوال العلاج . فلقد بلغ من أمره أن أبرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم فلما شاهد الناس أفعاله ظن الناس أنه يحيى الموتى فانشد فيه الشعراء روائع الشعر[٢٣] .

وقد اشتهر بعد اسقليبوس عدد من الأطباء كانت لهم شهرتهم ، فذاع صيتهم فى البلاد حتى جاء عصر جالينوس . **وأهم هؤلاء الأطباء** .

١ – **غورس** : هو ثانى الأطباء المشهورين بعد اسقليبوس الأول وكان يقتدى به لمدة طويلة . وقد عاش حوالى سبعة وأربعين عامًا .

٢ – **مينس** : عاش حوالى أربعة وثمانين عامًا . ولقد أعاد النظر فى **مقالات** من تقدم

---

(٢٠) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٣٦

(٢١) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٩

(٢٢) **بركليز** : هو صاحب السلطة العليا على جميع قوى أثينا المادية والروحية فى خلال عصر مجدها وعظمتها . يقول فلو طرخس : لما قرب يوم مولده رأت أمه فى منامها أنها ولدت أسدا . وبعد بضعة أيام ولدت بركليز – وكان جسمه كاملا سويا فى كل شىء ماعدا رأسه ، فقد كان طويلا بعض الطول غير متناسب مع جسمه وكثيرا ما سخر نقاده من طوله . ولقد حكم ما بين سنة ٤٦٧ الى سنة ٤٢٨ ق.م أى حوالى ثلاثين عامًا .

ول ديورانت : قصة الحضارة جـ٧ ص ١١

(٢٣) **الشطى** : تاريخ الطب قبل الاسلام ص ٣٥

فان التجربة خطأ عنده فضم اليها القياس وقال لا يجب أن تكون تجربة بلا قياس لأنها تكون خطرا .

٣ – **برمانيذس** : عاش أربعين عامًا . وقال أن التجربة وحدها كانت مع القياس خطرا فأسقطها فأقر القياس وحده .

٤ – **أفلاطون** : الطبيب عاش ستين عاما . وقد انقسم الأطباء فى هذا العصر الى ثلاثة أقسام (١) أصحاب التجربة (٢) أصحاب الحيل (٣) أصحاب القياس .

ولما ظهر أفلاطون نظر فى هذه المقالات وعلم أن التجربة وحدها رديئة وخطره والقياس وحده لا يصح فأنتحل الرأيين جميعا .

٥ – **اسقليبيوس الثانى** عاش مائة عام وعشر وقد تبنى رأى أفلاطون .

٦ – **أبقراط** : هو وحيد دهره طبيب كامل الفضائل تضرب به الأمثال هو الطبيب الفيلسوف الى أن بلغ به الأمر الى أن عبد . وهو الذى قوى صناعة القياس والتجربة .

٧ – **جالينوس** : علم الغرباء الطب وعلم أولاده لما كتب على الطبيب أن يفنى ويبيد من العالم[٢٤] .

وقد كان هناك مجموعة من الآلهة فى عصر اسقلبيوس مثل الالهة هيجى **Hygie** وباناسه **Panacée** وقد كانت لهما خبرة عظيمة بالطب .

كما ساعد فى شفاء اله «مه لامب دارغوس» Melampe d'argus بنات الملك بوتوس **Poteus** من الجنون .

كما استعمل أورقة **Orphée** الغناء والموسيقى من جملة وسائل العلاج .

يقول سلس : ان الطب نشأ فى الفردوس الأرضى ، ولم يكن وحيا هبط على أناس خصتهم الآلهة من بنى البشر بمعرفة أسرار الطبيعة والغيب بدون فحص أوتمحيص . ان مدارك الانسان فى علم الطب أخذت تتسع شيئا فشيئا حتى حصره بعض الناس فيهم فادعوا لأنفسهم حق الامتياز فصدقهم الناس وأنزلوا كثيرين منهم منزلة الآلهة . وهذا هو السبب فى كثرة تحدد الأطباء الآلهة فى تاريخ الطب اليونانى القديم .

---

(٢٤) **ابن أبى أصيبعه** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٠

الطب عند هوميروس : Homière

تخيل الكثيرون هوميروس كهلا كفيفا ، وذلك ربما لأن لفظ homeros فى اللهجة «الكومية» يؤدى نفس المعنى الذى يؤديه اللفظ typhlos أى أعمى - كفيف . ومن ناحية أخرى يعنى لفظ homereua فى اللهجة الأيونية ما يعنى لفظ podegeo أى يقود أو يرشد وعلى ذلك ربما يكون الاسم نعتا جسميا أو عقليا للمؤلف ، كما لو قيل «الضرير .. الهادى»[٢٥] .

وقيل أنه ينشد أو يلقى مقطوعاته .

ولقد نسبته اليها سبع مدن يونانية هى : أزمير - رودس كولوفون - سلاميس - خيوس - أرجوس - أثينا[٢٦] .

وزعمت كل منها أنها مسقط رأسه .

لقد اختلفت الآراء حول تاريخ نظم الإلياذة . فقد تساءل البعض هل كان ذلك زمن حرب طروادة التى تتألف من بعض قصصها النواة التاريخية للالياذة ، وهذه الحروب قد أختلف المؤلفون اليونان فى تعيين تاريخها فجعلها بعضهم حوالى سنة ١٢٨٠ ق.م ، وأرجعها البعض الآخر الى سنة ١١٨٠ ق.م . ولكن فى النهاية تم الاتفاق على أنه تقريبا كان ذلك التاريخ هو القرن التاسع ق.م لأن ذلك التاريخ يوافق جيدا الأحداث السابقة المتأخرة[٢٧] .

تشتمل الالياذة على ٩٨٩٥ بيتا وهى عبارة عن قصة حروب أما الأوديسا فتشمل على ١٢١١٠ بيتا وهى عبارة عن قصة سلام مليئة بالحب والخيال ، كما هى مليئة بالسحر والخرافة ، وتمتاز بالهدوء وهى نوع من القصة .

كما أن هناك مرحلة زمنية واضحة بين القصدتين تقدر بحوالى قرن من الزمان .

---

(٢٥) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٣٢٤ تعليق رقم ١

(٢٦) كانت لهجة هوميروس «أيونى» فمن الملاحظ أن معظم هذه الأسماء بتلك اللهجة .
جورج سارتون : تاريخى العلم جـ١ ص ٣٢٤

(٢٧) المرجع السابق جـ١ ص ٢٩١

لقد ذكر هوميروس الطب فى الألياذة فبين أنه طب باطنى وطب جراحى . وذكر أن ولدى اسقلبيوس بوداليز Podalire وماشاون Machaon كانا طبيبين عسكريين كان أحدهما طبيبا جراحا والثانى وهو Podalire كان طبيبا باطنيا[٢٨] .

لقد مارس اليونانيون حرفة الجراحة فى عهد موغل فى القدم وقد كشفت قصائد هوميروس عن الكثير من المعلومات الجراحية. فقد ورد فى الإلياذة وصف لنحو ١٤٧ جرحا ، وجاء هذا الوصف على درجة من الوضوح بحيث يستطيع الجراح أن يميز بينها تمييزا واضحا صحيحا .

ان الإلياذة قد أظهرت حياة الطبيب وطريقة عمله اليومية فى السلم والحرب فى المدن والميادين .

وقد اشتهر فى عهد هوميروس النساء الطبيبات فكان من بينهن . «هه كامه Heceamedet ، وسيرسه Circé ، وآجمة Agméde ، وبولى دامنا Polydamna ، وكانت هذه الأخيرة مصرية أرشدت زميلتها هيلين Helene الى النبات الذى يذهب الحزن والأسى ، كما أن بعضهم اشتغلن بالأعمال الطبية من التمريض وجمع الأعشاب وإعداد العقاقير مثل اعداد الشراب المهدىء المخدر[٢٩].

وتحتوى الملحمة على أوصاف واضحة كثيرة لعدد من الحالات الناجمة عن جروح معينة ، أو معرفة خواص الإغماء وأعراض التشنج التى تصيب الانسان عند الاحتضار ، كما استخدموا العقاقير من مختلف الانواع untroi polypharmacoi

وتشير الملحمة الى وجود أطباء محترفين مرموقين بعين الاعتبار والتقدير وذلك لأن مكانة الطبيب كانت عالية لدرجة أن طبيبا واحدا يعادل رجالا كثيرين آخرين»[٣٠] .

لكن من الملاحظ أنه لم يكن من المستطاع دائما أن يوجد الطبيب فى ميدان القتال ، فكان على المحاربين أن يساعد بعضهم بعضا فى أوقات الحاجة .

فقد جاء استخدام المفردات التشريحية الهوميرية فى الملحمة وتبلغ حوالى ١٤١ كلمة ولا يزال لفظ «هوميرى» مستعملا فى علم وظائف الأعضاء إلى اليوم وقد جاء ذكر

---

(٢٨) الالياذة : الفصل الثانى الجزء ٣

(٢٩) الالياذة : الفصل الثانى : الجزء ١١

Castiglioni : Histoire de la Medecine p 105

أمراض النساء أيضا فى أشعار هوميروس فقد قام بوصف عملية وضع تمت بطريقة القيصرية وذلك لأن الموعد كان مبكرا وتمت ولادة الجنين وهو ابن سبعة أشهر[٣١] .

وتشهد الأوديسا ان الطب القديم قد بلغ أوجه على يد المصريين القدماء فى القرن السابع عشر ووصلت شهرته الى بلاد اليونان[٣٢] . وقد ذكرت ذلك أيضا المصنفات الأبقراطية[٣٣] .

من الممكن أن يكون اليونان فقد أستنبطوا شيئا من المعارف الطبية من الحضارات المختلفة السابقة ، ولكنهم من عهد هوميروس وصلوا الى استنباط الكثير من المعلومات بجهدهم الخاص .

لقد كان الطب كهنوتيا سحريا عند قدامى الاغريق بيد أن هوميروس فى ملاحمه الشعرية (الالياذة والأوديسا) يتحدث عن ألوان أخرى من الطب العملى عند سواد الناس وعن التداوى بالأعشاب . ولو أن ذلك كان خاضعا كذلك للعقائد الدينية السائدة فى تلك الفترة ، وكثيرا ما يشير هوميروس الى الطرق الطبية الجراحية المتبعة فى العلاج لقد ذكر هوميروس أن الدواء القوى الذى كان يعطى للجرحى كان يتألف من النبيذ والبصل والعسل وبشارة الجبن المصنوع من لبن الماعز والدقيق . وقد ذكر كذلك الأدوية المنومة عندما روى عن «هيلانة بنت زيوس» أنها صبت دواء فى النبيذ الذى شربوه ليزيل الآلام كلها ويسكن الغضب ويجر ذيل النسيان على جميع الأحزان .

---

(٣١) من هنا جاءت تسمية القيصرة (عملية الوضع) من اسم قيصر الرومان .

(٣٢) الأوديسة : الفصل الرابع : الجزء الثانى

Littré : Oeuvres d'Hippocrate completes Paris 1839, p 572

الفصل الثالث
الطب الأبقراطى

أبقـــــراط

أصل اسمه باليونانية «أبوقراطيس» ويقال هو «بوقراطيس» . وإنما العرب عادتهم تخفيف الأسماء واختصار المعانى فخففت هذا الإسم فقالوا : [أبقراط] و[بقراط] أيضا ويقال أيضا بالتاء [أبقرات] أو [بقرات[1]] ولفظ أبقراط يعنى [القابض على عنان جواده] بمعنى «الفارس الماهر»[2] أو بمعنى [ماسك الصحة أى ماسك الأرواح][3]. كان أبقراط من أعظم وأشهر أطباء القرن الخامس قبل الميلاد وهو من آل «أسقلبيوس» مؤسس الطب[4] ، ولد فى جزيرة قوص فى لارسه سنة ٣٧٥ ق.م ويكون بذلك قد أوغل فى القرن الرابع ق.م[5] . وقد تضاربت الأقوال فى تاريخ ولادته وتاريخ وفاته . فقيل أنه ولد سنة ٤٠٠ ق.م أو سنة ٤٦٠ ق.م [6] وقيل أنه توفى ما بين سنة ٣٧٥ وسنة ٣٥١ ق.م

تعلم أبقراط صناعة الطب عن ابيه [هيراقليدس] Heraclides الذى لم يكن مجرد عضو فى هيئة الأطباء الاسقلابيين ، وانما كان كما قيل – من سلالة إسقلبيوس نفسه . ان أبقراط من تلاميذ أسقلبيوس الثانى . وعند وفاة أسقلبيوس خلفه ثلاثة تلاميذ هم [ماغارس] و[فارغس] و[أبقراط] . ولما مات ماغارس وفارغس انتهت الرئاسة الى أبقراط[7] .

كما أن نسبه لأمه لم يكن أقل رفعة من نسبه لأبيه فهى فركسيثا بنت فيناريطى من آل [هيراقليدس]. عاش أبقراط حوالى خمس وثمانين عامًا منها حوالى ستة عشر عامًا صبيا ومتعلما وحوالى سبع وستين عامًا عالما ومعلما. نشأ أبقراط ومارس صناعة الطب بين آلاف المرضى الذين وفدوا على «قوس» لأخذ الماء من عيونها الساخنة[8] .

---

(١) ابن أبى أصيعة : عيون الأنباء ص ٤٩ .
(٢) الشطى : تاريخ الطب قبل الإسلام ص ٤٠ .
(٣) شارة زلزل : دعوة الأطباء ص ١٠٩ .
(٤) عامر النجار : تاريخ الطب فى الدولة الاسلامية ص ٢٠.
(٥) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٢١٩.
(٦) Sarton : G : Indrouction to the History of Science p 76
(٧) ابن أبى أصيعة : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء ص ٤٣
(٨) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ٧ ص ١٨٤ .

وأول عمل قام به أبقراط هو فصل الطب عن الدين وبناء العلاج على قاعدة ثابتة . لقد اعتمد فى طبه على القياس والتجربة اعتمادا كليا فكان يعد أبا للطّب التجريبى بحق[٩] .

علم الطب الى المستعدين والمستحقين من الناس وعهد اليهم العهد الذى كتبه وجعلهم يقسمون بالايمان المذكورة فيه أن لا يخالفوا ما شرطه عليهم ، وأن لا يعلموا هذا العلم لأحد الا بعد أخذ العهد عليه .

لقد رفع أبقراط من شأن هذه المهنة بتوكيده شأن الأخلاق فى الطب ، ذلك لأنه لم يكن طبيبا فحسب بل كان طبيبا ومدرسا معًا . وربما كان القسم الشهير الذى يعزى اليه قد وضع لضمان ولاء طالب الطب لاستاذه وكان أبقراط أول مؤسس لمدرسة طبية ، فكان يؤمن بالتأثير النفسى على سرعة الشفاء وكان يعتقد أيضا أنه اذا عرفت أسباب المرض أمكن علاجه[١٠] .

كانت صناعة الطب – قبل أبقراط – كنزا وذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للأبناء . وكانت فى أهل بيت واحد منسوب إلى أسقليبوس الذى يعتبر المعلم الأول فى الطب كان الطبيب يعلم ولده أو ولد ولده فقط ، وكان تعليمهم بالمخاطبة ، ولم يكونوا يدونوه فى الكتب ، إلا ما احتاجوا الى تدوينه دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم .

فيفسر ذلك اللغز الأب للابن الى أن جاء أبقراط ودون الطب فى الكتب وأخرجه من دائرته الضيقة فعممه واستحلف المتعلم أن يكون ملازما للطهارة والفضيلة . فهو أول من علم الغرباء العلم وجعلهم بمثابة أولاد له ، كما خاف على الطب أن يفنى من العالم . ثم وضع ناموسا عرف فيه من الذى ينبغى له أن يتعلم صناعة الطب . وكان يمين أبقراط يسمى «Horcos» وكان يراد بها تلك اليمين التى كان الطلاب المتدربون يحلفونها قبل أن يقبلوا كأعضاء فى النقابة أو جمعية الأطباء الكوسيين (من مدرسة كوس) . ولم يكن مجرد قسم بل كان ميثاقا Syngraphe يتعهد به المتدرب أن يعامل أولاد أستاذه كما لو كانوا أخوته ، وأن يشرك أستاذه فى رزقه ويسرع الى مساعدته ان دعت الحاجة الى ذلك ، وأن يعلم أولاد أستاذه دون أن يتقاضى منهم رسوما أو يفرض

---

(٩) **ابن جلجل** : تاريخ الأطباء والحكماء ص ١٦ .
(١٠) **داود الانطاكى** : تذكرة داود ص ٣١ .

عليهم قيودا ، وأن يدلى بالارشادات المفصلة الى أولاده هو وأولاد أستاذه وعدد قليل من الطلاب الآخرين الذين أقسموا اليمين ووقعوا الميثاق لا الى أحد سواهم .

ويتعذر علينا تعيين تاريخ هذا القسم وغالب الظن أنه عرف منذ العصر الذهبى للمدرسة الكوسية[١١] .

كما وضع أبقراط أيضا وصيه عرف فيها جميع ما يحتاج اليه الطبيب فى نفسه .

ويقول أبقراط : ينبغى أن يكون المتعلم للطب حديث السن جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأى عفيفا شجاعا مالكا لنفسه عند الغضب ، وأن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظا للأسرار .

ويجب عليه – كذلك – أن يهتم للغاية بمراقبة أحوال مريضه حتى يعرف علامات المرض كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل وهو ما يعرف الأن بالوجه الأبقراطى .

لقد حور بعض شراح كتب أبقراط من فقهاء العرب كلماته المذكورة بقولهم : يجب اختيار الطبيب حسن الهيئة ، كامل الخلقة ، صحيح البنية ، نظيف الثياب ، طيب الرائحة ، يسر من ينظر إليه وتقبل النفس على تناول الدواء من يديه ، وأن يكون مثبتا فى دينه ، متمسكا بشريعته ، دائرا معها حيث دارت ، واقفا عند حدود الله تعالى ، لا يقبل الارتشاء ولا يفعل حيث يشاء ليؤمن معه الخطأ وتستريح اليه النفوس من العناد[١٢] ، وينبغى أن تكون ثيابه بيضاء نقية لينة ، ولا يكون فى مشيته مستعجلا لأن ذلك دليل على الطيش ولا متباطئا لأنه يدل على فتون النفس . واذا دعى الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن[١٣] .

لقد وضع له معلمه [هيرودوكس السلميرى[١٤] Herodicus of Selymlria] الأساس الذى بنى عليه فنه بتعويذة الاعتماد على نظام التغذية وعلى الرياضة الجسمية أكثر من اعتماده على الأدوية ولقد كان أبقراط طبيبا كامل الفضائل تضرب به الأمثال .

---

(١١) Jones : W.H = The doctor's Oath, Cambridge 1924, p 61

(١٢) **الشطى** : تاريخ الطب قبل الاسلام ص ٤١

(١٣) **ابن أبى أصيبعه** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٧

(١٤) **تقع سلمبريا** على الشاطىء الشمالى لبحر مرمرة.

جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٢ ص ٢٣٨ .

ويروى أن أبقراط سكن بحمص الشام وكان اسمها «فيروها» وكان كثيرا ما يتوجه الى مدينة دمشق للرياضة والتعليم والتعلم ، وكان موضع تنزهه يسمى ضيعة[١٥] «ابقراط» ويقال أن هذا المكان يسمى «النيرب» وهو من متنزهات دمشق إلى غربى الصالحية تحت قبه السيار .

وبذلك تكون دمشق أول مدينة علم فيها الطب بصورة نظامية .

كان أبقراط فاضلا متألها ناسكا يعالج المرضى احتسابا وكان طوافا فى البلاد وجوالا فيها . وكان قليل الأكل كثير الصوم ويقول «أنا آكل لأعيش لا أعيش لآكل»[١٦] .

ذكر جالنيوس فى رسالته التى تناول فيها أبقراط : أن أردشير . ملك فارس وهو جد دارا بن دارا – قد دعاه إلى معالجته من مرض فرفض وأبى ، اذ كان أردشير عدوا لليونان وفى الوقت نفسه جاء من ملوك اليونان ودعياه لمعالجتهما فأجابهما الى ذلك اذ كانا حسنى السيرة[١٧] . ولما عوفيا من مرضيهما لم يقم عندهما تنزها عن الدنيا وأهلها لقد قيل أن أردشير (ملك الفرس) لما أشتد مرضه بذل لأبقراط ألف قنطار من الذهب على أن يحضر اليه ويعافيه من مرضه ، فأبى عليه أبقراط و لم يجب سؤاله . وقيل أيضا أن أردشير لما سمع به أنفذ إليه مائة قنطار من الذهب على أن يتحول إليه فأمتنع وأبى أن يقبلها وقال «لست [١٨] أبيع الفضيلة بالمال» .

ذاعت شهرة أبقراط حتى كان من بين مرضاه حكام مثل «بردقش» Peredicas ملك مقدونيا .

وفى سنة ٤٣٠ ق.م أستدعته أثينا ليحاول وقف انتشار الطاعون فيها . ولقد أخجله صديقه دمقريطس Democretes بأن عاش من العمر مائة عام كاملة ، على حين أن الطبيب العظيم مات فى الثالثة والثمانين أو الخامسة والثمانين من عمره»[١٩] .

ومما هو جدير بالذكر أن ديمقرطيس ولد هو أيضا فى جزيرة كوس (قوس) فى نفس

---

(١٥) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ٥٠.
(١٦) **بشارة زلزل** : دعوة الأطباء ص ١١١.
(١٧) **ابن جلجل** : تاريخ الأطباء والحكماء ص١٦
القفطى : تاريخ الحكماء ص ٦٤.
(١٨) **بشارة زلزل** : دعوة الأطباء ص ١٢٠.
(١٩) **جورج سارتون** جـ١ ص ٢١٩.

العام الذى ولد فيه أبقراط ، وأصبح الرجلان صديقين حميمين بالرغم من بعد موطنيهما ، ولربما كان للفيلسوف الضاحك نصيب فى توجيه الطب وجهة دنيوية[٢٠] .

كان أبقراط واسع الخيال ولكنه واقعى ، يكره الخفاء ، ولا يطيق الأساطير ، يعترف بقيمة الدين ولكنه يكافح لفهم العالم على أسس العقل والمنطق .

ولا تزال فى كوس شجرة من شجر الدلب ذات تاريخ عريق فى القدم قائمة حتى اليوم ، تحيط بجذورها لوحات مصفوفة من الرخام ، نقش عليها يمين أبقراط . وقيل أنه كان يعلم تلاميذه تحت أغصان هذه الشجرة[٢١] .

ولقد وصفه جالينوس بكلمته الشهيرة : «ان جالنيوس أدبه الدرس وأبقراط أدبته الطبيعة[٢٢]» .

لقد اعتبره الغربيون مؤسس الطب واعتبروه كذلك لأنه أضفى على الطب الروح العلمية ، فأبدل الخرافات بالتشخيص الواقعى والعلاج الفنى ، كما أضفى على الطب صفته الخلقية .

وكان كل ما استعمله أبقراط فى أبحاثه هو ذهنه الوقاد واحساسه المرهف .

وبعد أن كان المرض يعد مسًا من الشيطان أصبح موضوع فحص اكلينيكى . أعتبر «أبقراط» كل مريض حالة قائمة بذاتها فدون أعراضها ونوع مرضها على أنها حقائق ثابتة وكان يرجع فى فحصه الى الخبرات السالفة . كان يجمع الأعراض التى يبنى عليها تشخيصه أولا ثم يخرج منها برأى علمى صقلته خبرته الماضية كل هذا جاء على نقيض ما كان متبعا فى عهد الفلاسفة الأطباء الذين شخصوا الحالة أولا ثم كيفوا الأعراض تبعا لهذا التشخيص .

أشهر خلفاء أبقراط :

ترك أبقراط حوالى اثنى عشر تلميذا يتبعون مدرسته الكوسية . فقد سار خلفاؤه على نفس نهجه الطبى وكان أشهرهم :

---

(٢٠) **ول ديورانت** : قصة الحضارة جـ٧ ص ١٨٤.

(٢١) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٤٤.

(٢٢) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ٥١.

١ – **أرسطو** : المعروف عند اليونان باسم أرسطوطاليس بن نيقوماخوس .
وتفسير أرسطوطاليس هو تام الفضيلة
وتفسير نيقوماخوس هو قاهر الخصم[٢٣] .

ولد أرسطو فى سنة ٣٨٤ ق.م بمدينة «أسطاغيرا» وهى تقع شمال شبه جزيرة «آثوس» أو الجبل المقدس فى مقدونيا . كان أبوه «نيقوماخوس» من أسرة طبية ، كان يعمل طبيبا لأمنطس بن فيليبس الثانى ملك مقدونيا [٣٩٣ – ٣٧٠ ق.م] وفيليبس هذا هو ابن الاسكندر الأكبر» .

تلقى أرسطو تعليمه فى مقدونيا – حيث كان يعمل والده – وقد ألم بطرف من حياة القصور .

وقد تأثر أرسطو فى بداية شبابه بثلاثة ألوان من الثقافة : الأيونية والمقدونية والطبية .

كانت الأولى والثالثة خير ثقافتين يتزود بهما من يعد نفسه لأن يكون عالما .

فى سن السابعة عشرة أوفده والده الى أثينا ليتم تعليمه هناك فقضى أرسطو العشرين عاما التالية بها [٣٦٧ – ٣٤٧ ق.م] حيث التحق بالاكاديمية هناك وتتلمذ لافلاطون عشرين عاما . فقضى أرسطو عشرين عامًا فى الدراسة فى أثينا وكان فى السنوات الأولى من دراسته منتظما بالأكاديمية ثم أصبح بعد ذلك طالب دراسات عليا أو خريجا ، وصديقا لأستاذه وغيره من أعضاء الاكاديمية . التحق أرسطو بمدينة أسوس حيث قضى بها ثلاث سنوات [٣٤٧ – ٣٤٤ ق.م] .

إن أرسطو فى ميله للعلم ربما كان ينزع الى أبيه الذى كان يعمل طبيبا ولكن أرسطو خالف أباه فى الوظيفة ولم يمتهن الطب . وليس فى مؤلفاته مما يتصل بالطب إلا قدر بسيط . والاشارات الى الطب فى كتابيه الجدليات Topica والسياسة Politica تافهة على قلتها . كما أنه على الرغم من أن بابا بأكمله فى كتابه المسائل Problemata – وهو الباب الأول – يعرض لمسائل تتعلق بالطب الا أننا لا نستطيع أن نستنتج من ذلك شيئا. فمن المحقق أن هذا الكتاب منتحل على أرسطو ، ومن الجائز أن يكون متأخرا جدا عن زمن أرسطو ، ومن النقاد من يرجعه الى القرن الخامس أو السادس[٢٤]

---

(٢٣) ابن أبى أصيبعه : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء ص ٨٦.
(٢٤) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٣ ص ٣٠٣.

الميلادى ومن الغريب أن ملاحظاته التشريحية والفسيولوجية كثيرا ما تكون صحيحة فيما يختص بالحيوانات وخاطئة فيما يختص بالانسان ، فكان يعتقد أن القلب هو مركز الأعصاب فى الجسم وأنه عضو مقدس لا تصيبه الأمراض مطلقا[٢٥] كما أنه ميز فى التضاريس بين جمجمة الرجل وجمجمة المرأة .

لقد كان من الواضح أن أرسطو لم يشرح جسم الانسان فلم يكن ميالا الى الطب ، ولكن هناك من الأطباء من أولعوا بفلسفته وبنمطه العلمى ، ولذا فقد كان له أثر واضح فى تقدم الطب ، وآية ذلك ظهور المدرسة الدوجماتية فى الطب .

لقد كانت اكثر دراسات أرسطو فى علم البيولوجيا» أى علم الحياة ، وله من المعارف الحديثة الكثير من الآراء ولقد صدق «داروين» عالم الطبيعة فى القرن التاسع عشر حين قال : «ان كل علماء الحياة الجدد ليسوا اكثر من تلاميذ لأرسطو»[٢٦] .

٢ – **بوليبوس** : Polypos

كان بوليبوس من أشهر خلفاء أبقراط وكان فى نفس الوقت ابن أخته .[٢٧] .

٢ – **كرايتوديموس** : Crytodimos

كان أيضا من أعضاء مدرسة كوس . وقد كان طبيب الاسكندر الأكبر الذى أنقذ حياة هذا الفاتح يوما ما ونزع سهما أصابه وكاد يودى به الى الموت .

٤ – **ديوقليس** Diocles

الذى اعتبر أعظم طبيب بعد أبقراط ، كان يقول أن الطب يعتمد على القياس وحده دون التجربة[٢٨] .

وقد شرح أرحام أناث الحيوان ، ووصف أجنة البشرية من بداية اليوم السابع الى اليوم الأربعين من حياتها ، وتقدمت على يديه علوم التشريح والأجنة وأمراض النساء والولادة ، كما أصلح أحد الأخطاء اليونانية الشائعة بقوله «إن بذرتى الذكر والأنثى تشتركان فى تكوين الجنين» .

---

(٢٥) **داود الأنطاكى** : تذكرة داود ص ٣١.

(٢٦) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٤٤.

(٢٧) **Sarton** : G = Introduction to the history of Science p 120

(٢٨) **جلجل** : تاريخ الأطباء والحكماء ص ٣٥.

٥ – براكساجوراس Praxagoras

كان جراحا جريئا فتح البطون لمعالجة الأمعاء المحتاجة الى معالجة جراحية .

كما نبغ أيضا فى مدرسة أرسطو ثلاث نسوة إحداهن هى ابنته «مالانا أرسا» والثانية «كلاوو بطرة» ، والثالثة «أنتيوسشر» .

١ – مالانا أرسا Malana Arsa

هى ابنة أبقراط تتلمذت على والدها فكان لها براعتها فى صناعة الطب حتى فاقت أخويها[٢٩] [تسالوس] Thesselos الذى اشتهر فى بلاط أرخلاوس ملك مقدونيا بين [٤١٣ و ٣٩٩ ق.م] وكان أحد مؤسسى مدرسة كوس الحربية فى الطب Dogmatic[٣٠] School وكذلك أخاها دراكون .

كلاوو بطرة أو قلاوة بطرة Cleopatra

لقد أخذ عنها جالينوس أدوية كثيرة وعلاجات شتى وخاصة ما كان من ذلك من امور النساء .

٣ – انتيو شيش : Antiochis

عاشت هذه الطبيبة فى طولس Tols من مدن أسيا الصغرى . كانت إمرأة فاضلة برعت فى الطب وتفانت فى خدمة المرضى مما جعل سكان طولس يقيمون لها نصبا تذكاريا يخلدون فيه ذكرها .

درست هذه المرأة الطب فى مدرسة كوس وقد عاصرت جالينوس أو سبقته بقليل ، أشتهر أمر وصفاتها بين الأطباء كما عرفت وصفاتها فى محافل روما فذكر بعضها جالينوس فى كتبه .

أهم أعمال أبقراط :

ليس فى كل ما كتب أبقراط فى الطب وفى كل ما يمكن أن يكتب فيه ، ما هو أكثر اختلافا وأقل تجانسا من مجموعة الرسائل التى كانت تعزى فى القديم اليه .

فهى تحتوى على كتب مدرسية للأطباء ، ونصائح لغير رجال الطب ومحاضرات للطلبة وتقريرات وبحوث وملاحظات وتسجيلات سريرية (اكلينيكية) لحالات طريفة

---

(٢٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٧.

(٣٠) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٢١٩.

ومقالات كتبها سوفسطائيون ممن يهتمون بالناحيتين العلمية والفلسفية في الطب . فقد كان الاثنان والأربعون سجلا سريا هي السجلات الوحيدة من نوعها في السبعة عشر قرنا التي أعطيت ذلك العهد[٣١].

يعد أبقراط أول من دون الطب وبوبه ونسقه على أسس صحيحة ، وكان أسلوبه فى تأليف كتبه على ثلاثة أنواع من طرق التعليم . احداها على سبيل اللغز والثانية على غاية الاختصار والإيجاز والثالثة على طريق التساهل[٣٢] والتبيين. لقد كان اكبر فضل لأبقراط وخلفائه أنهم حرروا الطب من الدين والفلسفة . وكانوا يشيرون فى بعض الحالات بأن يستعين المريض بالصلاة والدعاء ، كما ترى ذلك فى كتاب «التنظيم» ولكن مما هو واضح فى صفحات الكتاب أو المجموعة كلها هو وجوب الاعتماد الكلى على العلاج الطبى والحق أن الفلسفة أثرت فى طرق العلاج اليونانية تأثيرا بلغ من قوته أن قام النزاع بين العلم والفلسفة كما قام بينه وبين العقبات التى يصنعها الدين فى سبيله .

ويقول أبقراط ويصر على قوله أن النظريات الفلسفية لا شأن لها بالطب ولا موضع لها فيه ، وأن العلاج يجب أن يقوم على شدة العناية بالملاحظة ، وعلى تسجيل كل حالة من الحالات وكل حقيقة من الحقائق تسجيلا دقيقا . ولسنا ننكر أنه لم يدرك كل الادراك قيمة التجارب العلمية ولكنه كان يصر على أن يهتدى فى جميع أعماله بالخبرة والتجربة العملية .

أما عن التشخيص فقد كان أضعف النقط فى طب أبقراط فقد يبدو أنه لم يكن يعنى بقياس النبض ، وكانت الحمى تعرف باللمس ، كما كان يؤمن بالعدوى فى أحوال الجرب والرمد والسل .

كان أبقراط شديد الولع بمعرفة العواقب فى الطب . يرى أن الطبيب الماهر يعرف بتجاربه نتائج أحوال الجسم المختلفة وفى مقدوره أن يتنبأ بسير المرض فى مراحله الأولى . ويقول أن معظم الأمراض يصل الى مرحلة يقضى منها إما عليها وإما على ذاته .

وكانت الطريقة الأبقراطية لا تستخدم العقاقير فى العلاج الا قليلا ، واكثر ما تعتمد عليه هو الهواء النقى والمقيئات والأقماع والحقن الشرجية والحجامة والأدماء والكمادات والمراهم والتدليك والمياه المعدنية[٣٣] .

---

(٣١) Garrison : Histoire de la Medecine p. 95

(٣٢) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى جـ٣ ص ١٤٠.

(٣٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤١.

لذا كان دستور الأدوية اليونانية يتكون معظمه من المسهلات وكانت أمراض الجلد تعالج بالحمامات الكبريتية وبالتدليك بدهن كبد الدولفين .

وكان أبقراط يسدى بمجموعة من النصائح الى الناس مثل : عش عيشة صحية تنج من الأمراض الا اذا انتشر فى البلد وباء أصابتك حادثة . وإذا مرضت ثم اتبعت نظاما صالحا فى الأكل والحياة أتاح لك ذلك أحسن الفرص للشفاء . وكثيرا ما كان أبقراط يوصى بالصوم اذا سمحت بذلك قوة المريض فكان يقول «كلما أكثرنا من تغذية الأجسام المريضة زدنا بعد ذلك تعريضها للأذى[٣٤] .

ومازالت كتب أبقراط معول الأطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها أو فسرها أو ترجمها أو علق[٣٥] عليها فتظهر أهمية أبقراط ليس فى اضافاته العلمية ولكن فى وصفه لمنهج مبادىء ودراسة وتعلم الطب . فهو الذى وضع أسس الأعراض والتشخيص والعلاج والأمراض[٣٦] والتشريع .

وقد ألف أبقراط حوالى ثلاثين كتابا ، والذى يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب اذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد أثنا عشر كتابا وهى المشهورة من سائر كتبه .

١ - أعماله ومؤلفاته الطبية :

١ - كتاب المرض المقدس : الصرع De morbo sacro ليس هذا الكتاب أشهر المصنفات الأبقراطية ، لكنه من أبرزها فى نظر مؤرخى علم الطب . ونسبته الى أبقراط فى الراجح صحيحة . والمرض المقدس هو الصرع [الانهيار العصبى] ولكن الكتاب يعالج أيضا أنواعا من النوبات العصبية والأمراض العقلية .

يبدأ هذا الداء على ما يظن فى الدماغ والسبب المباشر لحدوث النوبة هو احتباس الهواء فى الأوعية الدموية وأعجب مافى هذا الكتاب رفضه الإسم الذى طالما أطلق على داء الصرع «والمرض المقدس» اذ ليس ثمة فيما يدعى «أبقراط» نوعان من الأمراض طبيعى ومقدس أو إنسانى والهى بل أن جميع الأمراض طبيعية

---

(٣٤) The GREEK GENIUS The greek genius, Oxford 1924, p. 235

(٣٥) Sarton : G = Introduction to the history of Science p 76

(٣٦) Budge : Book of Medicine p.11

٢ - كتاب الانذار المرضى :

هذا الكتاب منسوب الى أبقراط بلا خلاف . وصف فيه نشوء الأمراض الحادة وتطورها لكى يتمكن الطبيب من أن يتكهن عن هذا التطور عند ابتدائه . وأستمر هذا الكتاب متداولا حتى منتصف القرن السابع عشر ، وهو موجود فى عدد كبير من المخطوطات والطبعات فى لغات كثيرة[٣٧] .

وظهرت طبعات الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب فى عهد بالغ القدم ، وذلك فى جملة الطبعات الست لكتاب Articella ثم طبعه على حدة هنرى أتين Henri Estienne

٣ - كتاب التدبير الصحى فى الأمراض الحادة Regimen in acute disease

إن صحة نسبة هذا البحث لم تكن يوما موضعا للشك . وهو يشبه ملحقا لكتاب الانذار المرضى . والأمراض الحادة التى تناولها البحث والتى تتميز بحرارة عالية هى العلل الصدرية والملاريا المتقطعة ، وعلاجها الخاص خفيف للغاية لكنه مقرون بنظام غذائى صارم . إن النص اللاتينى لهذا البحث موجود فى طبقات Articella القديمة وعددها [٤٧٦]. وأول طبعة مستقلة للأصل اليونانى هى التى حققها هالر Haller [باريس سنة ١٥٣٠] وهناك طبعات أخرى اكثرها باللاتينية .

٤ - كتاب المقدمات التمهيدية الثانى Prorrhetic II

إن قدماء النقاد أمثال أروتيانوس وجالينوس لم يعتبروه صحيح النسبة ، وظاهره كله يدل على أنه يعود إلى العهد الأبقراطى الباكر . يختلف هذا الكتاب اختلافا كبيرا عن كتاب المقدمات التمهيدية الأول الذى هو مجموع مائة وسبعين حكمة طبية ، أما التمهيد الثانى الذى نحن بصدده فينقسم إلى ثلاثة وأربعين فصلا بعضها طويل نوعا ويشتمل على عدد وافر من الملاحظات الطبية .

٥ - كتاب الأوبئة الأول والثالث Epidemics I and III

إن هذا الكتاب من روائع المؤلفات العلمية اليونانية وان كان غير محكم الصياغة لأن مؤلفه لم يعن جديا بتهذيب عباراته وهو جمهرة من الأنظمة الصحية ومجموعة خاصة من القصص الأكلينيكية . وتصف هذه الأنظمة ملابسات المناخ وأحوال المرض العامة فى مواقع وتتعلق ثلاثة منها بجزيرة تاسوس Thasos تلك التى لا مفر لنا من افتراض أن المؤلف (أبقراط) كان يعرفها جيدا . أما الحوادث الأكلينيكية فعددها اثنتان وأربعون

---

(٣٧) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٢١٩.

انتهت خمس وعشرون منها بالوفاة وتتميز هذه الملاحظات الطبية بطابع علمى ولهجة رصينة تثير الإعجاب .

٦ - كتاب الأوبئة الثانى والرابع الى السابع Epidemics II, IV, VII

تم فصل هذه الكتب الخمسة من مؤلف الأوبئة عن الكتابين السابقين (الأول والثالث) تمشيا مع التقليد القديم الذى يرى أنها لا تنعم بالاصالة مثلما ينعمان فقد نسب القدامى الكتابين الأول والثالث إلى أبقراط نفسه ، فى حين ردوا سائر الكتب الأخرى إلى أبقراطيين آخرين . ونسبت الكتب الثانى والرابع والسادس غير مرة إلى تسالوس Thessalos ابن أبقراط .

وشرح الكتاب السادس جلوكياس التارينى Glaucias of Tarentuna (النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد) وهو أحد الأطباء القدامى .

يقول جاليوس أن المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب ليست من كلام أبقراط .[٣٨] .

فى الجـراحـة :

إن المؤلفات الجراحية تكاد تكون بالنسبة إلى نظام الطب الأبقراطى فى منزله المصنفات الطبية الأخرى إلا أن طابعها الفنى الصارم يجعلها أبعد تداولا عن القارىء العادى .

١ - الجروح فى الرأس De capitis vulneribus

إن هذا البحث من أروع البحوث الأبقراطية ويعود تاريخه فى الغالب إلى أواخر القرن الخامس ، وينسب إجمالا إلى أبقراط بالذات . ويشتمل على أوصاف لأنواع الجماجم المختلفة ولنظرية الكسر بالصدمة المعاكسة ، وفيه أيضا منهج حديث فى كيفية ثقب الجمجمة بالتربنة ومناقشة للحركات التى يشار فيها بإجراء هذه الجراحة العظيمة وتلك التى يفضل فيها الامتناع عن ذلك .

٢ - فى الجراحة De officina medici

وهى مجموعة ملاحظات تعالج خاصة فن التضميد فتوضح كيف ينبغى للجراح أن يتصرف ، وأى الأدوات يستخدم وما إلى ذلك . وجملة هذه الملاحظات أشبه ما تكون

(٣٨) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٢.

بكراسة أعدها أستاذ أودونها أحد الطلاب . وفيها تكرار كثير ، ولكن التعليم الصالح يستتبع ترويض الطلاب بالتكرار .

٣ - الكسور والمفاصل وأدوات الجبر :

De fractis, De articulis reponendis vectiarius

ويمكن أن تعالج هذه البحوث الثلاثة مجتمعة .

الأول والثانى من وضع طبيب واحد كانا فى وقت ما مؤلفا واحدا والثالث خلاصة الفصول التى تعالج خلع المفاصل فى البحثين الأولين . وقد غلب عليها جميعا الطابع الفنى . لقد جعل جالينوس يبحث الكسور والمفاصل فى المجموع الأول من المؤلفات الأبقراطية وهو أوثقها . والغريب أن أحد الشراح القدماء لم ينسبها إلى أبقراط نفسه بل إلى جده أبقراط بن نوسيديكوس(٣٩) .

الفلسفة الطبية والرسائل

١ - كتاب الطب القديم : De prisca medicina

هذا بحث قديم العهد ولنقل أواخر القرن الخامس وليس مؤلفه هو مؤلف كتاب الصرع [المرض النفسى] وكتاب التدبير الصحى فى الأمراض الحادة ، وكتاب الأوبئة] ذلك لأن أسلوبه الأدبى أشد أناقة من أساليبها ، ومؤلفه فيما يرجح أحد تلاميذ الأستاذ الكبير ممن جمعوا بين الطب والفلسفة ، أى الجدل والخطابة ، وشعروا بضرورة الدفاع عن الفن الطبى بأسلوب يرضى زملاءه .

٢ - كتاب الفن الطبى De Arte

وضع هذا البحث القصير الذى يصعد إلى العهد الأبقراطى الباكر ليثبت أن هنالك شيئا يسمى الفن الطبى ، وليقف مدافعا عن الذين يمارسونه ضد كل من يحاولون الحط من قدره وقد حاول بعض الباحثين أن يدللوا على أنه بروتاجوراس Protagoras أو هيبياس Hippias

والذى نستنتجه من هذا البحث أنه كان زمن أبقراط ، كما فى العهد الحاضر أناس يشنعون على الأطباء زاعمين الشفاء إنما هو من قبيل الحظ ، وأن المرضى غالبا ما يشفون من غير معونة طبية ، وأن البعض قد فاضت أرواحهم وهم بين يدى الطبيب ، وأن الأطباء طالما امتنعوا عن معالجة بعض الأمراض .

---

(٣٩) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص ٢١٩.

٣ - كتاب الأخلاط De humoribus

قد يكون هذا الكتاب أشد هذه المصنفات نُشوزًا وأدعاها إلى الغرابة والحيرة . والكتاب عبارة عن مسودة أبقراطية صحيحة النسبة وقد سبق لقدماء الشارحين أن عرفوها والكتاب - الذى يتكون من ثلاث مقالات - جمهرة من الملاحظات عنى بجمعها أحد الأساتذة أو الطلبة وهو حافل بالألغاز وأولها عنوانه الخاص اذ يكاد لا يعالج موضوع الأخلاط مطلقا ولا يعرض لها الا كتاب أبقراطى واحد هو طبيعة الأنسان[٤٠] .

ولقد قام جاليبوس بتفسير عدد كبير من مؤلفات أبقراط مثل :

١ - **كتاب عهد أبقراط** تفسير جالينوس ترجمة حنين من اليونانية وأضاف اليه شيئا من جهته وقد ترجمه عيسى بن يحيى للعربية

٢ - **كتاب الفصول** : تفسير جالينوس ترجمة حنين الى العربية .

٣ - **كتاب الأمراض الحادة** : تفسير جالينوس وهو خمس مقالات والذى ترجمه عيسى ابن يحيى ثلاث مقالات

٤ - **كتاب أبيذيميا** : سبع مقالات وفسره جالينوس .

٥ - **كتاب الأخلاط** : تفسير جالينوس ثلاث مقالات نقلها عيسى بن يحيى الى العربية .

٦ - **كتاب طبيعة الإنسان** : تفسير جالينوس وهو عبارة عن ثلاثة مقالات .

(٤٠) المرجع السابق جـ١ ص ٢١٩.

الفصل الرابع

١ - الطب فى عصر الاسكندر

٢ - الطب فى عصر جالينوس

١ – الطب فى عصر الاسكندر

مدرسة الإسكندرية الطبية :

قام الإسكندر الأكبر – الملقب بذى القرنين – بتخطيط مدينة الإسكندرية ، وقام «بطليموس سوتر» بإنشاء مدرسة الإسكندرية الطبية التى كان لها مكانة بارزة فى النهضة العلمية والفكرية بفضل جهود علمائها البارزين الذين أثروا الدراسات الطبية فى عصرهم . فتوجهت الأنظار إليها وكثر طلبة الطب فيها بعد أن كان الطب – قديما – يدرس فى مدرسة «برغامس» .

فمنذ أوائل القران الرابع الميلادى انتقلت إلى الإسكندرية الدراسات العلمية المختلفة ومنها الطب والصيدلة ، كما وفد إليها العلماء من جامعة أون [عين شمس الحالية] ومن اليونان بغرض الدراسة[١] .

كان عماد التدريس فى مدرسة الإسكندرية على مؤلفات أبقراط الذى كان «بطليموس» قد أشار بجمع رسائله.لقد أنشأ مؤسسو مدرسة الإسكندرية منهجا تعلميا لتدريب الأطباء فاختاروا لهذا الغرض ستة عشر كتابا من كتب جالينوس . وقد أعيد إخراج بعضها فى صورة مختصرة واتخذت مادة للشرح فى المحاضرات المنتظمة .

ومما هو جدير بالذكر أن وسائل العلاج قد انتقلت من المصريين القدماء الذين عاشوا على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة إلى اليونان ثم من الرومان إلى عصرنا الحاضر وهكذا حملت مصر القديمة مشعل العلم والحضارة وتعهدته بالرعاية فظل دهرا طويلا يضيىء العالم حتى تسلمته منها شعوب أخرى نقلت الشعلة إلى باقى أجزاء العالم فأضاءتها .

امتاز عهد الإسكندر بالتحرر غير العادى من التعصب الدينى ، وكان أطباء تلك المدرسة قد استقلوا بفن التشريح فكان من المسموح لهم أن يقوموا بالتشريح العملى بقدر ما كان يحلو لهم .

وكان العمل داخل معهد العلوم لا يخضع الا لإشراف الملوك وحدهم ويكاد يكون غير معروف للعامة ولذلك كانت حرية البحث كاملة .

---

(١) محمد كامل حسين : الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٢٨٢.

إن مدرسة الإسكندرية هى التى جعلت من الممكن ولأول مرة إجراء فحص شامل لبناء الجسم البشرى . فلقد سبق أن قام أبقراط وتلاميذه وغيرهم من الأطباء ببحوث تشريحية ألا أن بحوثهم لم تكن أبدا على مثل تلك الدرجة من الترابط ولا طريقهم بمثل تلك الجودة[٢] .

كانت مدرسة الإسكندرية تعتبر مدرسة تجريبية وكانت تذهب الى أن الطب لا يختص بالبحث فى أسباب المرض وإنما يختص بعلاجه فحسب عن طريق التجربة وملاحظة الحالات المتشابهة .

وتشتهر مدرسة الإسكندرية بوضعها أساس علم التشريح رغم تحفظات المصريين واليونان على تشريح الجسم البشرى[٣] .

عاشت مدرسة الطب حتى سنة ١٠٠ ق.م وتحت حكم بطليموس أصبحت مدرسة الإسكندرية أشهر مدرسة للطب ، ووصلت سمعتها إلى أجزاء كثيرة فى غرب آسيا الى فلسطين وسوريا وشمال الجزيرة العربية[٤] .

وبقيت هذه المدرسة مركز الطب والثقافة عدة قرون ومنها تخرج جالينوس ، وكانت أول منهل علمى لجأ إليه العرب فى عصر الأمويين .

ولقد نبغ فى مدرسة الإسكندرية عدد من الأطباء جعلوا بأبحاثهم العلمية مدرسة الطب فى الإسكندرية تفوق ما كانت عليه المدرسة الأبقراطية . ولقد زاد تلك المدرسة أزدهارا وتألقا رجلان عبقريان هما هيروفيلوس وأرازستراتوس اللذان كان لكل منهما مذهبه الخاص فى الطب والعلاج .

ونتيجه لذلك أطلق على هذه الفترة العصر الذهبى للتشريح ويعد هيروفيلوس Herophile وأرازستراتوس Erasistrase مؤسسى مدرسة الأسكندرية من الناحية العلمية[٥] .

---

(٢) جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٣٨.

(٣) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٥ ص ٢٦٥.

(٤) Budge : Book of Medicine p 12

(٥) ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٤ ص ٢٧١.

١ – هيروفيلوس الخالقيديس : الخلقديني [٣٣٥ – ٢٨٠ ق.م]

ولد هيروفيلوس فى خلقدونية[٦] فى أواخر القرن الرابع ، وكان أحد العلماء الذين أجتذبهم بطليموس إلى الإسكندرية فى أوائل القرن التالى .

وكان هيروفيلوس أحد مؤسسى النهضة اليونانية كما أنه اشتهر بعلم التشريح[٧] والجراحة . وعلى حسب ما يقول جالينوس كان هيروفيلوس أول من مارس التشريح البشرى ، فقد قام بتشريح أجسام الموتى والمجرمين والمحكوم عليهم بالإعدام[٨] . فمن الجائز أن يكون جالينوس قد عنى بالتشريح العلنى [أمام جمهور صغير] أو أن يكون قد عنى بالتشريح النظامى مع المساعدين والتلاميذ .

وكان هيروفيلوس يعتبر أحد أتباع مدرسة أبقراط وقد قام بتدريس الطب فى الإسكندرية على عهد البطالمة الأوائل . ولما كان هيروفيلوس رائدا كان عليه أن يخترع طريقة التشريح ، وكان مضطرا كلما اكتشف عضوا جديدا أن يضع له اسما . وقد وردت إلينا معظم هذه الأسماء الجديدة عن طريق جالينوس وهذا لكون كتابات جالينوس هى أول موضع لظهورها مكتوبة .

كان أول من اكتشف الدورة الدموية واهتم اهتماما كثيرا بنبض الدم وابتكر أداة جديدة لقياس سرعته وكانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ فقد توصل إلى ان المخ هو مركز التفكير وأنه متصل بالجهاز العصبى ،وقد فرق بين المخ والمخيخ . ولقد قام أيضا بتشريح جسم الإنسان وقد أدى تقدم التشريح إلى تقدم الجراحة وإلى اختراع آلات جديدة لهذا الفن واستخدامها بمهارة فائقة ، ولذلك يعتبر من أباء علم التشريح الحديث[٩] .

إن هيروفيلوس هو صاحب الفكرة القائلة بأن الشرايين تحمل دما لا هواء – كما كان يظن – وأنها لا تنبض من تلقاء نفسها إنما من القلب ، وبذلك كشف فعلا الدورة الدموية ، ولكنها أهملت بعده وضاعت حتى بعثها «هارفى» «Harvey» إلى عالم الوجود .

---

(٦) خلقدونيا : مدينة تقع فى بيثينيا وتعرف حديثا باسم كاد يكوى جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٤ ص٢٤٦.

(٧) جورجى زيدان :تاريخ التمدن الاسلامى جـ٣ ص ١٤٥.

(٨) اوليرى : الثقافة الاغريقية ص ٥٢.

(٩) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٥ ص ٢٦٥.

وكان هيروفيلوس يميل إلى استعمال العقاقير ، فكان يستعملها أكثر من أبقراط ومدرسته لاعتقاده بأنه لا يمكن تطبيب الأمراض دون مساعدتها .

لقد قام هيروفلوس بأبحاث تشريحية عن الأعصاب والكبد والرئيتن حتى أصبحت الإسكندرية مركز الطب فى العالم الهلنستى .

ولقد كتب هيروفيلوس رسالة من ثلاثة أجزاء عن التشريح ورسالة أصغر منها عن العيون ، وكتب مذكرة للمولدات كما وضع كتابا ممتازا عن العقاقير الطبية مؤكدا أنه لم يذكر فيه عقارا لم يجربه بنفسه[10] .

ومن أمثلة ما اكتشفه هيروفيلوس ما يأتى :

١ - وصف مفصل للدماغ . ٢ - التمييز بين المخ والمخيخ .
٢ - السحايا . ٤ - التمييز بن أوتار العضلات وبين الأعصاب
٥ - وصف أعصاب الإبصار ووصف العين .
٦ - وصف الكبد والغدد اللعابية والبنكرياس والبرستاتا وأعضاء التناسل .
٧ - لقد فرق بوضوح بين الشرايين والأوردة وقال أن الشرايين أكثر سمكا ست مرات من الأوردة وقال أنها تحتوى دما وليس هواء .
٨ - لقد كانت واحدة من أسوأ أخطاء أرسطو أنه جعل الذكاء فى القلب بدلا من الدماغ . فرفض هيروفيلوس ذلك الخطأ وأحيا آراء القمايون **Alcaméon** القديمة التى قالت أن الدماغ هو مقر الذكاء .

كان هيروفيلوس معلما بارزا بقدر ما كان باحثا . ولقد أسس مدرسة استمرت - وان تناقضت حيويتها - حتى نهاية عصر البطالمة .

ولا يزال رجال الطب يستخدمون حتى اليوم بعض الأسماء التى أطلقها على أجزاء الجسم مثل «الإثنى عشر» وقد كان «لهيروفيلوس» تلاميذ كثيرون منهم «أندرياس» الطبيب الخاص لبطليموس الرابع عشر ، ثم ظهر بعد ذلك أرازيسترانوس .

٢ - أرازستراتوس البوليس :

كا معاصرا لهيروفيلوس وأصغر منه وربما يكون قد بدأ نشاطه مساعدا له[11] .

---

(١٠) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٥٢.

(١١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ١٤٥.

ولد أرازستراتوس حوالى سنة ٢٠٤ ق.م فى بوليس[١٢] ولهذا لم يكن «يونانيا من آسيا» وإنما هو يونانى من بلاد اليونان ، فكان طبيعيا أن يتلقى تعليمه فى اليونان كان أراز ستراتوس نظريا أكثر مما كان هيروفيلوس . فإذا نحن أسمينا هيروفيلوس مؤسس علم التشريح ، فربما جاز لنا أن نسمى ارازستراتوس مؤسس علم الفسيولوجيا ، وقد سمى أيضا مؤسس علم التشريح المقارن وعلم التشريح المرضى .

كان علم التشريح المقارن طبيعيا لأن الأطباء القدامى كانوا مضطرين لتشريح الحيوان ، كما كانوا فى حاجة إلى تشريح الإنسان .

ولقد أطلق عليه المشرح المرضى ذلك لأنه أجرى تشريحات بعد الموت أى أنه شرح جثث أشخاص بعد موتهم مباشرة ، وكان تاريخهم الطبى معروفا ، ولذلك استطاع أن يعرف الإصابات التى كانت سببا فى وفاتهم وتتعلق الكشوف التشريحية الرئيسية له بالدماغ والقلب والجهازين العصبى والوعائى ، ولولا اقتناعه بأن الشرايين مملوءة بالهواء ، ولولا نظرياته الهوائية على العموم لجاز له أن يكشف الدورة الدموية .

فهو مثلا قد اهتدى إلى أن شرايين الحيوان الحى تصدر دما عندما تقطع ، وقد عرف الأعصاب الحركية والحسية كما فرق بدقة أكثر بين المخ والمخيخ وشاهد لفائف المخ ولاحظ أنها أكثر تعقيدا لدى الانسان منها لدى الحيوان .

لقد فاق أرازيسترانوس هيروفيلوس فى أبحاثه عن المخ والقلب ، وهو الذى اخترع المجس[١٣] .

كان هيروفيلوس وأرازيستراتوس – فى رأى جالينوس – من أطباء المدرسة الإسكندرانية التى تعتمد على دراسة أسباب المرض كما تعتمد على علمى التشريح والفسيولوجيا .

٣ – يوديموس الإسكندرى

يقال أن مدرسة التشريح بالإسكندرية بقيت حتى نهاية العصر الهلينى ، ولكن إذا صح هذا فإنها تكون قد فقدت تميزها ووحدتها ، إذ أن عالم التشريح الوحيد الذى يستحق

---

(١٢) بوليس : كانت المدينة الرئيسية فى كيوس إحدى جزر السيكلاديز الواقعة على مقربة من أرخى أتيكاد وأسمها الحديث «زى» أو «ريا».

جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٤١.

(١٣) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٥ ص ٢٣٥.

الذكر بعد هيروميلوس وأرازيستراتوس هو معاصرهما الأصغر يوديموس الذى برز حوالى منتصف القرن الرابع . وقد قام بدراسة عميقة للجهاز العصبى وللعظام وللبنكرياس وللجهاز التناسلى الأنثوى لعلم الجنين .

إن علم التشريح [٣٥٠ - ٢٥٠ ق.م] يتمثل فى السلسلة الآتية : أرسطو - ديوفليس - براكساجوراس - هيروفيلوس - أرازيستراتوس - يوديموس .

وقد برز حوالى نصف هؤلاء الأطباء فى مدرسة الإسكندرية كما عملوا فى معهد العلوم[١٤] .

ومن أشهر أطباء وعلماء مدرسة الإسكندرية الطبية :

١ - الإسكندر الأفروديسى الدمشقى :

كان الإسكندر الأفروديسى فيلسوفا متقنا للعلوم الحكمية وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة ، كما شرح من كتب أرسطو الكثير ، وكانت شروحه يرغب فيها فى الأيام الرومية وفى الملة الإسلامية[١٥] .

لقد رأى جالينوس واجتمع معه أى عاصره ويقال أنه هو الذى لقبه برأس البغل لعناده وكان بينهما من مخاصمات ومشاحنات .

ألف الإسكندر الأفروديسى كتبا كثيرة ضمنها مقالات عديدة منها مقال فى السوداء [ماليخوليا] ومقالة فى الرد على جالينوس ومقالة ثالثة فى العلل التى تحدث فى المعدة وأخرى فى النفس وغير ذلك .

٢ - فيلينوس وسيرابيون Philinos - Serapion

عاشا حوالى سنة ٢٩٠ ق.م ويعدان من مؤسسى مدرسة الإعراضيين الذين يقولون بالاعتماد فى المداواة على أثر الأدوية فى العلاجات المرضية والأعراض مهملين الأسباب والأمراض .

لقد تخصصا فى دراسة عقاقير قدماء المصريين ولا سيما الكريهة الطعم منها وقد ظلت تلك العقاقير مستعملة إلى القرن الثامن عشر[١٦] .

---

(١٤) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٤١.
(١٥) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٤١.
(١٦) **جورج حداد** المدخل فى تاريخ الحضارة دمشق سنة ١٩٥٨ ص ٤١٩.

٣ - كراتة ناس Craténas

كان كراتة ناس طبيب ميترايدت الرابع ، كما درس السموم ومضاداتها عملا بأوامر صاحب البلاط الذى كان يخشى الموت مسموما .

٤ - هيراقليدس : [النصف الأول من القرن الأول ق.م]

كان جراحا بارعا ووضع كتابا ممتازا عن العقاقير الطبية materia medica مؤكدا أنه لم يذكر فيه شيئا لم يجربه بنفسه . وقد مهد الطريق إلى كشف الأدوية المخدرة anaesthetics حتى وصلت إلى استخدامها كمسكنات استخداما صحيحا[١٧] .

٥ - يحيى النحوى :

كان يحيى النحوى فى أول أمره أسقفا ، وقد أكرمه عمرو بن العاص عند فتحه لمصر[١٨] .

كان يحيى قويا فى النحو والمنطق الفلسفة ، وقيل أن سبب براعته فى الفلسفة أنه كان فى أول أمره ملاحا يعبر الناس فى سفينه ، وكان يحب العلم كثيرا ، فإذا عبر معه قوم من العلماء بجزيرة الإسكندرية يتحاورون هشت نفسه للعلم .

ولما توسع فى العلم فكر فى أمره وقال : بلغت نيفا وأربعين سنة من العمر وما ارتضيت شيئا وما عرفت غير الملاحة فكيف يمكننى أن أتعرض إلى شيء من العلوم[١٩] وبينما هو يفكر إذ رأى «نملة» قد حملت نواة ثمرة وهى تريد أن تصعد بها الى علو وكلما صعدت بها سقطت فلم تزل تجاهد نفسها. وهى فى كل مرة يزيد ارتفاعها عن الأولى حتى بلغت غايتها . فلما رآها يحيى النحوى قال لنفسه : إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة فأنا أولى أن أبلغ غرضى بالمجاهدة . فخرج ، وباع سفينته ولازم دار العلوم ، وبدأ بعلم النحو والمنطق واللغة والطب فبرع فى كل هذه العلوم .

وبما أنه بدأ بالنحو أولا فقد نسب إليه واشتهر به ، وقد وضع كتبا كثيرة منها مصنفات فى الطب بينها كتاب الصناعة الصغيرة وكتاب النبض الصغير وكتاب الخراج

---

(١٧) د. ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٤ ص ٢٧٤.
(١٨) ابن أبى أصيبعة عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٠٣.
(١٩) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٣٢.

وكتاب العلل والأعراض ، وكتاب علل الأعضاء الباطنة .. وكلها شروح على ما ذكر جالينوس .

ويعتبر يحى النحوى من أبرز علماء المدرسة حيث قام بشرح عدد كبير من كتب جالينوس[٢٠] الطبية كما قام بوضع عدد كبير من المؤلفات فى الطب وغيره من العلوم مما منحه شهرة واسعة داخل الإسكندرية وخارجها . فهو يعتبر أحد الأضواء الأولى فى مدرسة الإسكندرية الطبية . وقد عرف يحيى النحوى باسم «يوحنا فيلوبونس» التى ترجمها العرب بمعنى «المحب للتعب أو المحيط بالاجتهاد» ولعل هذه التسمية نسبة إلى جماعة مسيحية هى جماعة محبى الاجتهاد[٢١]

٦ - بولس الأجينى :

برز أيضا فى مدرسة الإسكندرية ، وقد وضع عددا من الكتب الطبية تعرف باسم كتب الطب السبعة وقد كانت بمثابة الاساس فى التعاليم الطبية العربية واللاتينية فى ذلك الوقت.، كما ظلت تدرس كمراجع ذات قيمة كبيرة وذلك لمدة طويلة .

---

(٢٠) أوليرى : الفكر العربى ص ٣٩.

(٢١) جماعة محبى الاجتهاد «الفيلوبونيين» كانت تقوم بحماية أعضائها من اعتداء الطلاب الوثنيين ومحارب المعلمين والوثنيين وتقوم فى بعض الأحيان بالهجوم على المعابد الوثنية التى تحطم صورة الألهة الموجودة بها : عبد الرحمن بدوى التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٤٢ .

٢ – الطب فى عصر جالينوس

هو كلوديوس جالينوس . ولفظة جالينوس معناها الهادىء[١] .

يعتبر «جالينوس» إمام الأطباء فى عصره ورئيس الطبيعيين فى وقته ، ومؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان .

ولد فى خريف سنة ١٣٠ م فى برغام Pergamon من أرض اليونان[٢] . ولكن اختلفت الأراء فى تاريخ وفاته . فالبعض قال سنة ٢٠٠ ق.م[٣] . والبعض الأخر ذكر سنة وفاته بأنها عام ٢١٨م[٤] .

كانت برغام (برغامس) فى ذلك الحين مدينة مشهورة بعمرانها زاهرة بتجارتها زاخرة بالعلماء والحكماء ورجال الطب والفلسفة.بدأ جالينوس دراسته فى برغاموس ثم انتقل إلى غيرها لمتابعة دراسته وتعليمه حتى برع فى الطب .

ولقد وصف جالينوس تشريح بعض الأعضاء المكشوفة مستندا فى وصفه إلى ما شاهده فيها . وقام ببعض التجارب لمعرفة منافع الأعضاء ، لذلك كان خليفا به أن يلقب بموحد علم وظائف الأعضاء التجريبى Physiologie experimentale وقد شرح جثث المعوقين بإلقائهم إلى الحيوانات المفترسة كما درس أنواع الحيوانات وقارن بين أعضاء جثثها من الوجهة التشريحية .

لقد قال جالينوس عن نفسه فى تاريخ حياته :

---

(١) **الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٥١.

(٢) **فرغميس وفرغمين** : أخبار الحكماء ص ١٦٣/ فرغماس : عيون ص ٧٧/ فرغاموس مختصر الدول / هى من بلاد أسيا شرق القسطنطينية . فتقال أيها كانت سجن الملك هناك وكانوا يسجنون من غضبوا عليه . وهى معروفة قديما باسم برغمش كانت . بها مكتبة أسست أيام الملك أنطيوكس وظلت مدة تضارع مكتبة الأسكندرية .

(٣) **جوزيف جارلند** : قصة الطب ص ٥٢
جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : جـ٣ ص ١٥٠

(٤) **ابن القديم** : الفهرست ص ٢٨٨
ابن العبرى : الفهرست ص ٢٨٨
ابن أصيبعة : عيون الأبناء ص ٧١

«إن أبى لم يزل يؤدبنى بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضات التى تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت من السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم أنه وجهنى إلى تعلم المنطق ورغب فى تعليمى الفلسفة فرأى رؤيا حورت فكره ودعته إلى تعليمى الطب وقد أتت على من السنين سبع عشرة سنة»[٥] .

ولما بلغ جالينوس من العمر عشرين عامًا توجه إلى أزمير سنة ١٥٠ ثم رجع إلى الإسكندرية ليتمكن فيها من إتقان فن التشريح فى مدرستها . وبعد مكوثه فيها مدة عاد إلى موطنه برغامس سنة ١٥٨ وهو فى الثامنة والعشرين فعين جراحا للمصارعين . وكان هذا منصبا ممتازا لطبيب ناشىء فبلغ فيه من ذيوع الصيت حتى أستقدم إلى روما بعد وقت قصير ونال بها شهرة عظيمة لطبيب ومعلم وبحاثة تجريبى[٦] .

أخذ جالينوس يتنقل فى البلاد حتى جاءت سنة ١٦٤ حيث سافر إلى رومية . ثم سافر إليها مرة أخرى سنة ١٦٨[٧] حيث سكنها تلك المرة ورافق ملكها وكان فى أثنائها هو القيصر[٨] نيرون. وقد تم على يديه شفاء بعض كبار القوم فذاع صيته وأطلقوا عليه لقب «الطبيب العجيب» فحسده زملاؤه وقد بدأت النصرانية فى أيامه فى الانتشار ، فلم ينتظر جالينوس وبقى وثنيا ولكنه مع ذلك مدح المسيحيين فى بعض كتاباته مدحا بليغا . وقد سارع بالتعرف على أتباع المسيح عليه السلام بعد أن قيل له أنه أبرأ الأكمه والأبرص . لذلك خرج من رومية قاصدا بيت لحم فبلغ صقلية ومات فيها حيث يوجد قبره[٩] .

كان جالينوس كثيرا ما يلتقى بالإسكندر الأفروديسى الدمشقى الذى كان يلقبه برأس البغل لعظم رأسه وقيل أيضا لشدة عناده فى المناظرة .

دخل جالينوس الإقليم المصرى وسلكه إلى آخره وعرف مدنه وبواديه .

كان إنتاج جالينوس ضخما فى التأليف ويقال أنه ألف أربعمائة كتاب أحترق أكثرها

---

(٥) الشطى : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٥٠.
(٦) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ٥٢.
(٧) تقول ابن النديم أن جالينوس كانت أكثر أسفاره الى رومية وذلك لأن ملكها كان فى أيامه مجنونا وكان مستحضرة كثيرا .
(٨) كان نيرون سادس القياصرة الذين ملكوا رومية .
(٩) الشطى : تاريخ الحكماء ص ٥٨.

فى حريق معبد السلام وضاع بعضها مع الأيام ، بيد أن ما بقى منها أصبح دستورا مقدسا للطب عبر الإثنى عشر قرنا التالية .

والسر فى دوام تلك الثقة بجالينوس هذا الأمد الطويل أنه كان آخر عملاق من عمالقة الطب فى التاريخ القديم .

مات جالينوس سنة ٢٠٠م بعد أن قضى حياته فى عصر ذهبى من عصور الحضارة العالمية القديمة .

وقد ازدهر الطب فى عصر جالينوس ازدهارا عظيما . فقد كان له الفضل العظيم فى كشف وإظهار كثير من الحقائق الطبية التى كانت مجهولة لفترة طويلة .

فقد درس جالينوس ترتيب أعضاء الجسم ، وتعمق فى علم وظائف الأعضاء ، وأقر بتوزيع النفس فى أجزاء الجسم ، وافترض أن المؤثرات فيها أربعة عوامل حية البرد والحر والرطوبة والجفاف كما بنى اختلاف الأمراض على اختلاف هذه العوامل . وقد اعتمد العرب على مؤلفاته التى بلغت حوالى خمسمائة رسالة لم يبق منها إلا حوالى ثلاث وثمانين رسالة فقط ، لجالينوس كتاب ناقض به الشعراء وكتاب فى لحن العامة كما لم يسبقه أحد إلى علم التشريح وقد ألف فيه سبع عشرة مقالة وقد كان الأطباء قبل زمن جالينوس شيعا مختلفة منهم :

١ - **القانونيون** الذين زعموا أن للطب قوانين لا يعتريها الخلل .
٢ - **المجربون** الذين اعتمدوا فى علاجهم على التجريب
٣ - **الرئيبيون** الذين زعموا أن للأمراض أنواعا مرتبة .
٤ - **المختارون** الذين اختاروا من كل مذهب أحسن ما فيه .

أما جالينوس «نفسه» فلم يتبع مذهبا ما . وأطلق على التابعين اسم «عبيد» لكنه كان ميالا لمذهب القانونيين والمختارين . ولقد تلاشت تلك الأراء بين الأطباء وصار الجميع على رأى جالينوس متبعين تعاليمه وقد ترجمت أكثر مصنفات جالينوس إلى اللغة العربية كما طبعت كتبه فى أوربا مرات كثيرة .

قال القفطى عن جالينوس :

«هو إمام الأطباء فى عصره ورئيس الطبيعيين فى وقته ومؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من العلوم[١٠]» ومن أشهر كتب جالينوس : «كتاب التشريح» وعلم

(١٠) المرجع السابق .

وظائف الأعضاء وعلم الجنين ، والأخلاط ، وحفظ الصحة والأطعمة وتعديل الأخلاط ، وعسر التنفس والخفقان والتشنجات .

كان أبوه «مساحا» لم يكن فى زمانه أعلم منه فى علم المساحة ، وكان جالينوس عالم بطريق البرهان ، ولم يكن فى زمانه أكثر دأبا منه فى قراءة الكتب ، وكان حلو الحديث خطيبا حتى أن إخوانه وأصدقاءه كانوا يلقبونه «بالبديع القول» و«قوال الأوابد» . وكان متصفحا لكلام جميع المؤلفين يشرح غامض العلم ويبسط مستعصيه .

وقد ظل الطب قائما فى العصور القديمة والعصور الوسطى على ما دونه أبقراط وجالينوس وعلى ما أضاف إليه العرب من اختيارات وتحسينات» .

قال جالينوس : لا يمكن للطب أن يداوى مداواة جيدة دون ان يتقدم فيعلم سابق الألم وما استجد من أمر المريض[11] .

ان أكثر معلوماتنا عن البحوث التشريحية يرجع إلى جالينوس [النصف الثانى من القرن الثانى ق.م] الذى أتيح له برغم تأخره فى الزمن أن يجمع أدلة ذات قيمة لا فى الإسكندرية وحدها ، بل فى مدن أخرى عديدة لها فى علم التشريح تقاليد ترجع الى عصور سابقة .

أما عن أعمال جالينوس فلها شهرتها العظيمة وقد قام حنين بن اسحق العبادى وغيره بنقلها الى اللغة العربية . وأهم هذه المصنفات :

١ - كتاب الفهرست :

وهو عبارة عن مقالتين . المقالة الأولى ذكر فيها كتبه فى الطب وفى المقالة الثانية كتبه فى المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو .

٢ - كتاب العرق :

وهو مقالة واحدة ، وقال جالينوس عنه أنه أول كتاب يقرؤه من أراد تعلم صناعة الطب ، وغرضه فيه أن يصف ما يقوله كل واحد من فرقة أصحاب التجربة ، وأصحاب القياس وأصحاب الحيل ، وفى تثبيت ما يدعى والاحتجاج له ، والرد على من خالفه .

---

(١١) كتاب جالينوس فى الأسماء الطبية ص ١٢.
مخطوط تحت رقم (٢٤٥. فى المكتب العامة لجامعة الاسكندرية .

وكان جالينوس قد وضع هذه المقالة وهو شاب من أبناء الثلاثين سنة أو أكثر قليلا عند دخوله رومية لأول مرة ومنه نسخة بمكتبه باريس[١٢] .

٣ - **كتاب النبض الصغير :**

وهو مقالة واحدة عنونها جالينوس إلى «طوثرس» وسائر المتعلمين،وغرضه فيها أن يصف ما يحتاج المتعلمون إلى عمله من أمر النبض ، ويعدد فيه أولا أصناف النبض ، لا يذكرها فيه جميعها ، ولكن ما يقوى المتعلمون على فهمه منها ثم يصف بعد ذلك الأسباب التى تغير النبض ماكان منها طبيعيا وما كان منها ليس بطبيعى وما كان خارجا عن الطبيعة . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة فى الوقت الذى وضع فيه كتابه فى الفرق .

٤ - **كتاب إلى أغلوقن :**

فى التأنى لشفاء الأمراض . ومعنى أغلوقن باليونانية «الأزرق» وكان فيلسوفا وعندما رأى من أثار جالينوس فى الطب ما أعجبه سأله أن يكتب له ذلك الكتاب . ووصف له فى المقالة الأولى دلائل الحميات ومداواتها . ووصف فى المقالـة الثانية دلائل الأورام ومداواتها وكان وضع جالينوس لهذا الكتاب فى الوقت الذى وضع فيه كتاب الفرق .

٥ - **كتاب فى الفصل :**

وهو مقالة واحدة . لم يعنونه جالينوس الى المتعلمين ، لكن أهل الإسكندرية أدخلوه فى عداد كتبه الى المتعلمين .

٦ - **كتاب الإسطقسات** على رأى أبقراط

وهو مقالة واحدة ، وغرضه فيه أن يبين أن جميع الأجسام التى تقبل الكون والفساد وهى أبدان الحيوان والنبات والأجسام التى تتولد فى بطن الأرض إنما تركيبها من الأركان الأربعة التى هى : النار ، والهواء ، والماء ، والأرض

٧ - **كتاب العلل والأعراض :**

وهو ست مقالات . وهذا الكتاب ألف جالينوس مقالاته متفرقة ، وجمعها الإسكندريون وجعلوها كتابا واحدا . ويعنون جالينوس المقالة الأولى بأصناف

---

(١٢) ابن أبى أصيعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٩٢.

الأمراض ، والمقالة الثانية بأسباب الأمراض والمقالة الثالثة بأصناف الأغراض . أما الثلاث مقالات الباقية فعنونها بأسباب الأعراض[١٣] .

٨ - كتاب النبض الكبير :

هذا الكتاب جعله جالينوس فى ست عشرة مقالة وقسمها إلى أربعة أجزاء وفى كل واحد من هذه الأجزاء أربع مقالات . عنوان الجزء الأول أصناف النبض،وعنوان الجزء الثانى تعريف النبض وغرضه منه ، وعنوان الجزء الثالث أسباب النبض،وعنوان الجزء الرابع والأخير تقدمه المعرفة من النبض .

٩ - كتاب أصناف الحميات مقالتان :

وغرضه منه أن يصف أجناس الحميات وأنواعها ودلائلها . وصف فى المقالة الأولى منه جنسين من أجناسها ، أحدهما يكون فى الروح والأخرى فى الأعضاء الأصلية ، ووصف فى المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذى يكون فى الأخلاط .

١٠ - كتاب فى المزاج :

هو ثلاثة مقالات فى تصنيف أمزجة أبدان الناس والحيوان وأصناف مزاج الأدوية وكيف تختبر[١٤] .

---

(١٣) **ابن أبى أصيبعه** : عيون الأبناء ص ٩٢.

(١٤) **اليعقوبى** : تاريخ اليعقوبى ص ٩٤ القاهرة سنة ١٨٨٣.

الباب الخامس

الطب عند السريان

الفصل الأول

الحضارة السريانية

الحضارة السريانية

لا شك أن أول حضارة عالمية هى حضارة بلاد ما بين النهرين . و لم يعد هناك من يشكك فى قدمها وأصالتها ورقيها ، بل تزيدنا الاكتشافات والبحوث قناعة يومًا بعد يوم بأن أثر حضارات بلاد ما بين النهرين المتعاقبة عبر العصور العديدة تسبق بكثير عصور ازدهار الحضارات العالمية الأخرى بما فى ذلك المصرية والهندية والإغريقية وغيرها[1] .

ليست حضارة وادى الرافدين قديمة وحسب بل هى فكر وأدب وفنون من الطراز الرفيع جدًّا رغم قدم عهدها[2] فنراها حضارة ناضجة بحيث يصبح إقرار الباحثين بأن المنطقة الهلالية الشكل « أى بلاد ما بين النهرين » كانت مهد الحضارة منذ فجر التاريخ[3] .

إن مصطلح أرام النهرين أى بلاد ما بين النهرين كان يقصد به الأقسام الشمالية من العراق وبالتحديد المنطقة الواقعة بين منبع البليخ أحد روافد نهر الفرات العليا وبين نهر الفرات والتى مركزها حران الحالية . وأول من ترجم هذا المصطلح إلى الإغريقية المؤرخ اليونانى المعروف بوليبيوس (٢٠٢ - ١٢٠ ق . م) فاستعمل كلمة « ميزوبوتاميا » التى صارت تطلق على ما يعرف اليوم بوادى الرافدين أى العراق[4] . ثم أطلق الآشوريون تسمية أرام على الجماعات التى وجدت فى تلك المنطقة ومن ثم عمت كل القبائل التى تنتسب إلى أصل واحد .

وقد بدأ الآراميون يستقرون فى منطقة الفرات الأوسط [الخابور - البليخ - الفرات] فى أواخر الألف الثالثة ق . م[*] وذلك بعد أن توغلوا فى شمال جزيرة العرب وهنا نمت وظهرت لغتهم وثقافتهم الخاصة بهم وقد اقتبسوا الكثير من الكنعانيين

---

(١) **مجلة آفاق عربية** : السنة السابعة - مارس سنة ١٩٨٢ : أصالة حضارة وادى الرافدين وأثرها فى الحضارات العالمية : د . يوسف حبى . ص ٤٨ .

(٢) **طه باقر** : ملحمة جلجامش : بغداد سنة ١٩٨٠ ص ٦ .

(٣) **د . أحمد كمال زكى** : الأساطير : دراسة حضارية مقارنة جـ ٢ بيروت سنة ١٩٧٩ ص ٩ .

(٤) **مجلة الأقلام** : العدد العاشر - أيلول سنة ١٩٧٠ - ملاحظات فى جغرافية العراق ص ١٥ .

(*) **Deringer** : D = The Alphabet, p 259.

ومن الحضارات المجاورة لها ولا سيما حضارة وادى الرافدين ولكنهم حافظوا على لغتهم ولهجتهم الخاصة بهم .

انتشرت اللغة الآرامية منذ القرن الرابع عشر ق . م وحتى عهد الإسكندر المقدونى (القرن الرابع ق . م) انتشارًا واسعًا لدى سائر الشعوب القاطنة فى آسيا الصغرى وحتى بلاد فارس ومن حدود أرمينيا حتى جزيرة العرب(٦) .

فاللغة الآرامية فرع من فروع كتلة اللغات الغربية التى انتشرت شمال غربى ما بين النهرين وقد أصبحت لغة أقطار الشام وتغلغلت فى بلاد فارس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها . ثم امتدت إلى وادى النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت زمنًا طويلاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية فى القرون الأولى قبل الميلاد فى بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين .

وكانت الآرامية لغة السيد المسيح والحواريين وبها كتب الإنجيل على ما يرجح وقد دونت الكتابات الدينية لمختلف الكنائس الشرقية بلهجات مشتقة من الآرامية وبأقلام مأخوذة من الأبجدية الآرامية (٧) .

وقد تشعبت اللغة الآرامية إلى مجموعة لهجات وقد انتشرت احدى لهجاتها أو مجموعة من لهجاتها فى وقت متأخر بين السكان المسيحيين فى سوريا والعراق متخذة الرها مركزًا لها فعرفت السريانية .

وكانت هذه السريانية الآرامية هى الطريق الرئيسى الذى عبرته الثقافة الإغريقية إلى شعوب الشرق الأدنى .

كانت السريانية أهم اللهجات الآرامية القديمة على الإطلاق وهى أغناها فى الإنتاج الأدبى والعلمى والفلسفى . فقد ظلت منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادى اللغة السامية الوحيدة – إذا استثنينا العربية – المعبر الأول للعقلية السامية طوال اثنى عشر قرنًا(٨) . وهكذا وحدت اللغة الآرامية قبل المسيح جميع روابط الأمة السريانية .

---

(٦) Chabot: La Litterature Syriaque, Paris 1934/p 9.

(٧) بولس الخورى : غراماطيق اللغة السريانية – الطبعة الثانية – بيروت – المطبعة الرهبانية اللبنانية المارونية سنة ١٩٦٢ – ص ٦ .

(٨) مجلة المعلم الجديد : تموز – تشرين الأول سنة ١٩٥٨ : « فى الثقافة السريانية » ابراهيم السامرائى ص ٢٢ .

وفى منتصف القرن الرابع ق . م كانت الآرامية قد طغت على جميع الألسنة فى هذه المناطق .

فقد كانت اللغة الأكادية من عداد اللغات الميتة فى المحادثة[9] . ثم اشتبكت الآرامية فى صراع مع لغات الكنعانيين جيران الآراميين فى الشمال الغربى وكتب لها النصر كذلك فى هذا الصراع، فقضت على العبرية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وعلى الفينيقية فى القرن الأول قبل الميلاد .

وبذلك ورثت الآرامية أخواتها الشرقية والشمالية جميعًا وأصبحت اللغة السائدة فى التخاطب فى جميع بلاد العراق من جهة وفى سوريا وفلسطين وما إليها من جهة أخرى .

وقد بلغت الآرامية عنفوان مجدها ووصلت منطقتها إلى أقصى درجات اتساعها فى المرحلة المحصورة بين سنة ٣٠٠ ق . م وسنة ٦٥٠ م فقد بلغت فى هذه المرحلة مساحة البلاد الناطقة بالآرامية ستمائة ألف متر مربع .

وفى القرنين السابقين للميلاد واللذين يليانه كانت الآرامية لا تزال تحتل الصدارة بين اللغات السامية فى الشرق ووجدت آثارها فى الرها وحران وتدمر والبطراء[10] ومصر وشمال أفريقيا كما بلغت الهند وأفغانستان وأطراف الصين . وهذا ما دعا المستشرقين إلى تسمية آرامية تلك الفترة بـ « الآرامية الملكية » .

وهذا كله يدل على أن الآرامية قد احتفظت بأهميتها ومكانتها رغم كل ما حل بها من كوارث وصعاب حالت دون رقيها وتقدمها .

فلم يؤثر على الآراميين فى بيئة العراق – بصفة خاصة – ما انتاب هذه البيئة من تنافس فى الحكم أو نزاع فى السياسة ، بل استمروا يمارسون ما عرفوه ويضيفون إليه ما ينتجون وقد بقيت الحركة العلمية فى نشاط مطرد حين اعتنق الآراميون الدين المسيحى فى القرن الثانى الميلادى .

فقد بدأت تتركز عندهم دراسات دينية واسعة وفلسفة إلٰهية عميقة[11] .

إن السريانية ليست امتدادًا طبيعيًا للآرامية القديمة فى كل مكان ، إنما هى تطور أرامى رهاوى وقد كان لها الحظ أن تصبح لغة رسمية صار لها وزنها بعد اعتناق المسيحية

(٩) **رفائيل بابو اسحق** : تاريخ نصارى العراق . مطبعة المنصور سنة ١٩٤٨ ص ٣٨ .

(١٠) **اسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ص ١٢٧ .

(١١) **د . حسن عون** : العراق وما توالى عليه من حضارات – الطبعة الثانية مطبعة رويال سنة ١٩٥٢ ص ١١٤ .

وتبنيها من قبل الكنائس الشرقية ، فأعطت حصيلتها اللغوية مشفوعة بالسلطة الدينية التى اكتسبتها إلى جماعات وبلدان عديدة ودعمتها الكنيسة – وما تزال نوعًا ما – بصفتها لسان حالها المتوارث فقد كانت لغة الأدب والدين فى جميع الكنائس ابتداء من فلسطين وسوريا إلى بلاد أذربيجان[١٢] وفارس .

يكاد يجمع الباحثون أن كلمة « السريانية » جاءت نسبة إلى سوريا .

أما حول أصل كلمة « سوريا » فقد اختلفت آراؤهم وتنوعت اجتهاداتهم منذ القدم بينما كان للهجات الآرامية الأخرى أن تحيا فترات أقصر حتى بعد أن أصبحت لغات مستقلة أو أن تبقى محصورة فى نطاق محدود كالتذمرية والحضرية والمندعية وغيرها . وقليلون هم الذين يستشفون هذه الحقيقة التى نراها مفيدة ومهمة لإيضاح التباسات شتى .

لم يكتب عن اللغة السريانية وأدابها كتابة مفصلة إلا عدد قليل من العلماء أمثال وليم رايت **William Wright** والمستشرق الألمانى أنطون بومشتارك **A. Baumstark** ومع أن اللغة السريانية غنية بأدبياتها إلا أنها لم تجد العناية التى لاقتها اللغتان العبرية والعربية مثلاً فهى – على أية حال – أم اللغات الآرامية وأغزرها[١٣] إنتاجًا .

فيقول أدى شير : « سوريا كان اسمها فى اللغة المصرية « خارو » أو « شارو » . واتخذه اليونان فقالوا فيه : « سوريا » وقيل أن سوريا تحريف « أسوريا » اليونانى أى أثور[١٤] ويرى «فيليب حتى» ما يراه أدى شير فيذكر أن اليونان كانوا يسمون بلاد أرام « سورية »[١٥] .

ولكن لا توجد فى الغالب صلة فى الاشتقاق بين « سوريا » و « أسوريا » و « أشور » . وكما أطلق اليونان اسم سوريا عليها كذلك أطلقوا اسم السريان عليهم[١٦] .

---

(١٢) **أذربيجان** : أرض أذربيجان واسعة الأرجاء أسمها القديم Atropatene وهى من بلاد الجبال جنوبًا والكرد غربًا والديلم وبحر قزوين شرقًا وأرمينيا وموقان شمالاً ، وكانت بها دولة السلارية سنة ٣٣٠ – سنة ٤٢٠ هـ .

(١٣) **عطية الإبراشى** : المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها – الطبعة الأولى – المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٩٣٥ ص ٧ .

(١٤) **أدى شير** : تاريخ كلد وأثور جـ ١ ص ٥١ .

(١٥) **فيليب حتى** : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ ١ ص ١٨٤ .

(١٦) **Duval:** Histoire Politique et Religieuse et litteraire d'Edesse Paris 1892, Impimerie Nationale p 22.

يقول ابن الصليبى : « لكنهم أعنى اليونانيين يسموننا تحقيرًا لنا السريان ونحن نردهم قائلين إن اسم السريان الذى سلبتموه عنا ليس عندنا من الأسماء الشريفة لكونه متأتيًا من اسم « سورس » الذى ملك فى أنطاكية فدعيت باسم « سوريا » . أما نحن فإننا بنى أرام وباسمه كنا نسمى يومًا الآراميين »(١٧) .

ويذكر أدى شير : « أن اسم السريان اسم غريب خارجى أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل سوريا ، ومن اليونان استعاره الآراميون الغربيون ، ومن السريان الغربيين سرى إلى المتنصرين من الكلدان الآشوريين لأنه من سوريا أتتهم المسيحية ، فتسموا باسم السريان تمييزًا لهم عن الكلدان الآشوريين الوثنيين . فلم يكن الاسم « سريانى » يومئذ يدل على أمة بل على الديانة المسيحية لا غير(١٨) .

إن لفظ « سريانى » لم يعرف قبل أربعمائة أو خمسمائة عام من قبل المسيح . أما الآراميون الشرقيون وهم الكلدانيون والآشوريون فإن نفس التسمية لم تعرف بينهم إلا بعد المسيح على يد الرسل الذين تتلمذوا فى هذه الديار لأنهم كانوا جميعًا من سوريا وفلسطين ، وذلك إذ كان أجدادهم الأولون المتنصرون شديدى التمسك بالدين المسيحى ، أحبوا أن يسموا باسم مبشريهم ، فتركوا اسمهم القديم واتخذوا اسم « السريان » ليتميزوا عن بنى جنسهم الآراميين الوثنيين .

ولذا أصبحت لفظة آرامى مرادفة للفظة الصابئ والوثنى ، ولفظ السريانى مرادفة للفظة المسيحى والنصرانى(١٩) .

يقول إقليمس يوسف داود : « إن يومنا هذا نرى الكلدان الآشوريين لا يتخذون لفظة سريانى للدلالة على الجنسية بل على الديانة ، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحى من أى أمة أو جنس كان »(٢٠) .

يقول فيليب حتى : « عندما اتخذ المسيحيون الآراميون لهجة إدسا EDESSA وجعلوها لغة الكنيسة والأدب والتعامل الثقافى صاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح

---

(١٧) **المطران يعقوب أوجين منا** : دليل الراغبين فى لغة الآراميين – الموصل سنة ١٩٠٠ ص ١٠ جـ ٢ .
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ ص ٦٩ .
(١٨) **أدى شير** : تاريخ كلد وأثور جـ ١ ص ١ .
بولس الخورى : غراماطيق اللغة الآرامية ص ٥ .
(١٩) **مجلة منح الحقوق الثقافية** : دور اللغة السريانية ص ٥٩ .
(٢٠) **المطران يعقوب أوجين منا** : دليل الراغبين ص ١١ .

لإسمهم القديم أى الآراميين معنى غير مستحب فى عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العموم وحلت محله التعابير اليونانية وهى سورى Syrien بالنسبة للشعب وسريانى Syriac بالنسبة للغة »[٢١] .

وكذلك يرى د.«حسن محمود» ما يراه الدكتور «حتى» فيذكر أن الآراميين لما اعتنقوا المسيحية واستخدموا لهجة الرها فى كنائسهم وفى أدابهم وثقافتهم نبذوا اسمهم الأول لصلته بالوثنية وسموا أنفسهم السوريين أو السريان[٢٢] .

ويرى بعض المؤرخين أن اليونان - بما كان لهم من السيطرة والنفوذ قديمًا - هم أول من سمى الآراميين بالسريانيين ، وبالتدريج أبطل استعمال هذا الاسم « أرامى » وذلك لأن اليونان كانوا ينفرون من الكلمة الأولى لثقلها فى نظرهم ويستأنسون بالثانية لأنها خفيفة على سمعهم ، سهلة على ألسنتهم . ولا غرابة فإن الإغريق كانوا مولعين بتحريف الأسماء وتغييرها بحسب ما يقتضيه ذوقهم وتستحسنه آذانهم فى البلاد التابعة لهم .

والجدير بالذكر أن جميع الشعوب التى كانت تتكلم بالآرامية دعيت أولاً « سريانًا » وذلك أن اليونانيين جهلاً منهم ، أطلقوا على جميع أجزاء ممالك السريان القديمة كالكلدانيين والبابليين والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين إسمًا عامًا هو « السريان » الذى اشتق من إسم « أشور » نظرًا إلى عظمة وتفوق وشهرة أصحاب هذا الاسم على كافة أنحاء الأمة الأخرى .

ونظرًا لتقارب وتشابه جميع الشعوب السريانية بعضها ببعض فقد كان من الصعب على اليونانيين أن يميزوا بين مختلف تلك الشعوب الكثيرة ، ولذلك أطلقوا اسم الجزء على الكل دون تميز وأسموهم « أسوريين »[٢٣] .

وكانت مدينة الرها مصدر الإشعاع الحضارى والثقافى لكل السريان ولذلك اتخذت عاصمة لهم وكانت تقع شمال ما بين النهرين « دجلة والفرات » بين الموصل والشام وقد شيدها « سلوقس نيقاطور » سنة ٣٠٤ م .

---

(٢١) **فيليب حتى** : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ ١ ص ١٨٤ /
د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . دار المعارف سنة ١٩٧١ - ص ١١١ .

(٢٢) **د . حسن محمود** : الساميون القدماء ص ٣٨٥ .

(٢٣) **المجلة البطريركية** : العدد ٦٥ - آذار سنة ١٩٦٩ السنة الرابعة - اللغة الآرامية وأقسامها ص ٢٥٣ .

ذهب بعض الباحثين إلى أن الرها سميت بهذا الاسم نسبة الى « أورهوى بن الحسبة » أحد الملوك الآراميين القدامى[٢٤] . كما ذكرت الرها فى الكتابات المسمارية الآشورية باسم « رواوا » . ومنذ القرن الخامس عشر الميلادى عرفت باسم أورفا Urfa وهو اسم تركى ، وهى باليونانية EDESSA وبالآرامية ܐܘܪܗܝ « أورهاى » وكانت لها شهرة عظيمة فى الحضارة . وتعد عند النصارى من المدن المقدسة فتحها عياض بن غنيم سنة ١٧ هـ وفيها جامع ينسب إلى الخليل إبراهيم عليه السلام[٢٥] .

وترجع أهمية الرها إلى الفترة ما بين القرنين الثانى قبل الميلاد والثالث ميلادى . فقد كان موضع هذه المدينة على طريق التجارة البرى الموصل من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط سببًا فى ازدهارها الاقتصادى .

ولقد دخلتها المسيحية منذ القرن الأول الميلادى . بل أن القصص الفلكلورية السريانية تذكر أن ملك الرها « أبجر بن معن » كان يحكم فى عهد المسيح ، وقد آمن به فأرسل يدعوه لترك أورشليم القدس والإقامة عنده فكتب المسيح إليه معتذرًا بلطف . ثم جاء من قِبَلِه « أداى » الذى نشر المسيحية فى الرها[٢٦] .

ومهما يكن من أمر فإن الثابت تاريخيًا هو أن الرها تنصرت تمامًا فى القرن الثانى المسيحى .

فقد كانت الرها منذ أن اعتنق أهلها المسيحية فى القرن الثانى الميلادى أهم مركز للثقافة فى الشرق المسيحى وكانت لغتها أهم لغة للآداب المسيحية بوجه خاص[٢٧] .

فالسريانية لهجة آرامية استطاعت أن تصبح لغة المسيحية فى المناطق الواقعة فى بلاد الرافدين وشمالى سوريا أولاً ثم تتجه شرقًا حتى تصل أثارها الكتابية – على يد المبشرين من النساطرة – إلى الهند والصين بينما كان انتشارها غربًا ليس بالأمر اليسير حيث كانت اليونانية لغة الثقافة الهلينية ما زالت تحتل مكانة هامة متمثلة بأنطاكية مركزها العتيد .

ولكن بعد أن تزعزع بناء الدولة اليونانية فى سوريا تحت حكم آل سوليقوس بسبب توغل الجيوش الرومانية فى الأراضى السورية تحت قيادة الشهير « بومبيوس » فى القرن

---

(24) **Duval**: Histoire d'Edesse p 30.

(٢٥) **مجلة منح الحقوق الثقافية** : ص ٥٩ .

(٢٦) **د . حسن ظاظا** : الساميون ولغاتهم ص ١١٨ .

(٢٧) **د . على عبد الواحد وافى** : فقه اللغة : الطبعة الثامنة – دار نهضة مصر ص ٥٩ .

الأول قبل الميلاد ، ظهرت فى شمال سوريا والعراق دويلات صغيرة كان أغلبها للعنصر الآرامى .

وقد اشتهرت بين تلك الدويلات دولة عرفت باسم « أسروينا Osroene » وكانت عاصمتها مدينة إدسا EDESSA . ثم أخذت تظهر تفوقها على بقية البلدان الآرامية بعد أن انتشرت فيها المسيحية إلى أن تغلبت على معظم أخواتها وأخذت مكانًا رفيعًا بين سائر اللهجات السريانية[٢٨] .

لقد انتشرت اللغة السريانية وتبنتها الكنائس الشرقية مثل الكنيسة الشرقية الآشورية الكلدانية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكاثوليكية والكنيسة المارونية فعرفت بها طقوسها وكتب بها تراثها الدينى وعدت اللغة الأدبية والكنسية لجميع الكنائس الشرقية من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسى[٢٩] .

وفى القرن الخامس الميلادى دبت الخلافات الدينية نتيجة للشقاق الذى صدع جوانب الكنيسة المسيحية على أثر مجمع أفسس سنة ٤٣١ م ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م .

وقد أدى ذلك إلى انقسام المسيحيين إلى جماعتين تنسب أحدهما للمسيح طبيعتين وتنسب له الأخرى طبيعة واحدة . وعاد أصحاب الطبيعة الواحدة فانقسموا إلى قسمين : أصحاب الطبيعة الواحدة والملكية . والملكية هم أصحاب الكنيسة الرسمية . وكان هذا حدًا فاصلاً فى السريانية بين أصحاب الطبيعة الواحدة فى الغرب وأصحاب الطبيعتين فى الشرق .

وقد اتخذ كل منهما لهجة تختلف عن لهجة الجماعة الأخرى وربما كان ذلك نتيجة للموقع الجغرافى ، كما استعمل كل منهما نظامًا مختلفًا فى الكتابة ونظامًا متباينًا للحركات .

(١) **اليعاقبة** : نسبة إلى يعقوب بارادوس Jacob Barados وهو يعقوب البردعانى وهم السريان الغربيون الذين كانوا يخضعون لحكم البيزنطيين ويقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح .

(٢) **النساطرة** : نسبة إلى نسطوريوس Nestorius وهم السريان الشرقيون الذين كانوا يقطنون المناطق الواقعة تحت الحكم الفارسى ويعتقدون بطبيعتين منفصلتين للمسيح : واحدة إلهية والثانية إنسانية[٣٠] .

---

(٢٨) **Duval:** Histoire d'Edesse p. 22.

(٢٩) **Segal. J.B** = Edessa, Oxford 1970 p. 32.

(٣٠) **القس بولس الخورى** : غراماطيق اللغة الآرامية ص ٦ .

كانت الفروق بين الشعبتين فى بادئ الأمر يسيرة ثم بعد أن اشتد الخلاف واضطر الرومان إلى إغلاق مدرسة الرها فى سنة ٤٧٩ م وانتقل مركز أصحاب مذهب النساطرة إلى نصيبين أخذت كل شعبة تنحو نحوًا جديدًا فى بحث المشكلات الدينية واللغوية والاجتماعية .

أما الاختلافات اللغوية فكانت موجودة فى اللغة الآرامية منذ القرون الغابرة ولكنها برزت بروزًا واضحًا بعد ظهور النزاع بين النساطرة واليعاقبة على أن بعض الفوارق اللغوية اخترعت لأغراض سياسية ودينية أكثر منها لغوية . لم يتوقف الأمر عند حد الانقسام الدينى وإنما رافقه انقسام لغوى : لهجة شرقية ولهجة غربية تبعًا للمنطقة الدينية واتخذت كل لهجة منها طريقًا خاصًا بها(٣١) .

كانت اللغة السريانية لغة حية واسعة الانتشار منذ القرن الثالث أو الرابع إلى القرن السابع أو الثامن الميلادى – أى حوالى أربعة قرون – فكتبت بها كثير من الكتب المطولة وكان معظمها يحتوى على أمور دينية تتعلق بالمسيح ، والدين المسيحى وطبيعة المسيح ، والرهبنة وحياة الرهبنة والرهبان ورسائلهم ومناقشاتهم الدينية والكنسية وتقاليدها . لقد اهتم السريان الخاضعون للإمبراطورية الفارسية باللغة السريانية وأدابها اهتمامًا كبيرًا ، فقاموا بقسط كبير من العمل على ترقيتها ، فكان لها مركز عظيم . وقد احتلت مكانًا كبيرًا فى عصر الملوك الفرس وكانت وسيلة للتهذيب والتثقيف والأدب .

أما فى الشرق فى عهد الإمبراطورية الرومانية فكانت اللغة السريانية أهم لغة بعد اللغة الإغريقية . وقد أخذت اللغة السريانية بعد القرن السابع أو الثامن الميلادى تموت وتذبل تدريجيًا بظهور الدين الإسلامى وبنهضة اللغة العربية وإسلام كثير من المسيحيين فالفتوح العربية قد أضعفت مركز اللغة السريانية وغيرته كل التغيير . وفى أثناء ذلك ظهر – حتى فى الرها منبع اللغة السريانية – فرق عظيم واختلاف كبير بين لغة الكتابة وبين لغة المحادثة . ولقد تبين للسريان حوالى سنة ٧٠٠ م أنه قد أصبح من الواجب وضع قواعد أجرومية للغتهم وترتيبها وإدخال بعض الوسائل للتعبير بوضوح عن الحركات السريانية . وقد كان غرضهم الوحيد من ذلك هو أنه بالقواعد وضبط الكلمات بالحركات يمكن ويسهل قراءة الكتاب المقدس باللغة السريانية قراءة صحيحة(٣٢) .

---

(٣١) **د . يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين بغداد – مطبعة المعارف – مطبوعات مجمع اللغة السريانية ٤ – ٧ شباط سنة ١٩٧٤ – ص ٣٣١ .

(٣٢) **اقليمس يوسف داود** : اللمعة الشهية جـ ١ الموصل سنة ١٨٩٦ ص ٢٠٣ .

ولم يكن هناك وسيلة لجعل القراءة صحيحة إلا بالحركات والضبط ، ولا يمكن تصحيح الشكل إلا بالقواعد . لكن قد حدث أن النطق الشرق - نطق النسطوريين - قد اختلف فى كثير من الوجوه عن النطق الغربى نطق اليعقوبيين . وأن اختلاف اللهجات قد أثر بعض التأثير فى لغة الأدب ونطقها وقد ظلت اللغة السريانية الآرامية زاهرة زاهية حتى أواخر القرن السابع الميلادى وامتدت إلى القرن الثامن الميلادى ، ثم تقدمت فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر الميلادى .

بيد أنه فى أوائل القرن الثامن الميلادى أخذ يتقلص ظلها عند تمازجها باللغة العربية ، ثم دب الضعف فى جسمها . وبتعاقب الزمن غادرت أكثر المدن التى كانت منتشرة فيها واعتصمت بالقرى والجبال فلابستها الألفاظ الغربية - مما نراه - فى اللغة الدارجة المعروفة بالسورث[٣٣] . ويتكلم بها الآن بعض الشعوب القاطنة فى العراق وكردستان وسوريا وبلاد العجم .

انتشرت اللغة السريانية الآرامية انتشارًا واسعًا فى الشرق حتى أصبحت اللغة الخاصة لمملكة الفرثيين والساسانين وذلك حتى مطلع القرن السابع الميلادى .

فقد عرف ملوك فارس قدرها فتكلموها أبان سيطرتهم على شعوب كثيرة مختلفة فى الجنس واللغة فى إمبراطوريتهم العظيمة . فقد خضعت لأبجديتها قرونًا طويلة وهذا أقوى برهان على وصول المفردات من هذه اللغة إلينا لتفوقها عليهن . فقد كان لها منزلة اللغة الدولية[٣٤] .

وقد امتد نفوذها إلى آسيا الصغرى نفسها على الرغم من أنه لم يهاجر إليها إلا عدد قليل من الآراميين . فقد عثر فى آسيا الصغرى على نقود صدرت فى عهد بعض ولاة الفرس تحمل رموزًا وكلمات آرامية . وهذا يدل على أن الآرامية كانت اللغة الرسمية لهذه البلاد بل يظهر أنها كانت تستخدم فيها أحيانًا لتدوين بعض المنتجات الأدبية والعلمية كما يدل على ذلك نقش عثر عليه حديثًا فى كبادوس Cappadoce من أعمال آسيا الصغرى كان للآرامية السريانية فى مصر نفسها وذلك فى العهد الفارسى منزلة لا تقل عن منزلتها فى البلاد السابق ذكرها ، بل امتد نفوذها من مصر إلى ما بعد العهد الفارسى

(٣٣) السورث : كلمة سورث مختزلة من الكلمة الآرامية موراثيث

(٣٤) Duval = R = Notice sur les dialectes néo araméens dans les Memoires de la societe de Linguistique, t.IX, 1896, p.38.

بزمن طويل كما تدل على ذلك الوثائق التى عثر عليها فى جزيرة فيلة (أنس الوجود) .. ولم يتوقف نفوذها عند هذا الحد ، بل جاوزه إلى مناطق اللغة العربية نفسها .

فكانت الآرامية تستخدم كلغة كتابة فى بعض المناطق العربية اللغة ، وخاصة فى بلاط النبط ، وتركت فضلاً عن هذا أثارًا ظاهرة فى اللهجات العربية البائدة ، وهى لهجات عربية كانت مستخدمة فى بعض مناطق واقعة شمال الحجاز فى داخل الحدود الأرامية وعلى تخومها وخاصة فى الحجر (مدائن صالح) والعلا[٣٥] .

وقد اكتشف هوبر Huber سنة ١٨٨٠م مسلة كبيرة فى تيماء تحتوى على ٢٣ سطرًا يرجع عهدها إلى القرن الخامس ق.م[٣٦] وهى الآن بمتحف اللوفر بفرنسا . فقد كانت آرامية تدمر آرامية غربية ولكن دخلها شيء من اللهجة الآرامية الشرقية إلا أنها احتفظت بخصائصها الغربية[٣٧] .

وفى مصر وجدت آثار آرامية كثيرة ، ففى المتحف البريطانى عدة مخطوطات منها . وجدت إحداها فى سقارة مؤرخة سنة ٤٥٨ ق . م ويضاف إلى ذلك آثار صغيرة أخرى كالاسطوانات والمثاقيل والأختام معاصرة لها . كما اكتشفت آثار آرامية أخرى كعقود زواج وطلاق ووراثة ترتقى إلى القرنين السادس والخامس ق . م يقول الأب هنرى لامنس اليسوعى :

« من عجب الأمور أن انتشار لغة الآراميين بلغ عهد السلوقيين مبلغًا عظيمًا فأصبحت اللغة السائدة فى كل آسيا السامية ، أعنى فى سوريا وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب . وكان المسلمون يدرسونها لكثرة فوائدها .. وقد كتب بها الآرمن مدة قبل انتشار الآرمنية وحروفها . وقد بلغ امتداد هذه اللغة أقاصى الشرق فى الصين شمالاً وفى الأقطار الهندية جنوبًا ، كما أنها بلغت جنادل النيل ، فلا نظن أن لغة أخرى حتى ولا اليونانية جارت الآرامية فى اتساعها[٣٨] .

---

(٣٥) د . على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص ٥٦ .

(٣٦) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ص ٤٩ .

(٣٧) دى لاسى أوليرى : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ترجمة يحيى ثمام حسن جـ ١ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٧ – ص ٩٢ .

(٣٨) مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ : هنرى لامنس ص ٧٠٥ .

مجلة المعلم الجديد : تموز – تشرين الأول سنة ١٩٥٧ « الثقافة السريانية » ابراهيم السامرائى سنة ٣٢ .

إن اللغة السريانية بالإضافة إلى كونها لغة الطقوس الدينية لكل المذاهب المسيحية القديمة فى الشرق الأوسط والجماعات التابعة لهذه المذاهب فى العالم لا تزال تتكلم بها مناطق واسعة إلى يومنا هذا،وذلك رغم النكبات التى حلت بها . فهى لا تزال حية فى بعض الأقاليم كالجبال المعروفة « بطور عابدين » فى بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وأغلبهم من أتباع المذهب اليعقوبى ، وفى جهات معينة فى شرق الموصل وشمالها وكذا فى الجبال المجاورة لكردستان ، وفى الشاطىء الغربى لبحيرة أرمية[٣٩] وهم من أتباع الطائفة النسطورية .

وأهم وأشهر تلك القرى هى قرية « معلولة » فى نواحى دمشق ويغلب على أهلها الرطانة السريانية وقد احتفظت بعناصر كثيرة من اللغة الآرامية الأصلية على أن تأثير اللغة العربية فيها كبير جدًّا حتى أن كلمات واصطلاحات كثيرة منها عربية بحتة . ويوجد منها مع ذلك مجموعة كلمات من الفارسية والتركية وبعض اللغات الأوربية لكنها اتخذت مسحة آرامية .

وفى القرن السادس اشتد النزاع المذهبى بين الفرق المسيحية . فظهرت التنافرات المذهبية التى جاءت نتيجة للشقاق الذى صدع جوانب الكنيسة المسيحية على أثر مجمع أفسس سنة ٤٣١ م ومجمع خلقدونية سنة ٤٥١ م . وقد ظهر هذا التأثير السىء فى أوائل القرن على اللغة السريانية نفسها حيث انقسمت من حيث لفظها وخطها إلى قسمين يعرفان تقليديًا بالغربى والشرقى نسبة إلى مواطن الشعوب التى كانت تتحدث بها . ويعتبر نهر الفرات – على وجه التقريب – محورًا يفصل بين هذين الفريقين . فما كان واقعًا فى الشرق اتخذ اللفظ والخط الشرقى ، وما كان فى الغرب اتبع اللفظ والخط الغربى . وبتعبير آخر أن غرب الفرات كان يشمل بلاد الشام وشرقه كان يشمل بلاد ما بين النهرين والعراق وأذربيجان . على أن هذا التوزيع الجغرافى لا يستقيم فى كل الأحوال فإنه يستثنى من القسم الشرقى الشعب العراقى السريانى الأرثوذكسى الذى يتبع التقليد الغربى[٤٠] .

---

(٣٩) أرمية بالسريانية معناها « مهد الماء » اه أ طا ومما هو جدير بالذكر أن لهجة منطقة أورومية تعتبر البقعة الباقية من اللغة الآرامية الشرقية على أنه ضاع منها الكثير من مميزات الآرامية الأصلية حيث ظهرت فيها كلمات غير سامية جاءت من الفارسية والكردية والتركية حتى لقد اختفى منها بعض الحروف مثل حروف الحلق وكذلك أغلب الصيغ الأصلية للفعل .
جميل روفائيل : أضواء على منح الحقوق الثقافية – الطبعة الأولى بغداد مطبعة الأمة سنة ١٩٧٣ ص ١٨ .
(٤٠) **المجلة البطريركية** العدد ٢٧ : أيلول سنة ١٩٨٣ : « اللغة السريانية » ص ١٦ .

فالقسم الشرقى : النسطورية والكلدانية[٤١]

يتضمن لهجة عبرانى بابل الآرامية ، وآرامية المعديين وآرامية ما بين النهرين الشمالية مثل آشور وحران والرها .

القسم الغربى : اليعقوبية

يتضمن لهجة سمأل الآرامية وآرامية دمشق وآرامية تدمر وآرامية فلسطين والجليل وأخيرًا لهجة آرامية النيبطيين فى جبل سيناء .

أما الفارق بين هذين القسمين فهو بسيط يكاد ينحصر فى لفظ الكلمات الدخيلة التى جاءتها من الشعوب الغربية المجاورة للأقطار السريانية كالفرس واليونان والمصريين وكان هناك فارق آخر نظرى ظهر بسبب اختلاف الحياة الاجتماعية لشعب كل قسم أو بيئة . بيد أن اللغة – بصورة عامة – كانت واحدة . واستمرت عبر الأجيال الكثيرة تلك الفوارق الشرقية والغربية[٤٢] .

وقد طبع هذا الخلاف بطابع رسمى ثابت بعد الفتح العربى الإسلامى لهذه البلاد . فقد خشى السريان على لغتهم أن تمتد إليها يد التحريف فتحرف معها عبارات الكتاب المقدس المترجمة إليها . فعمل كلا الفريقين على ضبط قواعدها وتحديد أصواتها والطريقة التى تقرأ بها فقرات العهدين القديم والجديد .

ونتيجة لذلك نشأت طريقتان فى قراءة الكتاب المقدس إحداهما الطريقة الشرقية أو النسطورية ، والأخرى الطريقة الغربية أو اليعقوبية .

ومما هو جدير بالذكر أن الطريقة الأولى – وهى الشرفية النسطورية – هى الأقرب إلى اللغة القديمة .

وبعد أن تم للعرب المسلمين فتح بلاد الرافدين والشام والقضاء نهائيًا على حكم الفرس والروم فى المنطقة وأصبح السريان (من نساطرة ويعاقبة) يعيشون فى ظل دولة واحدة بدأ هؤلاء يتخلون عن لغتهم تدريجيًا وخاصة سكان المدن . أما المثقفون منهم

---

(٤١) فى سنة ١٤٤٥ م كتب طيمثاوس أسقف جزيرة قبرص وشعبه صورة إيمانهم إلى البابا أوجين الرابع فرحب بهم وأصدر براءته المشهورة يأمر بها أن يسمى جميع النساطرة الذين يتبعون الكاثوليكية كلدانا » .
د . **حسن عوف** : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١١٤ .

(٤٢) **المجلة البطريركية** العدد ٦٥ – السنة السابعة آذار سنة ١٩٦٦ اللغة الآرامية ص ٢٥٧ .

ورجال الدين فقد تمسكوا بلغتهم التى بقيت طويلاً لغة الكنيسة الواحدة ويعتبر رجال الدين أحسن من حفظ اللغة السريانية من الانقراض(٤٣) .

لقد كانت المسيحية فى بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر - وغيرها من البلاد التى اعتنقت المسيحية - عاملاً فعالاً فى نشر الحركة الهلينية(٤٤) بما فى ذلك انتقال الفكر الفلسفى والعلوم من اليونانية إلى السريانية فى العديد من المدارس ومراكز الثقافة بحيث غدت السريانية لغة رسمية حضارية إلى جانب اليونانية لغة الحاكمين وذلك حتى القرن السابع الميلادى .

ثم جاء الإسلام فحلت العربية محلها وذلك فى أعقاب الفتح العربى فتقلص ظل السريانية وأخذت تقتصر رويدًا رويدًا على الطقوس والشئون الكنسية وقفًا على قسم من المثقفين والضالعين فى اللغة ، وبعد أن مرت عبرها ثقافة المنطقة الهلينية والهلنستية إلى العربية لغة القرآن الكريم .

ولقد حاكى السريان العرب واليونان فى ضبط قواعد لغتهم وكتابة مؤلفات قيمة فى النحو السريانى ومعاجم لهذه اللغة . ومن أشهرهم يعقوب الرهاوى وابن زغبى وايليا الطيرهانى وديونسيوس الترق والياس بن شينايا وساويرس وأبو الفرج بن العبرى وسرجيوس الرزى الذى تولى مطرانية دمشق سنة ١٦٠٠ م وتوفى فى روما ١٦٣٨ م . وقد عثر القس اللبنانى جرجس الرزى فى أواخر القرن التاسع عشر على كتاب له فى النحو السريانى مشروحًا باللاتينية فى روما فى مكتبة الأمير « بربرينى » ويقول أنه مخطوط نفيس فى قواعد هذه اللغة(٤٥) .

ثم تعاقب المؤلفون من سريان ومستشرقين بعد هذا التاريخ فكتبوا فى النحو والصرف وألفوا فى المعاجم ودرسوا التراث الفكرى والأدبى للسريان(٤٦) .

ولقد تنبه السريان إلى استخدام الحروف اليونانية مكان الحركات لما أراد « هوميروس » ناظم الإلياذة ضبط الأعلام اليونانية منها ، وهى غير النقط التى كانت

---

(٤٣) **أحمد أرحيم هبو** : المدخل إلى اللغة السريانية ص ٣٧ .

(٤٤) **دى لاسى أوليرى** : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٩٥ .

(٤٥) **القس جرجس الرازى الراهب الحلبى اللبنانى** : نحو اللغة الآرامية السريانية الكلدانية وحرفها وشعرها - بيروت - المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين سنة ١٨٩٧ ص ٧ .

(٤٦) **د . حسن ظاظا** : الساميون ولغاتهم ص ١٢٢ .

تقوم عندهم مقام الحركات ولا تزال النقط « الحركات النسطورية » شائعة عند السريان الشرقيين كما أن الحروف اليونانية تستعمل عند الغربيين إلى يومنا هذا فقد كانت هناك طريقتان فى ضبط الكلمات(٤٧) :

(١) **الطريقة الشرقية** : وهى عبارة عن نقط توضع فوق الحرف أو تحته وذلك بأشكال مختلفة وتسمى هذه بالطريقة النسطورية وهى أكثر دقة وضبطًا وتتفق كثيرًا مع النطق القديم نطق السريان القدامى .

(٢) **الطريقة الغربية** : وتتكون من الحركات الإغريقية وهذه الطريقة أسهل من الطريقة النسطورية .

وحديثًا اختلطت الطريقتان ، وامتزجت كل منهما بالأخرى بوسائل مختلفة . وكثيرًا ما نجد الطريقتين مستعملتين معًا فى ضبط اللغة السريانية .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك بعض العلماء(٤٨) قد قسموا اللغات السامية إلى ثلاث كتل : (١) الشرقية : وهى الأكدية والبابلية والآشورية (٢) والغربية : وهى الكنعانية والعبرية والآرامية بلهجاتها (٣) والجنوبية : وهى العربية بلهجاتها والحبشية .

(٤٧) **عطية الإبراشى** : المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها ص ٦ .

(٤٨) **Cohen: M** = Essai comparatif sur le vocabulaire Paris 1947, p. 42.

الفصل الثانى

تأثير السريان فى الحضارة الإسلامية

تأثير السريان فى الحضارة الإسلامية

اللغة السريانية هى إحدى اللهجات الآرامية الشرقية التى تنتمى إلى مجموعة اللغات السامية . وهى وإن كانت تعد من أهمها على الإطلاق فذلك يرجع لوفرة ما كتب فيها من علوم مختلفة ، بالإضافة إلى الدور الكبير الذى لعبته كوسيط بين معظم لغات الشرق بشكل عام وبين اليونانية والعربية بشكل خاص .

ففى القرون الوسطى كان لعلماء السريان الفضل العظيم فى ترجمة أمهات الكتب العلمية اليونانية إلى العربية من فلسفة وطب وفلك وذلك بناء على رغبة الخلفاء العباسيين . وبذلك حفظت تلك العلوم من الضياع ، كما استطاع العرب – فى عصر النهضة – أن يتعرفوا عليها عن طريق الأبحاث والدراسات العربية لها .

وكان موطن العلم السريانى بلدة جنديسابور التى رحل إليها السريان هربًا من اضطهاد أباطرة بيزنطة وأساقفتها للمذهب النسطورى الذى اعتنقوه وكانت الإمبراطورية الرومانية مشغولة بالخلافات الدينية القائمة فى أرجائها ، وكذلك محاربة الهرطقة ، ووضع أسس للعقيدة الصحيحة ، والفصل فى منازعات البطارقة شغلوا بهذا كله ولم يهتموا بأية ناحية من نواحى العلم أو الفلسفة . ونتيجة لذلك ظلت الكتب حبيسة فى مكتبات بيزنطة بعيدة عن متناول يد الباحثين[1] .

ونتيجة لذلك احتفظ السريان بكتبهم – سواء المترجم منها أو الأصيل – وحملوها إلى منفاهم ، فلا نزاع فى أن الطب السريانى الذى نشأ فى جنديسابور بعيدًا عن أى تدمير أو بطش كان أرقى بكثير جدًا من طب البلاد المجاورة بما فى ذلك بيزنطة وأنطاكية والإسكندرية .

كان السريان ينقلون إلى اللغة العربية العلوم اليونانية بدقة وأمانة . وقد حفظ هؤلاء بعض الكتب اليونانية التى فقد أصلها وكانت ترجمتهم هى الأساس الذى اعتمد عليه العرب أول أمرهم .

وكانت الترجمة السريانية فى أول عهدها ترجمة حرفية تقريبًا ، ثم أخذ المترجمون

---

(١) د . يوسف حبى : مهرجان أفريم وحنين ص ٣٨٢ .

يتحررون من تلك الحرفية حتى أصبحت شهرتهم فى مجالات النقل تفوق شهرتهم فى أى مجال آخر طرقوه[٢] .

فلم يقتصر السريان على الترجمة من اليونانية فقط بل ترجموا أيضًا عن الفهلوية . فقد امتازوا بوفرة ترجماتهم وسعة مساهمتهم سواء بما ترجموه إلى لغتهم من اليونانية أو من لغتهم إلى اللغة العربية مع توخى الدقة والأمانة رغم الصعوبات التى جابهتهم . فقد بذل السريان أقصى جهدهم فى الإحاطة بالتراث اليونانى[٣] ، فكانوا يجوبون الأقطار سعيًا وراء الكتب التى وقعت تحت أيديهم مثل ما حدث مع حنين بن اسحق فى بحثه عن كتاب البرهان لجالينوس[٤] .

ولقد كانت وسائل السريان فى الحصول على هذه المعارف اليونانية لا تكاد تختلف عن وسائلنا فى العصر الحديث ، إذ أنهم كانوا يذهبون بأنفسهم إلى بلاد اليونان يتعلمون لغتهم ويتصلون بعلمائهم وأدبائهم ويدرسون علمهم وفلسفتهم ثم يعودون إلى بلادهم مزودين بكل ذلك ليلقنوه لأبنائهم وتلاميذهم طورًا فى الكنائس وطورًا فى المدارس . وإذا ما أتموا دراستهم وتكونت لديهم مؤهلات الإنتاج أخذوا يترجمون ويشرحون ويعلقون ويؤلفون وكانت حركة النقل أو الترجمة تحدث إما من اليونانية إلى العربية مباشرة ، وإما من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية[٥] .

ومما يستحق الملاحظة أنه كانت هناك ترجمات أجود وأحدث تعد فى الوقت الذى كانت تبدأ فيه الترجمات العربية أى أن المترجم كان يقوم بإعادة الترجمة القديمة[٦].

فقد كان عمل الترجمة ذا شقين . فقد كانت الترجمات توضع فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية الحديثة كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المتداولة بين الناس .

لقد كان القرن الثالث الهجرى [التاسع الميلادى] يعد بحق عصر المترجمين

---

(٢) أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٣٨ .
(٣) عامر رشيد السامرائى : آثار حنين بن إسحق ص ٧٤ .
(٤) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين ص ٢٩ .
(٥) أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٢ .
(٦) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية ص ٢٤١ .

والترجمة . فقد كان المترجمون جميعًا من النصارى الذين يجيدون السريانية ، وكان منهم أيضًا من لابد وأن يكون قد أتقن اليونانية والفارسية[٧] .

إذ يقول توماس أرنولد :

« يعتبر القرن التاسع الميلادى [الثالث الهجرى] من أعظم العصور حيوية فى أعمال الترجمة ، وكان النقلة فى الغالب من النساطرة المسيحيين ، ومن لهم التسلط فى اللغات الإغريقية والسريانية والعربية وفى الغالب الفارسية أيضًا ، وأن أغلب هؤلاء النقلة كانوا ينقلون فى أول أمرهم إلى السريانية »[٨] .

ففى النصف الأول من هذا القرن [الثالث الهجرى / التاسع الميلادى] كانت الترجمات غالبًا تتم إلى السريانية ، وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة إلى العربية شيئًا فشيئًا ، وقام المترجمون أيضًا بإصلاح التراجم القديمة[٩] .

وقد كان للعلماء السريان أسلوب خاص فى النقل . فقد كان لهم طريقتان فى الترجمة :

(١) إحداهما طريقة يوحنا بن البطريق ، وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من معنى ، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينقل إلى موضوع آخر كذلك حتى يأتى على ما يريد تعريبه .

وهذه الطريقة رديئة لسببين أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا جاء فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . والسبب الثانى أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائمًا . وأيضًا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات .

(٢) والطريقة الثانية فى التعريب هى طريقة حنين بن إسحاق وطريقة الجوهرى [توفى سنة ٨٣٣] وغيرهما ، وهو أن يأتى إلى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ثم يعبر

---

(٧) **عبد الرحمن بدوى** : التراث اليونانى والحضارة الإسلامية ص ٥٧ .

(٨) **Arnold: T** = The Legacy of Islam, p. 316.

(٩) **ماكس مايرهوف** : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٨ .

عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها . وهذه الطريقة أجود[١٠] .

لقد كانت حركة الترجمة من أهم وأنشط الحركات الفكرية التى وجدت فى العالم الإسلامى ، فكانت الفترة ما بين القرنين الثانى والرابع الهجريين [الثامن والعاشر ميلادى] من أنشط عصور الترجمة فقد نشطت عملية النقل بدرجة لم تشهدها الدولة الإسلامية بعد ذلك .

وربما كان من أهم أسباب هذا النشاط اندفاع الدولة الإسلامية إلى توطيد معرفة علمية ثابتة بمؤلفات وكتابات الحضارات الأخرى خاصة الحضارة اليونانية ، ووجود طبقة من المثقفين العرب خاصة من النصارى والسريان الذين يجيدون اللغات ويملكون ناصيتها تمامًا مثل حنين بن إسحق الذى كان يجيد أربع لغات .

فإن حركة الترجمة تلك شكلت روح التقدم العلمى حقيقة وكانت الدعامة الأولى لمواجهة الفكر الحضارى بفكر حضارى آخر يفهم مقومات الحضارة المنقولة[١١] .

وقد كانت الثقافة الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية والهندية هى المنهل الذى استقى منه الفكر الإسلامى أهم مقوماته الحضارية .

فنظرًا لجهل العرب باللغات الأجنبية وخاصة اليونانية – فى ذلك الوقت – فقد كان السريان هم همزة الوصل بين العرب وهذه الثقافات حيث نشطت حركة الترجمة مرفقة بنظريات وفلسفات أثرت وأنعشت هذا التراث الكبير .

وقد أظهر السريان مقدرة فائقة فى الترجمة . فقد كانت الترجمة محكمة إلى درجة أن من يجيد اللغتين يجد أنه من المستحيل أن يفرق بين الأصل والترجمة السريانية[١٢] .

فهكذا أصبح السريان أعظم حلقة للاتصال بين الثقافة الهلينية وبين الثقافة الإسلامية ومن هنا كان السريان أقدم شعب شرقى فى العالم قاطبة أعلم بالثقافة الإغريقية . فالثقافة الهلينية لم تصل إلى العقل العربى إلا عن طريق اللغة السريانية .

فقد كانت اللغة السريانية همزة الوصل بين اللغة اليونانية واللغة العربية ، وكان نقلة

---

(١٠) أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ١٣ .
(١١) ماهر عبد القادر : تاريخ الطب العربى ، مقدمة .
(١٢) خودابخشى : الحضارة الإسلامية ص ١٥٧ .

العلوم « علوم الحكمة والطب غالبًا » من النساطرة واليعاقبة والملكيين وأحيانًا من اليهود والصابئة . فقد كان معظم النقلة من السريان والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى [الثانى والرابع الهجرى] يكادون جميعًا يكونون من السريان ويؤيد هذا الكلام مايرهوف بقوله : « .. وكان هؤلاء جميعًا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية »(١٣) .

فهكذا كان السريان حلقة الاتصال بين الفلسفة الإغريقية والعلوم الإغريقية والإسلام .

كانت الثقافة اليونانية منتشرة فى الشام والعراق والإسكندرية كما انتشرت فيها المدارس على يد السريان مثل مدرسة الرها ومدرسة قنسرين على الفرات ، ومدرسة نصيين فى الجزيرة ، ومدرسة جنديسابور فى خوزستان ، وقد أسسوا تلك المدارس لدراسة اللاهوت والفلسفة والطب ، وكان معظم أساتذة مدرسة الرها ونصيين يتقنون اللغة السريانية واليونانية معًا وكانوا فى تدريسهم يستخدمون نصوصًا يونانية يشرحونها بالسريانية .

وأصبحت هذه المدارس وهذه التعاليم تحت حكم المسلمين فامتزج هؤلاء المحكومين بالحاكمين . فكان من نتائج هذا أن تشعبت التعاليم فى المملكة الإسلامية وتزاوجت العقول المختلفة كما تزاوجت الأجناس المختلفة فنتج عن هذا التزاوج الثقافة العربية والإسلامية(١٤) . وقد استمر هذا التشابك قرونًا طويلة وازداد ازدهاره فى عصر الترجمة أى عصر نقل النصوص اليونانية إلى السريانية والعربية .

ومما هو جدير بالذكر أن العرب – أنفسهم – قد اتصلوا بهذه الثقافات منذ القدم .

فقد كان « الحارث بن كلدة » من « ثقيف » من أهل الطائف قد رحل إلى أرض فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها فى الجاهلية ، وأجاد هذه الصناعة وطبب بأرض فارس وعالج .

و – بعد الإسلام – كان رسول الله ﷺ يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته .

---

(١٣) **ماكس مايرهوف** : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٧ .

(١٤) **أحمد أمين** : فجر الإسلام ص ١٣٢ .

كما كان «النضر بن الحارث بن كلدة» ابن خالة النبى ﷺ قد سافر البلاد كأبيه واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الأحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علم الفلسفة والحكم وتعلم من أبيه أيضًا ما كان يعلمه من الطب وغيره .

ولقد نشط السريان قبل الفتح الإسلامى فى مصر أيضًا . فقد بدأ نشاطهم خاصة فى الإسكندرية وفى الأديرة التى اتخذوها لأنفسهم ، وبفضلهم عرفت مصر اللغة السريانية وإن ظلت محصورة فى محيط هذه الطائفة .

لقد أفاد العرب المسلمون من اللغة السريانية بواسطة التراجمة السريان الذين كانوا نقلة الثقافة الإغريقية إلى لغتهم السريانية ، ومن ثم تم نقلها إلى العربية . وقد أعجب المسلمون بالثقافة الإغريقية وأخذوا بها ومن أجل ذلك كان شيء من منطق أرسطو يبدو واضحًا فى كثير من العلوم الإسلامية .

كان للغة السريانية مقام واضح فى الحضارة العربية وذلك أن السريان الأوائل قد نقلوا الفكر الإغريقى إلى العربية ومن ثم فقد كانت لغتهم السريانية مصدرًا من مصادر المعرفة التى تزود بها المسلمون وعرفوا من خلال هذه اللغة فلاسفة الإغريق ، فكان لابد من معرفة هذه اللغة العريقة .

أهم الكتب المترجمة :

كانت الكتب التى وضعت حتى القرن التاسع الميلادى [الثالث الهجرى] مترجمة عن اليونانية . فقد كان هناك نخبة من علماء النصارى خدموا الخلفاء المسلمين وملوكهم فى الدولة الأموية والعباسية واستمروا طيلة خمسة قرون قادة النهضة العلمية فى الطب والفلسفة ، ونالوا طوال هذه المدة عند الخلفاء والملوك من الثقة والحظوة والجاه والكرامة ما لم ينله غيرهم من أقطاب العلم .

فقد ترجمت بعض الكتب والرسائل الطبية القديمة قبل عصر الترجمة الرسمى . فيذكر مايرهوف(١٥) أن المسلمين حينما اتجهوا إلى غزو شمال أفريقيا وغرب آسيا التقوا بمدرسة جنديسابور وهى من المراكز الثقافية والعلمية المعروفة زائعة الصيت ، وهناك التقوا بالأطباء وكان معظم هؤلاء الأطباء من النصارى وكما كان من بينهم يهود ذوو أسماء عربية فقد قام «ماسرجويه» بترجمة « **كناش أهرون** » فى الطب إلى اللغة العربية وربما كان

(١٥) **ماكس مايرهوف** : العلم والطب ص ٤٥١ .

هذا الكتاب أقدم مؤلف صدر بتلك اللغة ، وفى هذا إشارة صريحة إلى وجود اتصال وثيق بعلوم الطب قبل العصر الرسمىْ للترجمة .

ولكن منذ أن بدأت حركة الترجمة بصورة دقيقة ومنظمة فى ظل الدولة العباسية بدأت المعارف الطبية تتسرب إلى العالم الإسلامى بصورة قوية من خلال الترجمات التى كان من أهمها على الإطلاق **ترجمات لأعمال جالينوس الطبية** التى قام بها حنين بن إسحق وكذلك كتاب **«تقدمة المعرفة»** لأبقراط الذى ترجمه «حنين» أيضًا بل كان أقل رواجًا من جالينوس وقد نقلت الكتب الطبية أولاً عن طريق الترجمات السريانية وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأسًا كان أسبق فى هذين النوعين . والسبب فى ذلك هو أن الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية كانت فى غاية من الأهمية[١٦] .

وكان من أشهر مترجمى كتب أرسطو إلى السريانية هو **«سرجيس الرأس عينى»** الذى لقب «بشيخ الأطباء» رغم أن ترجماته لم تكن كلها محكمة ، وقد قام كذلك بترجمة كتب طبية عديدة لأبقراط وجالينوس ناهزت الستين كتابا بين شروح وترجمات فلسفية وطبية .

كما كان هناك أيضًا **«أهرون القس بن أمين»** الذى يعتبر **كناشة أو مجموعه الطبى** أقدم كتاب طبى موجز . ألفه أهرون القس بالسريانية ونقله ماسرجويه إلى العربية وقد استفاد منه الأطباء العرب كثيرًا لأن أسلوب الكنانيش أو المجاميع كان شائعًا يومذاك وأفضل من اشتهر به الناطقون بالسريانية[١٧] .

أشهر المترجمين السريان

فى القرن الأول من خلافة العباسيين كان المترجمون من الإغريقية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية هم الذين يحتلون المرتبة الأولى - على وجه الخصوص - من النشاط العلمى ولا سيما أولئك المترجمون الذين كانوا من المسيحيين .

فقد قام **تيوفيل بن توما الرهاوى** وهو مسيحى ومارونى وكان فلكى الخليفة المهدى ثالث الخلفاء العباسيين بترجمة كتاب لجالينوس من السريانية[١٨] ، **وأبو زكريا يحيى بن**

(١٦) **ماكس مايرهوف** : العلوم اليونانية وسبل نقلها إلى العرب ص ٢٢ .

(١٧) **مجلة المجمع العلمى العراقى بغداد سنة ١٩٨٣ المجلد السابع ص ١٤** .

(١٨) **الدوميلى** : العلوم عند العرب ص ١٢٦ .

البطريق الذى كان يجيد اللاتينية أيضًا وهو أمر كان نادرًا عند العرب ومهما يكن من أمر حول هذه النقطة بالذات فقد كان أبو زكريا مؤلفًا لكثير من الترجمات عن أطباء اليونان وفلاسفتهم كما يظهر أنه صاحب الفضل فى ترجمة كتاب «**سر الأسرار**» وكان يسمى عند لاتينى العصور الوسطى Secreta Secretorum وهو كتاب من أغرب كتب العصور الوسطى ، وكان ينسب إلى أرسطو ، ويشتمل على مزيج من القصص عن عادات الشعوب وخوارق الأوهام ، وفيه حشد من قواعد تدبير الصحة وملاحظات وظائف الأعضاء ويوجد منه نسخ عربية كثيرة ، وكذلك **أيوب الرهاوى الأبرشى** الذى عاش فى بلاط الخلفاء ببغداد حوالى القرن التاسع وهو سريانى وقد عمل تراجم كثيرة من اليونانية إلى السريانية ، كما جمع كتبًا أقرب إلى الاصالة وكانت كل كتاباته باللغة السريانية(١٩) . ومن أشهر كتب أيوب الرهاوى **كتاب الكنوز** وهو نص سريانى نشره وترجمه إلى الإنجليزية منجانا Mingana فى كمبردج سنة ١٩٣٥ ، **سمعان الطيبوتى** كان كاتبًا صوفيًا ولكنه كان أيضًا طبيبًا وهذا ما أعطى كتابه « **الطب الروحانى** » طابعًا خاصًا مما يظهر أهميته لمؤرخى العلوم وقد نشر منجانا أيضا Mingana الترجمة الإنجليزية للنص السريانى سنة ١٩٣٤ ، **الأبناء الثلاثة لموسى بن شاكر** وهم فى حوالى النصف الأول من القرن التاسع وكانوا رياضيين فلكيين ولكنهم كانوا على الأخص حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم فى خدمتهم ، كما أشتهر أيضا **اصطفين بن باسيل** الذى كان يحمل اسمه على أنه يونانيا ، ولم يقتصر عمل اصطفان على ترجمة تسعة كتب لجالينوس إلى العربية بل كان أيضًا أول من ترجم إلى العربية كتب دسفوريدس ونسبت إليه أيضًا أول ترجمة لكتب أورباسيوس ، **يوحنا بن سرابيون** وكان أهم مؤلفاته **كناش فى الطب** وجد حديثًا فى مكتبة « أيا صوفيا » باستنابول ، وكذلك **ثاودوسيوس رومانوس اليعقوبى** الراهب الطيب ذو الشهرة العظيمة التى استحقها عن جدارة وكان من ديرقرتمين فى حران ، وكذلك موسى بن كيفا الأسقف الفيلسوف الذى بقيت لنا قطع من شروحه لأرسطو(٢٠) .

وأخيرًا فقد نقل السريان إلى اللغة العربية معظم ما كان معروفًا من العلوم والفلسفة

---

(١٩) **يعقوب أوجين منا** : المروج النزهية فى أداب اللغة الآرامية ص ٧١ .

(٢٠) **فيليب دى رازى** : السلاسل التاريخية فى أساقفة الأبرشيات السريانية ص ٥٦ .

والطب والنجوم والرياضيات والأدب فى البلاد التى بسطوا نفوذهم عليها أو اتصلوا بها وجميعها أمم عريقة بحضارتها وثقافتها .

فقد أخذوا من كل أمة أحسن ما عندهم ، فكان اعتمادهم فى الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان ، وفى النجوم السير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس ، وفى الطب والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والأقاصيص على الهنود ، وفى الفلاحة والتنجيم والسحر والطلاسم على الأقباط والكلدان وفى الكيمياء والتشريع على المصريين . وقد مزجوا هذا كله واستخرجوا منه علوم التمدن الإسلامى . لقد حققوا فى فترة وجيزة نهضة شاملة بدأت تتطور فى العصر الأموى ، ثم اكتملت مقوماتها فى العصر العباسى فى الشرق . واعتبرت هذه النهضة الميراث الأساسى الذى قامت عليه الحضارة العالمية فيما بعد وهى الحضارة الإسلامية .

السريان والدولة الأموية

تحتل الترجمة فى القرن الأول الهجرى أهمية خاصة فى تاريخ حركة الترجمة عمومًا على الرغم من ضيق النطاق الذى تمت فيه . وتكمن تلك الأهمية فى أنها تمثل المرحلة الأولى من تاريخ عهد المسلمين بها ، وأن ما حدث من نقل فى هذا القرن كان أول نقل فى الإسلام .

ولكن كانت هناك محاولة قام بها القائد العربى «سعد بن أبى وقاص» والتى لم يكتب لها النجاح عندما أبدى رغبته فى نقل علوم الفرس إلى العربية أبان فتح العرب لبلادهم . فهذه الحركة تعد أول خطوة خطاها العرب فى مجال اتصالهم بعلوم الحضارات الأخرى على الرغم من أن شيئًا من ذلك لم يتحقق . فقد قال ابن خلدون : « أما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيمًا ونطاقها متسعًا لما كانت عليه دولتهم من الفخامة واتصال الملك .. ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتبًا كثيرة كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه فى شأنها ونقلها إلى المسلمين ، فكتب إليه عمر أن اطرحوها فى الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منهم وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله ، فطرحوها فى الماء أو فى النار فذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا[٢١]» .

وبناء على هذا فتعد محاولة «ابن أبى وقاص» المحاولة الأولى من نوعها فى ذلك الوقت . ولو قدر لتلك المصنفات الفارسية أن تنقل إلى العربية لكانت أول نقول تشهدها حركة الترجمة فى تاريخها من لغة أجنبية إلى اللغة العربية .

فيعد القرن الأول فاتحة لحركة الترجمة التى تألقت بعد ذلك ويمثل العصر الأموى أول دور من أدوار الترجمة فهو العصر الذى شهد ظهور هذه الحركة لأول مرة فى تاريخ الإسلام الحضارى والثقافى .

وعلى الرغم من أن الترجمة فى هذا العصر كانت ترجمة بدائية وضعيفة المستوى إذا ما قورنت بالترجمات الأخرى فى الأدوار التالية ، فإن هذا العصر كان بحق حجر الأساس

---

(٢١) ابن خلدون : المقدمة بغداد سنة ١٩٧٠ ص ٤٧٩ .

لبناء هذه الحركة عمومًا ، كما أنه كان المنطلق الأول لها فى أنحاء العالم الإسلامى مشرقه ومغربه .

وكان من أهم أسباب الترجمة : الرغبة فى الاطلاع على ما عند الأمم الأجنبية من علوم وآداب .

فكان المسلمون فى العصر الأموى . يعقدون المجالس فى المساجد وأكثروا من المناقشات والمجادلات فى القضاء والقدر ، فيما إذا كان الإنسان مسيرًا أم مخيرًا ، وانقسموا إلى فئتين كل فئة تناصر أحد المبدأين . وقد أدى الجدل بين المسلمين واليهود والنصارى إلى أن يرى المسلمون أن اليهود والنصارى يجادلونهم بالفلسفة والمنطق اليونانيين فاضطروا إلى دراستهما لاتخاذهما وسيلة للدفاع عن الدين الإسلامى .

ومن الأمم التى ترجمت علومها إلى العربية هى بلاد اليونان . فقد انتشرت الثقافة اليونانية فى الشرق بعد غزو الإسكندر . وكان العراق والشام من الأماكن الهامة للثقافة اليونانية ومن أئمتهم إقليدس فى الهندسة وأبقراط وجالينوس فى الطب وسقراط وأفلاطون وأرسطو فى الفلسفة .

ولم يترجم شيء من آداب اليونان وذلك لأن العرب - فيما يظهر - لم يتذوقوا آدابهم كما تذوقوا منطقهم وطبهم وفلسفتهم ، ولأن الأدب اليونانى كان يعتز بالوثنية ويفخر بالآلهة المتعددة مما يخالف تعاليم الإسلام ، ولأنه كان للعرب من جهة أخرى ثروة عظيمة فى آدابهم ودينهم فلم يحفلوا بأداب اليونان[٢٢] .

وقد عنى الأمويون بنقل العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية إلى اللغة العربية . فقد وجدوا فى المدارس السورية ومدرسيها ما يحقق غايتهم . فقد قام العلماء فى سوريا بحركة نشيطة فى نقل العلوم اليونانية إلى العربية ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلماء النساطرة الذين رعاهم الغساسنة وحماهم الإسلام . وقد عنى هؤلاء عناية خاصة بنقل العلوم الطبية من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ومن بين هؤلاء النساطرة أطباء الخلفاء وأطباء المدن العربية والإسلامية . وكان الكثير من هؤلاء النساطرة فى العصر الأموى يمارس شعائر الإسلام[٢٣] .

---

(٢٢) **ناجى معروف** : المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية ص ١٦٠ .

(٢٣) **شوكت الشطى** : مختصر فى تاريخ الطب ص ٣٩ .

ولقد نتج عن امتزاج السريان بالأمويين أن تشعبت هذه التعاليم فى المملكة العربية الإسلامية وتزاوجت العقول المختلفة والتى ساهمت فى ازدهار الحضارة الإسلامية .

لقد ظلت الترجمة مقصورة على بعض العلوم الطبيعية كالكيمياء والطب دون أن تتعدى ذلك إلى العلوم العقلية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة . ربما كان الدافع وراء هذا هو عامل الحاجة الذى تحكم فيما يترجم فى بداية هذه الحركة ، إذ أن حاجة الناس إلى علم الطب – على سبيل المثال – لمداواة أنفسهم من مختلف الأمراض هى أكثر من حاجتهم إلى الفلسفة أو المنطق وبخاصة أبان هذه المرحلة من تاريخ حركة الترجمة .

ولقد كان « خالد بن يزيد بن معاوية » [المتوفى سنة ٨٥ هـ] هو الشخصية الإسلامية الأولى التى عملت بمشورة علماء السريان فأقدم على الاشتغال بالكيمياء وقد تعمق فى دراستها حتى لقد كان له السبق فى التأليف فيها . كان من أعلم قريش بفنون العلم وهو الذى عنى بإخراج كتب القدماء فى الصنعة وكان خطيبًا حاذقًا . وقد كان خالد بن يزيد هو أول من ترجم له كتب الطب وكتب الكيمياء[٢٤] ، كما أنه كان أول عربى يبحث فى العلوم العقلية . ولعل ما خلفه من مؤلفات فى هذا المجال هو أقوى دليل مادى على ذلك وقد عرف باسم حكيم آل أمية[٢٥] .

كان « خالد بن يزيد » بصيرًا بهذين العلمين وكان متقنًا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته . وقد أخذ الصنعة على رجل من الرهبان يدعى « مريانوس الرومى »[٢٦] .

ولخالد بن يزيد ثلاث رسائل وكذلك عدد من الكتب فى هذا المعنى مثل كتاب «الحرارات» وكتاب «الصحيفة الكبير» ، كتاب «الصحيفة الصغير» وكذلك كتاب وضعه إلى ابنه فى الصنعة[٢٧] .

ويبدو أن شهرة خالد بن يزيد العلمية كانت قد ذاعت وانتشرت . ولقد استدعى بعض العلماء من الإسكندرية وكلفهم بترجمة الكتب اليونانية التى تناولت موضوع

(٢٤) Holmyard: E.J = Makers of Chemistry, Oxford 1937, p. 43.

(٢٥) د . يوسف حبى : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٩٩ .

(٢٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٠٩ .

(٢٧) رفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٤٢ .

الكيمياء ومن هؤلاء « اصطفن القديم » وهو أول المترجمين فى هذه الدولة وقد عرب لخالد بن يزيد المصنفات الطبية والكيميائية عن اليونانية[٢٨] .

والواقع أن الترجمة كانت معروفة قبل خالد بن يزيد ولكن الذى استحدثه خالد هو بذل جهد مقصود لنقل معارف علمية بحتة لا تستلزمها شئون الحياة الجارية .

ويبدو أن المسلمين كانوا يولون الدراسات الطبية عناية فائقة منذ وقت مبكر . يقول صاعد الأندلس : « كانت العرب فى صدر الإسلام لا تعنى بشىء من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أمراء من العرب غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس إليها »[٢٩] .

ولقد كانت المادة الطبية التى شغلت العقلية العربية قد خرجت من أيدى أصحابها وهم اليونان ، وتلقفها الدارسون والشارحون الذين يعرفون اليونانية والسريانية .

وبذلك شارك الأطباء السريان فى هذه الدراسة بنصيب وافر وكان لهم دورهم فى النقل والترجمة .

وقد اشتهر منهم فى العصر الأموى **ابن أثال النصرانى**[٣٠] وكان من الأطباء المتميزين فى دمشق . ولما ملك « معاوية بن أبى سفيان » دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد به والمحادثة معه ليلاً ونهارًا . وكان « ابن أثال » يعمل فى معهد جنديسابور . وقد اشتهر بأنه خبير بالأدوية المفردة والمركبة ، كما كان معروفًا بأنه خبير بالسموم[٣١] .

وكذلك كان من أبرز أطباء بنى أمية **أبو الحكم الدمشقى**[٣٢] وكان مقيمًا بدمشق وقد عمر طويلاً وكان على معرفة طبية بالطب وبأنواع العلاج والأدوية وكذلك ابنه **عيسى بن أبى الحكم الدمشقى**[٣٣] الذى يسمى أيضًا «مسيح الدمشقى» المشهور

---

(٢٨) **أحمد فريد رفاعى** : عصر المأمون جـ ١ ص ٤٧ .

(٢٩) **صاعد الأندلسى** : طبقات الأمم ص ٥٤ .

(٣٠) **رفائيل بابو إسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٥٥ .

Leclerc : Histoire de La Medecine Tome II p. 86.

(٣١) **Brown** : Arabian Medicine p. 16.

يقال أن « ابن أثال » تواطأ مع الخليفة ودس السم لأحد أقربائه الذى يدعى عبد الرحمن وهو من بنى مخزوم .

(٣٢) Histoire de la Medicine Arabe Tome II p 83.

(٣٣) نفس المرجع p. 84

بوصفاته الطبية ، وله أعمال عديدة أهمها الكناش الكبير الذى اشتهر به كما ينسب إليه أيضًا كتاب منافع الحيوان وكان يعرض فى هذا الكتاب الحال والعلاج لنزيف شريان بالغ الخطورة نتج عن سوء خبرة حلاق[٣٤] .

ولقد سيره معاوية بن أبى سفيان مع ولده « يزيد » إلى مكة .. وقد اعتمد عليه معاوية فى علاجه وأهل بيته وكان معاوية يستطبه ويعتمد عليه فى تركيبات أدوية خاصة وفى عهد عبد الملك بن مروان [المتوفى سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م] اختص بخدمة « الحجاج بن يوسف الثقفى » **ثاودون** الذى نسب إليه كناش كبير[٣٥] **وتياذوق** [توفى سنة ٩٠ هـ] الذى كان أحد الأطباء السريان المشهورين . وقد تلقى العلم على يديه **فرات بن شحنانا** [وهو سريانى اللغة يهودى المذهب] الذى خدم الحجاج وهو حدث . وكان الحجاج يثق فيه ثقة تامة فضمه إلى خدمته وإلى علاجه . وقد امتد به العمر حتى أدرك الدولة العباسية وعمل فى صحبة « عيسى بن موسى » ولى العهد فى أيام المنصور وكان يشاوره فى كل أموره . وقد ألف لابنه كناشا ، كما ألف له أيضًا كتابًا فى الأدوية ومعالجتها[٣٦] .

وفى أيام عمر بن عبد العزيز [سنة ٦١ – ١٠١ هـ / سنة ٦٨١ – ٧٢٠ م] زاد الاهتمام بالدراسات اليونانية . ومن الذين شاركوا فى ذلك الطبيب **عبد الملك بن أبجر الكنانى** الذى كان فى أول أمره مقيمًا بالإسكندرية لأنه كان يقوم بالتدريس فيها . فلما استولى المسلمون على البلاد وملكوا الإسكندرية أسلم « ابن أبجر » على يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذ أميرًا قبل أن تصل إليه الخلافة . فى صفر سنة ٩٩ هـ لما تولى عمر الخلافة نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق فى البلاد . كان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه فى صناعة الطب[٣٧] .

ومن الذين اشتغلوا بالترجمة فى العصر الأموى الطبيب البصرى **ماسرجويه** أو **ماسرجيس السريانى** اللغة اليهودى المذهب[٣٨] . وكان يعرف باسم **يحيى بن**

---

(٣٤) ريسلر : الحضارة العربية ص ١٩٣ .
(٣٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤ .
(٣٦) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى جـ ٣ ص ١٥٦ .
(٣٧) جورجى زيدان : النصرانية وآدابها ص ٣٦٤ .
(٣٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٩٢ .

ماسرجويه . وقد ترجم كتابًا فى الطب وهو كناش[٣٩] أهرون Syntagma للقس النصرانى والطبيب الإسكندرانى « أهرون بن أعين » من السريانية إلى العربية وهو من أقدم التآليف العربية القيمة[٤٠] .

ويرى مايرهوف بأنه ربما كانت هذه قد كتبت بالإغريقية ثم ترجمت إلى السريانية ثم إلى العربية ، ويضيف أن أبحاث أهرون لم تصلنا ولكن يظهر أنها كانت تشتمل على أول وصف لمرض الجدرى وهو داء لم يكن معروفًا فى الطب اليونانى[٤١] . ويذكر القفطى أن تلك الترجمة تمت أيام خلافة مروان بن الحكم [٧١٧ - ٧١٩ م] ثم وجدت أيام عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه فى مصلاه ، واستخار الله فى اخراجه إلى المسلمين لينتفع به . فلما تم له ذلك فى أربعين يومًا أخرجه إلى الناس وبثه فى أيديهم[٤٢] .

وقد تضاربت الأقوال فى قصة نقل كناش أهرون القس :

فذكر الدكتور « محمد كامل حسين » : « وكتب أهرون القس مقالاته الطبية التى يجمعها « كناش فى الطب » الذى ترجم إلى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموى عمر ابن عبد العزيز[٤٣] . وذكر الدكتور النجاتى الماحى : « أن ماسرجويه تولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب « أهرون القس فى الطب »[٤٤] .

والأستاذ عيسى معلوف أورد فى كتابه : « أن ماسرجويه عرب كناش القس أهرون ابن أعين إلى السريانية فى خلافة مروان ابن الحكم بإشارة عمر بن عبد العزيز »[٤٥] .

وكيفما كان الأمر ، فمما لاشك فيه أن « ماسرجويه » نقل كناش أهرون من اللغة الآرامية . وكان مقسمًا إلى ثلاثين مقالة فزاد عليها ماسرجويه مقالتين »[٤٦] وبذلك

---

(٣٩) **كناش** كلمة مشتقة من الفعل السريانى ܟܢܫ بمعنى جمع - كنش
(٤٠) **رفائيل بابو اسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٥٥ .
(٤١) **د . يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٠٧ .
(٤٢) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٢١٣ .
(٤٣) **محمد كامل حسين** : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٢١ .
(٤٤) **د . التيجانى الماحى** : تاريخ الطب عند العرب ص ٤٦ .
(٤٥) **حسن معلوف** : تاريخ الطب عند العرب ص ١٢ .
(٤٦) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ١٥٧ .

يعد ماسرجويه الكاتب الأول لمؤلف علمى بلغة الإسلام . ولماسرجويه من الكتب كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها[٤٧] .

وفى النهاية فمن الواضح أن الخليفة عمر بن عبد العزيز والأمير خالد بن يزيد كانا أبرز من اهتم بأمر الترجمة فى هذا العصر .. فقد كانت الترجمة فى هذا العصر بداية طيبة وخاتمة خير لما وصلت إليه هذه الحركة فى القرن التالى .

فباستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز ينعدم انعدامًا كليًا اهتمام أى خليفة أموى آخر فى أى مضمار من العلوم والمعارف .

---

(٤٧) أحمد أمين : فجر الإسلام جـ ١ ص ١٦٢ .

السُّريان والدولة العباسية

لقد بدأت الترجمة وبدأ النقل فى العهد الأموى يسيران ببطء . ولكن تطور المجتمع فى العهد العباسى قد سار بوقع أسرع مما شجع على توسيع ودفع حركة الترجمة إلى الأمام بحيث اطلع العلماء المسلمون فى العصر العباسى وبعد خلافة المأمون على معظم إنتاجات الفلاسفة والعلماء المشهورين من إغريق وغيرهم[٤٨] .

ويرجع الفضل فى ازدهار تلك الحركة الفكرية والثقافية وتنشيط حركة الترجمة إلى نخبة من العلماء النصارى الذين خدموا خلفاء المسلمين وملوكهم فى الدولة الأموية والعباسية واستمروا طيلة قرون خمسة قادة النهضة العلمية فى الطب والفلسفة . وقد نالوا طوال هذه العصور عند الخلفاء والملوك من الثقة والحظوة والكرامة والجاه ما لم ينله غيرهم من أقطاب العلم .

لقد كانت حركة الترجمة فى العصر العباسى أفضل منها فى القرن الأول وذلك من عدة وجوه أهمها هو اهتمام الخلفاء العباسيين بهذه الحركة . فقد تنبهوا فى – صدر دولتهم – إلى ضرورة نقل العلوم إلى لسانهم مما جعلها تتبوأ تلك المكانة التى وصلت إليها وهو ماحرمت منه الترجمة فى العصر الأول. فلم يجد الخلفاء إلا هؤلاء المسيحيين للقيام بهذه المهام التى أصبحت من أشد حاجات العمران . لذلك ازدادت أهمية السريان فى عهد الخلافة العباسية حيث نشطت حركة الترجمة من اليونانية . فقد كان العلماء السريان خير من يتقن اللغتين اليونانية والعربية[٤٩] . ونتيجة لذلك فقد أمد الخلفاء العباسيون والبرامكة هذه الحركة بالمال والرجال والعون والتشجيع ، وبذلوا قصارى جهدهم فى جمع العلماء والمخطوطات من مختلف البلدان وأنشأوا دور العلم وبيوت المرضى ولا سيما فى عهد الرشيد والمأمون فقد بلغت بغداد بعلومها ومعارفها فى زمن الرشيد قمة المجد ، وصارت قبلة طلاب العلم من جميع الأقطار فنشأ عندهم أجيال من العلماء والأطباء .

وكان للرحلات المتبادلة بين الشرق والغرب فضل كبير فى صهر مختلف التيارات

---

(٤٨) **سليم الحكريتى** : أثر الترجمة فى تطور الفكر العربى الإسلامى بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٨٣ .

(٤٩) **ابن بطلان** : دعوة الأطباء ترجمة بشارة زلزل ص ١٢٩ .

والنظريات العلمية ، فتطور المجتمع العباسى بفضل امتزاج الحضارات ، وعم الترف وتنوعت المطاعم والمشارب وازدهر العمران .

وقد انعكس هذا التطور على ميدان الصحة العامة ، فتعرض العرب لأمراض الحضر وازدادت حاجتهم للطب وفنون العلاج فأوجدوا لكل حالة دواء وانفرد العرب فى هذا المجال . وذلك بتمويل البيمارستانات ، وبإجراء مباراة لإجازة الأطباء والصيادلة ، وكذلك بفصل الطب عن الصيدلة ووضع كتب خاصة بتركيب الأدوية (الأقراباذين) ، وبإقامة أجنحة فى البيمارستانات للمجانين ، وباستعمال الموسيقى لمعالجة بعض الأمراض ، وبالتوصل لعمل الترياق المقاوم للسموم ، وباستعمال المرقد ... وغيره الكثير .

ومما يلفت النظر فى هذا القرن انتشار المستشفيات على نطاق واسع . وقد اتبع الخلفاء والسلاطين والأمراء خطة مدروسة لإشعار الناس – على اختلاف طبقاتهم – بالعناية والمحبة ، وذلك بتقديم الحاجات الضرورية لهم وحماية صحتهم وحياتهم . ويمكن القول هنا أن الاهتمام بالصحة العامة كان وسيلة من وسائل تدعيم أركان السلطة التى كانت فى كثير من الأحيان تستغل دور الطبيب الاجتماعى لتحقيق أهدافها السياسية فى تثبيت الحكم واستمراره . لذلك كان الحكام يكلفون الأطباء المشهورين بحنكتهم بتصريف كثير من الأعمال المتعلقة بالسلطة وسياستها(٥٠) .

وهكذا ازدادت أهمية الطب عند العرب وكثر طلابه ومريدوه . وكان فى بادئ أمره وقفًا على النصارى واليهود والصابئة . ولكن بعد القرن التاسع نبغ عدد كبير من المسلمين الذين ألفوا فى الطب الكتب النفيسة التى اتخذت دستورًا جرى عليه العلماء عمومًا .

ويلاحظ أن فلسفة العرب فى نظرتهم إلى الطب وإلى الحياة والموت تدل على بعد النظر والتجمل بالصبر . فقد كان القسم الأكبر من الأطباء العرب موسوعة معارف لا فى الطب فحسب بل فى مختلف أنواع العلوم لأن أغلب فلاسفة العرب كانوا أطباء والكثير من أطبائهم كانوا فلاسفة . وقد قيل فى هذا المجال : « وكان الأطباء فى تلك العصور هم العلماء ، أن الإنسان لا يكون طبيبًا حتى يكون منجمًا ، ولا يكون منجمًا

(٥٠) جوزيف جارلند : قصة الطب ص ١٢ .

حتى يكون فيلسوفًا[٥١]، والدليل على ذلك أن الأطباء العرب كانوا يعتبرون الجسم البشرى المؤلف من تراب عبارة عن قفص للروح . وقد وصف « ابن سينا » إفلات روحه من هذا القفص وصفًا رقيقًا .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك عددًا من الأطباء العرب قد استقبل الموت بهدوء وشجاعة . فابن سينا رفض أن يتناول الدواء وباع كل ما يملك ووزع ثمنه على الفقراء وانقطع إلى العبادة[٥٢] ورفض الرازى أن يعالج عينيه عندما أصيب بالعمى فى أواخر أيامه قائلاً أنه رأى من العالم ما يكفيه[٥٣] ، كما رفض ابن زهر أن يقوم أحد بإسعافه وقال لولده الذى يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة[٥٤] .

وقد تبع جماعة من الأطباء الفرس الذين ساعدوا فى تقدم العلوم وترقية الثقافة العربية ، إذ كانت أكثر مؤلفاتهم باللغة العربية . وقد أناط الخلفاء بعضًا منهم بإدارة المستشفيات والمعاهد الطبية واعتمدوا عليهم فى معالجتهم . فقد حرص السلطان على ارتباط الحكماء والأطباء بهم ، وانقطاعهم إلى قصورهم ، وعرف هؤلاء الأطباء بـ « المرتزقين » . وقد اختص فريق من الأطباء والصيادلة بالجنود يرافقونهم فى مختلف أسفارهم .

وقد استمرت الدولة العباسية فى ازدهار ورقى عدة قرون إلى أن عمت الاضطرابات فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . وقد حاول الخليفتان « المستنجد » و « الناصر » إحياء التقاليد القديمة ، وأنشأوا مساجد ومدارس ومكتبات ومستشفيات ولكنهم عجزوا عن الحصول على أطباء كما فى العهود السابقة وكان أبرز الأطباء الذين استمروا فى هذه الحقبة من النصارى واليهود[٥٥] مثل : « **أمين الدولة بن التلميذ** » و « **أبو نضر المحيى** » و « **أبو البركات أوحد الزمان** » .

على أن القرن الثانى عشر لم يكن بأقل أهمية عما سبقه ، فعلى الرغم من انحطاط الشرق فإن صلاح الدين قد أم المؤسسات التى أعطت ثمارها فى القرن اللاحق .

---

(٥١) **مجلة المسرة** : العدد الثامن – تشرين الأول سنة ١٩٤٨ : « إكرام الخلفاء وملوكهم علماء النصارى فى عهد الدولة العباسية » الأب بولس سباط السريانى الحلبى ص ٥٤٦ .

(٥٢) **خير الله** : الطب العربى ص ٢١٦ .

(٥٣) **ابن أبى أصيبعة** : **عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٢٠** .

(٥٤) **ابن أبى أصيبعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥٢٠ .

(٥٥) **Leclerc** : Histoire de la Medecine Tome II p. 23.

واشتهرت دمشق فى القرن الثانى عشر بالطب والعلوم الأخرى خاصة الرياضيات ونافست القاهرة وبغداد ، وأصبحت أعظم مركز علمى فى الشرق .

وفى القرن الثالث عشر خرجت السلطة من يد العباسيين إلى أسرة صلاح الدين وحلت دمشق محل بغداد . وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية ازدهر العلم فى القاهرة وسوريا وغصت امستشفيات والمدارس بالطلاب ، ومارس عدد كبير من الأساتذة تدريس الطب ، وأحيط العلماء فى كل مكان بالحمايةلا والإكرام .

وامتاز هذا القرن باتساع ثقافته وبروز طب العيون وأسست مدرسة جديدة لتدرس هذا الاختصاص وتوصل الأطباء الذين خدموا فى بلاط الحكام لوظائف الدولة الكبرى .

الخلفاء العباسيون وحركة الترجمة :
١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٢ - ٧٧٤

يعتبر **الخليفة المنصور** أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة وهي التي بدأ أمرها في العصر الأموي . وكان المنصور يعمل على تشجيع تلك الحركة وتنشيطها بمختلف الوسائل والسبل ، فترجمت في عهده المؤلفات المختلفة من مصادر عدة . وقد كان الخليفة المنصور ميالاً بشكل خاص إلى دراسة علم النجوم لذلك فقد شجع على ترجمة الكتب التي تبحث في هذا المضمار ، وأولى القائمين به رعايته واهتمامه وقد اهتم بجمع العلماء في بلاطه كما عنى بنقل الكتب القديمة ولكنه اقتصر منها على النجوم والهندسة والطب[٥٧] وبدأ في ترجمة الكتب اليونانية والسريانية والفارسية إلى العربية ومن الملاحظ أنه كلما عهد بترجمة شيء منها إلى العرب بل كان يقوم بالترجمة عادة الشوام المسيحيون والفرس[٥٨] وكان معه « نوبخت المجوسي » المنجم الذي أسلم على يديه .

وكان الخليفة المنصور هو أول خليفة قام بمراسلة ملك الروم طالبًا منه كتب الحكمة فبعث إليه كتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات . وكان « جرجيوس بن بختيشوع » طبيبه الخاص الذي أتى به من جنديسابور عالمًا باليونانية والفارسية لتعريب الكتب الطبية .

ومن المؤلفات التي ترجمت في أيام المنصور كتاب أرسطاطاليس وكتاب المجسطي لبطليموس وكتاب أقليدس وكتاب الأرثماطيقي .

وبالإضافة إلى الاهتمام الشديد بحركة الترجمة ذاتها ، فقد اهتم المنصور أيضًا بالعلوم التي تناولتها هذه الحركة ، وليس ذلك فحسب ، بل أن المنصور كان ملمًا بعلوم مختلفة

---

(٥٦) **الخليفة المنصور** : هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن يحيى أخو السفاح . مولده في سنة خمس وتسعين بالشام . بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه سنة ستة وثلاثين ومائة ، وتوفى في سنة ثمان وخمسين ومائة .
مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ٤ ص ٢٤١ .

(٥٧) **جورجي زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامي جـ ٣ ص ١٥٧ .

(٥٨) **Kirk George, E** : A Short History of the Middle East, London 1959, p. 30.

فقد أحب المنصور العلماء لأنه كان عالمًا ، وقرب الأدباء لأنه كان أديبًا خاض فى بحوثه مختلف العلوم[٥٩] والمعارف .

إن الخليفة المنصور هو أول من ازدهرت فى عهده هذه الحركة من خلفاء بنى العباس ، ولا عجب فى ذلك . فهو الذى أمدها بكل ما احتاجت إليه وبخاصة الجانب المادى – على الرغم مما اشتهر به من التقتير فى الإنفاق – الأمر الذى ترتب عليه إيجاد نهضة علمية – ثقافية زاهرة كان قيامها نتيجة حتمية لما تم ترجمته من مؤلفات فى شتى الميادين من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والسنسكريتية إلى لغتنا العربية[٦٠] .

ولكن مما يؤسف له أن هذه الحركة التى بدأها المنصور لأول مرة فى تاريخ الدولة العباسية ، والتى وصلت فى عهده إلى ما وصلت إليه ، لم تلق الاهتمام ذاته من قبل الخليفتين **المهدى** [١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٤ – ٧٨٥ م] **والهادى** [١٦٩ – ١٧٠ هـ / ٧٨٥ – ٧٨٦ م] الأمر الذى أدى إلى ركود ذلك النشاط الذى حفل به عهد المنصور . وقد تركت هذه الحقبة أثارًا سلبية على حركة الترجمة بشطريها الكمى والنوعى . ولكن ، لحسن الحظ فإن عدم الاكتراث هذا من قبل الخليفتين فى أمر رعاية حركة الترجمة لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما بزغ عهد جديد بلغت فيه الترجمة مبلغًا جاوز فى حده كل ما سبقه **وهو «عصر الرشيد»** إذ يعد عصر الرشيد[٦١] [١٤٥ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٩ م] من أزهى العصور التى مرت بها حركة الترجمة حتى مطلع عصر المأمون . فقد وصلت الترجمة فى عهده إلى حد من التطور الكمى والنوعى لم تصل إليه من قبل . ولقد كانت الرعاية التى أولاها الرشيد لهذه الحركة وتشجيعه المادى لها ، من أهم الأسباب التى حدت بها ، أن تبلغ ما بلغته فى هذا الوقت وليس ذلك بكثير على الرشيد الذى اشتهر بحبه للعلوم والآداب[٦٢] والفنون والقائمين بها مما كان له أبلغ الأثر فى تطور ما بدأ به المنصور من قبل .

وكان الرشيد طوال مدة خلافته يظهر ميلاً شديدًا نحو الفرس كما نضجت – تحت

---

(٥٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٢٦ .

(٦٠) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٦١) هو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ولد سنة ١٤٥ فى خلافة المنصور وتوفى سنة ١٩٣ هـ . **الطبرى** : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٤١ .

(٦٢) **ابن دجيه الكلبى** : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، بغداد سنة ١٩٤٦ ص ٣٦ .

رعايته – حركة الأخذ بالثقافة الهلنستية[٦٣] ولذا يعد الرشيد من أكثر الخلفاء شهرة وأكثرهم ذكرًا حتى فى المصادر الأجنبية[٦٤]. ولقد عد عصره بعد ذلك عصرًا ذهبيًا ، ولقد كان الرشيد يولى العلماء الذين يدرسون كتب العلوم اليونانية ويترجمونها مساعدات مجزية . وقد أنفذ الرسل إلى إمبراطورية الروم ليشتروا المخطوطات اليونانية ، وهى سياسة سخية جذبت قدرًا كبيرًا من العلوم إلى بغداد . وقد ألحق هذا بكرم مماثل من جانب الأفراد الذين أنفقوا بسخاء على المخطوطات والمترجمين . ولقد كانت أغلب المادة التى حصل عليها بهذه الطريقة خاصة بالنواحى الطبية ومن ثم جذب انتباه أطباء جنديسابور . وقد ترجم هذا التراث إلى السريانية ، وقد ظهرت النسخ العربية لهذه الترجمات قبل أن يمضى وقت طويل على ترجمته فى مبدأ الأمر من السريانية ، ثم من الأصول الإغريقية مباشرة فيما بعد[٦٥] .

وإذا كان الرشيد قد نقل إليه ألوانًا مختلفة من علوم ومعارف الأمم المتحضرة وهو فى بغداد فإن العكس قد حدث أيضًا ، أى أن التنقل والارتحال بقصد طلب العلم من مكانه كما اشتهر به ، كان علامة مميزة فى تاريخ حياة الرشيد الثقافية .

كان عصر هارون الرشيد عصر الإسلام الذهبى فأصبحت بغداد عاصمة العالم فى الثقافة والسياسة والاقتصاد . لقد نشّط الخليفة العلوم بجميع الوسائل خاصة الطب وتبعه فى ذلك وزراؤه بل زادوها بسطًا فى الأبحاث وتوسعًا فى العلاج ومهارة فى الجراحة والتشريح وخبرة فى العقائد وتراكيبها[٦٦] . وكانوا قد استقدموا كثيرًا من الأطباء المشهورين فطبيوا الخلفاء ونقلوا إليهم الكتب ، فكان عند الرشيد من يطب له على طريقة اليونان والهنود والفرس والكلدان كل ذلك للجمع بين مفترق الآراء استشفاء من الأمراض .

ولما احتل هارون الرشيد مدينتى «عمورية» و«أنقرة» انتدب العلماء والمترجمين من بغداد لاختيار الكتب النفيسة من مكتباتها . فاختار الكتب النادرة فى الطب والفلسفة والفلك

---

(٦٣) **العصر الهلنستى** : هو العصر اليونانى الشرقى لأنه كان إلى حد كبير مزيجًا من الحضارة اليونانية ومختلف الحضارات الشرقية كالمصرية والسورية والفارسية . وسمى هذا العصر بالعصر الهلينستى تقريبًا له من الهلينى وهو العصر اليونانى الصرف .

جورج عطية : حضارتنا ، بيروت سنة ١٩٥٦ ص ٣١ .

(٦٤) **أحمد مختار العبادى** : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٨٠ .

(٦٥) **أوليرى** : مسالك الثقافة الإغريقية ص ٢٢٨ .

(٦٦) **William Cecile Damper** : A Short History of Science, Cambridge 1944, p. 38.

وولى الخليفة تعريب هذه الكتب إلى يوحنا بن ماسويه [المتوفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م] وعين كتابًا حذاقًا يشتغلون بين يديه ويساعدونه فى عمله[٦٧] .

ولما تولى **المأمون** الخلافة [٢١٨ - ٢٣٨هـ / ٨١٣ - ٨١٣ - ٨٣٣م] اهتم كل الاهتمام بالترجمة والتأليف . فقد بلغت الثقافة فى عهده ذروتها وأصبحت العلوم من طب وفلسفة وموسيقى منتشرة فى كل مكان وجعل التعليم مشاعًا فى متناول كل فرد فى الدولة العباسية الواسعة الأرجاء .

وقد انتشرت حركة الترجمة من الإغريقية إلى السريانية ومنها إلى العربية ، ولما عظم شأن التراجمة أخذوا يترجمون من اللغات الأجنبية مباشرة إلى العربية ، كما كان أغلب التراجمة يجيدون العربية والسريانية واليونانية ، كما كان بعضهم يجيد الفارسية والعبرية ، كما كانوا أيضًا يعرفون الاصطلاحات الدارجة والاصطلاحات العلمية الخاصة والنادرة[٦٨] .

ولقد كان على المترجم أن يلم إلمامًا تامًا بالعلم الذى يترجم منه ويجيد اللغة التى يترجم إليها ، وكثيرًا ما كان البعض منهم يشرح فى الهوامش بعض ما يراه معقدًا .

وقد قام المأمون باستدعاء ثلاثمائة عالم من أهل كل دين وجنس من بينهم بعض الشخصيات المسيحية مثل **يوحنا بن ماسويه السريانى** ، **ويوحنا بن البطريق** الذى كان أمينًا على ترجمة الكتب الحكمية ، **وجبرائيل الكحال** أشهر أطباء المأمون فكان له فى كل شهر ألف درهم وكان يدخل على المأمون فى كل يوم .

اهتم المأمون بالعلم والعلماء وكرس كل وقته وجهده من أجل اثراء المكتبات العلمية فى بلاده . فأخذ يعقد شروطًا للصلح مع بعض ملوك الروم على إرسال كتب الحكمة التى يندر وجودها عند غيرهم من الأمم . وقد جعل أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث أن يتنازل الثانى للأول عن إحدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية[٦٩] . وكان من بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس فى الفلك . فأمر المأمون بنقله إلى العربية وأسماه « المجسطى » كما أنه فاتح ملك الروم مرة ثانية يسأله أن يسمح لجماعة من العلماء أن يشتروا من كتب الحكمة ما يجدونه فى بلاد الروم

(٦٧) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٦٨) **خير الله** : الطب العربى ص ٤٠٤

(٦٩) **محمد ماهر حمادة** : المكتبات فى الإسلام ص ٢١ .

لكى يضيفها إلى خزانة كتبه ، وقد استجاب ملك الروم لطلبه بعد امتناع . فأرسل المأمون بعثة علمية لهذا الغرض كان من أعضائها «**الحجاج بن مطر ، وابن البطريق وسليم صاحب بيت الحكمة**» فأخذوا مما اختاروه عددًا كبيرًا وحملوه إلى بغداد ، فأمرهم المأمون بنقلها إلى العربية . وهكذا أصبح عند المأمون طائفة كبيرة من كتب الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى والنجوم وغيرها[٧٠] .

وهناك قصة ينسبها البعض إلى شدة اهتمام المأمون بترجمة الكتب اليونانية . مؤداها أن هناك رؤيا رآها المأمون فى أثناء خلافته . فقد رأى المأمون فى منامه شيخًا بهى الشكل جالسًا على منبر وهو يخطب ويقول : « أنا أرسطاطاليس » فانتبه من منامه وسأل عن أرسطاطليس فقيل له : رجل حكيم من اليونانيين . فأحضر « حنين بن إسحق » إذ لم يجد من يضاهيه فى نقله ، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية ، وبذل له من الأموال والعطايا الكثير . إن هذه القصة لا يصح أن تكون السبب الرئيسى لما عمل المأمون من أجل العلم ، على أنها تبين على كل حال رغبة الخلفاء فى التوسع العلمى ونقل كل ما كان معروفًا من علوم الأولين إلى اللغة العربية . ودليلنا على ذلك أن حركة الترجمة بدأت قبل عهد المأمون وقصة رؤياه - إن صحت - دلتنا على أن الحلم كان انعكاس صورة طبيعية لما كان يفكر فيه المأمون فى اليقظة .

ويمكن القول بصورة عامة أن الترجمة فى العصر العباسى كانت عمل دولة وأفراد . فقد زاد عدد التراجم عن المائة وقد تخصصت بعض الأسر بأعمال النقل ، كما أقيمت مدارس خاصة لتعليم المترجمين وإصلاح ما يترجمونه[٧١] .

إن الدور الذى قام به المأمون دور أضفى على حركة الترجمة طابعًا خاصًا ميزه عن غيره من الأدوار التى مرت بها حركة الترجمة عبر تطورها . وإن ما يؤسف له أشد الأسف ، أن هذا الدور الجليل الذى قام به هذا الخليفة كان دورًا قصيرًا فى مدته ولكنه كان عظيمًا فى نتائجه .

ولكن حدث أن تعرضت حركة الترجمة لنوع من الركود فى الفترة الواقعة ما بين نهاية عصر المأمون ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ومجىء المتوكل إلى الخلافة [٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦٢ م] وهى الفترة التى حكم فيها الخليفتان **المعتصم** [٢١٨ - ٢٢٧ هـ /

---

(٧٠) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٩ .

(٧١) عيسى الاسكندر : الأسر العربية المشهورة بالطب ص ٧٨ .

٨٣٣ - ٨٤٢ م] والواثق [٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٣ - ٨٤٧ م] اللذان لم يوليا هذه الحركة نفس الاهتمام السابق .

ولكن على الرغم من ذلك فقد استمرت حركة الترجمة تؤتى ثمارها نتيجة للرعاية التى أولاها إياها أناس كرسوا أجلّ أوقاتهم فى سبيل ازدهارها .

وما أن جاء عصر المتوكل حتى استطاعت هذه الحركة أن تنعم بقسط أوفر من الرعاية والاهتمام نتيجة للدعم الذى حصلت عليه من لدن الخلية الجديدة الأمر الذى أدى إلى حدوث تغيير ملحوظ فى نتاج هذه الحركة .

ويتضح مما سبق أن من الخلفاء العشرة الذين تولوا الخلافة فى هذه المدة الخليفة الثانى المنصور والخليفة السابع المأمون [وهذا كانت كل من أمه وزوجته فارسيتين فصار النفوذ الفارسى على أشده] وقد عرف هذان الخليفتان بحبهما للثقافة ورعايتهما لها كما عرفا برحابة صدريهما حتى أخذ المبغضون يشيعون أنهما ليسا خلفاء وأمراء المؤمنين بل أمراء الكافرين .

وقد اهتموا بعلوم الأوائل ولا سيما علوم اليونان وقد حصلوا بالشراء والاستيلاء أثناء الفتوحات على أعداد هائلة من المخطوطات اليونانية وغيرها ، واختزنوها فى المكتبة الملكية « بيت الحكمة » وأمروا بترجمتها من قبل أمهر المترجمين الذين اجتذبوهم إلى القصور الملكية فترجمت إلى اللغة العربية مباشرة أو عن طريق اللغة السريانية .

كما كان من الواضح أن حركة الترجمة زمن الخليفتين المنصور والرشيد قد بلغت مرحلة بعيدة من التطور والرقى وكثرت الكتب المترجمة بتعدد المترجمين ، كما أن هناك فارقًا فى الناحية العلمية فى هذا الوقت بين عهدى كل منهما إذ أن حركة الترجمة زمن الرشيد كانت أكثر نضجًا منها فى زمن المنصور ، الأمر الذى ترتب عليه وجود تباين ملموس من الناحيتين الكمية والنوعية فى نتاج هذه الحركة وبصفة عامة فإن حركة الترجمة فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى كانت أحسن حالاً من سابقتها فى القرن الأول وكانت قد بلغت أقصى مراحلها من التطور فى القرن الثانى والثالث الهجرى / التاسع الميلادى .

الفصل الثالث
الطب عند السُّريان

العلوم عند السُّريان

لم تتأثر نهضة السُّريان العلمية بما كان يتوالى على مدنهم من أحداث سياسية خطيرة كغزو الفرس ، ثم ما تلا ذلك من غزو اليونان وبقاء البلاد تحت حكمهم ما يقرب من قرنين ونصف القرن ، ثم أعقب ذلك أخيرًا من غزو الروم . بل أنهم على العكس من ذلك كانوا كثيرًا ما يستغلون هذه الفرص فيأخذون من معارف هؤلاء الغزاة وعلومهم ما يدعم حضارتهم ويرقى بمعرفتهم وينمى ثروتهم العلمية[1] . ولعل صلتهم المتوالية بأمم متحضرة ومثقفة تعتبر مسئولة إلى حد ما عن هذا التقدم ، فكان همهم جمع معارف تلك الأمم وتسجيل علومهم أو نقلها إلى لغتهم ولم يكن لهم فى ميدان الابتكار والابتداع شيء يذكر . وقد حاول بعض الباحثين أن ينسب إليهم أصالة فى الفلك وفى غيره من العلوم الطبيعية . ولقد أوضح التاريخ أنه من الصعب أن ننتظر أصالة وابتداعا فى ميادين العلم والأدب من شعب يعيش سياسيًا على حساب غيره وليست له وحدته القومية ولا كيانه السياسى .

كان للسريان دراية واسعة بأكثر العلوم المعروفة إذ ذاك من رياضيات وطبيعيات ولاهوت وفلسفة وطب وكيمياء وأدب حتى ما كان يختص بالعلوم اللغوية فقد كانت لهم مجادلات تذكر فى تنظيم اللغة وتهذيبها .

وليس غريبًا أن نعرف أن السُّريان قد درسوا ثقافة الفرس وتعلموا لغتهم ، ودرسوا ثقافة اليونان وأجادوا لغتهم ، ودرسوا ثقافة الروم وعرفوا لغتهم . ولم يعرف لغيرهم فى الشرق مثل هذا النشاط فقد كانوا فى الواقع حلقة اتصال لابد منها بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب كما كانوا فيما بعد حلقة اتصال لابد منها بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الإسلامية[2] .

لقد تغير السُّريان فى هذه النهضة العلمية والنشاط الفكرى حتى جاء العرب وفتحوا العراق فوجدوهم على نفس الحالة من درس وتحصيل وترجمة وإنتاج .

ولم يعامل الفاتحون من العرب هؤلاء السُّريان معاملة الغالب للمغلوب ولم يحاولوا

---

(١) Sarton : J = Introduction to the History of Science, 1931, p. 334.

(٢) د . حسن عون : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١١٤ .

محو تلك الآثار العلمية ولا إيقاف ذلك التيار الفكرى الذى اختط سبيله منذ زمن بعيد وثبت مجراه فى ثنايا تلك البلاد .

ولقد أظهر الإسلام تسامحًا كبيرًا مع هؤلاء السُّريان فلم يحل بينهم وبين دراستهم الواسعة العميقة ولذا فقد استمروا يحافظون على تراثهم القديم الذى كونوه نتيجة مجهود أجيال عديدة ، وعملت على تنميته حتى تولت الدولة العباسية فوجدت منهم أنشط عنصر وأهم سند وأعظم مورد لتكوين ثقافة إسلامية واسعة لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، ولم يكن ليتاح لهم أن يؤسسوا هذه الحضارة الواسعة فى مثل تلك الفترة القصيرة وبمثل هذه السرعة النادرة لو لم يجدوا فى بيئة العراق وبين سكانها ما وجدوه من مدد علمى واسع .

ولقد كان من هؤلاء السُّريان العلماء والأطباء والفلاسفة والمؤرخون والمترجمون وأصحاب المذاهب الدينية والمشرعون وكثير غير هؤلاء وأولئك . وكانت لهم معرفة تامة بأهم اللغات القديمة يونانية ولاتينية وفارسية ودراسة واسعة بأكثر العلوم المعروفة إذ ذاك من رياضيات وطبيعيات ولاهوت وفلسفة وطب وكيمياء وأدب وحتى ما يختص بالعلوم اللغوية . فقد كانت لهم محاولات فى تنظيم اللغة وتهذيبها ، ومن أجل ذلك لم يجد المسلمون بدًّا من الإستعانة بهم ، ولم يألوا هم جهدًا فى الإفادة بعلومهم ومعارفهم ، فقد وضعوا أنفسهم فى خدمة الحضارة الإسلامية كما وضعوا أنفسهم من قبل فى خدمة الدين المسيحى ، ولولاهم لما عرفت الفلسفة اليونانية وعلومها مبكرة عند العرب ، ولما ظهرت ظلالها واضحة فى الفكر العربى أو فى العقل الإسلامى وفيما صدر عنه من إنتاج علمى .

ففى أيام الرشيد والمأمون(٣) كان هناك كثير من الآثار السريانية فى النهضة العلمية الإسلامية،وأيضًا أيام الخلفاء الأول من عهد الدولة الأموية حينما خالط العرب السُّريان فى بيئة العراق ، وأخذوا يقررون ما لديهم من معارف ويتطلعون إلى ما عندهم من علوم . ونذكر الكثير من فلاسفتهم ومترجميهم وعلمائهم وأطبائهم الذين خدموا هذه النهضة وكانت لهم فيها آثار كبيرة . لقد كان هناك العديد من السُّريان الذين قاموا بالترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وبذلك ظهر العديد من الكتب أو الرسائل

---

(٣) Muir = W = The Caliphates, Edengburgh 1924, p. 508.

التى نقلوها أو ألفوها وكان لذلك كله أثر فى العقلية العربية أو فى الحضارة الإسلامية وخصوصًا عند طائفة العلماء ورجال الكلام .

لا نستطيع أن ننكر ما كان للسُّريان من العلوم الدينية المسيحية ، ومن العلوم الفلسفية التى نقلوها عن اليونان ، فقد تعلموا منهم الفلسفة والطب وسائر العلوم ، كما تعلمها الرومان من قبلهم والمسلمون من بعدهم[٤] . وكان السُّريان ينصرفون إلى الاشتغال بالعلوم كلما اطمأنوا من مظالم الفاتحين ومنهم من شرح الكتب اليونانية ومنهم من لخصها ومنهم من ترجم للعباسيين العلوم المختلفة ومعظمهم من النساطرة وهم أذكياء نشطون .

كان الآراميون قد جعلوا من الهلال الخصيب موطنًا ومنارًا للعلم والمعرفة . ولهذا فعندما فتح العرب هذه البلاد كان كل شيء جاهزًا أمامهم . وكان عليهم أحد أمرين :

إما أن يزيدوا هذا الانتعاش الثقافى قوة وتقدمًا ، أو أن يستأصلوا جذوره على اعتبار أنه غريب عن دينهم الجديد . ولكنهم بأصالتهم بذلوا قصارى جهدهم فى سبيل تقدمه المستمر واحترام أهله . ولعل سبب ذلك أن العرب لم يكونوا بعيدين عن هذا التراث ، فقد كانت لهم علاقات وثقى به من السابق ولما فتح العرب الهلال الخصيب كان أثمن ما وجدوه فيه التراث الإغريقى الفكرى ، فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت الثقافة الهلينية[٥] أشد العوامل الأجنبية تأثيرًا فى العوامل العربية . فالرها (إدسا) وهى أهم مقر للسُّريان النصارى وحران[٦] التى عرف أهلها بالصابئة ، كانت من المدن السورية المهمة التى انتقلت إليها معارف الإسكندرية الهلينية ولا سيما الطبية ، وأنطاكية[٧] إحدى مستعمرات اليونان القدماء الكبيرة ، والإسكندرية ملتقى الفلسفة الغربية والشرقية ، وما لا يحصى من أديرة فى سوريا وما بين النهرين حيث كانت تقوم الدراسات

---

(٤) **Damper** = **W.C** = A Short History of Science Cambridge 1944, p. 96.

(٥) الثقافة الهلينية تطلق على طابع الفكر والحضارة القديمة فى العصر الذى بدأ من فتح الاسكندر للمشرق وانتهى بعصر الإمبراطور أغسطس من سنة ٣٣٦ ق . م إلى سنة ٣٠ ق . م تقريبًا .

(٦) **حران** : تقع حران شمال شرق سوريا وكانت سابقًا مدينة السريان الوثنيين .

(٧) **أنطاكية** : مدينة فى تركيا بناها سلوقس الأول سنة ٢٠٠ ق . م وجعلها عاصمة له وأصبحت ثالثة مدن الإمبراطورية بعد روما والاسكندرية فيها دعى النصارى باسم المسيحيين ، وفيها ألقى أشهر مواعظة يوحنا فم الذهب ، كان بها مدرسة عظيمة أسسها أثناسيوس وكانت تحاكي مدرسة الاسكندرية العظيمة ومن تلاميذها نسطورس وزميله الراهب أنستاسيوس .

العلمية والفلسفية علاوة على الدراسات الكنسية المذهبية . كل هذه كانت منائر تشع منها أنوار الثقافة الهلينية[٨] .

وكانت مؤلفات أرسطو وباق فلاسفة الإغريق قد أخذت طريقها إلى مدارس السُّريان منذ أمد بعيد . واتخذت الدراسات السُّريانية لأرسطو طريقها فى مدرسة ادسا فى القرن الخامس[٩] . وقد كان للسُّريان مدونات ومعارف ذات قيمة تاريخية كبيرة فى مختلف أنحاء الجزيرة أصبحت من المصادر الهامة التى اعتمد عليها مؤرخو العرب . وقد أخذ مؤلفو الإسلام أكثر معارفهم عن أحوال النصرانية وبيزنطة فى عهود الجاهلية من المصادر السُّريانية أو استمدوها من نقلة السُّريان من آداب اليونان .

ويستفاد من أقدم هذه المصادر السُّريانية فى هذا الصدد أن نصارى الجاهلية كانت لهم بيع ليس فى نجران فقط بل فى ظفار وحضرموت ومأرب أيضًا .

وكان أول صلتهم بالغرب عن طريق اليونانيين المقيمين فى آسيا الصغرى . ولم يقف أمرهم عند هذا الحد بل استمروا يكثرون من هذه الصلات قبل ميلاد المسيح وبعده ، فوصل بعضهم إلى بلاد الإغريق وذهب غير قليل منهم إلى روما . ثم عادوا جميعًا إلى بلادهم مزودين بكثير من العلم والحكمة والفلسفة . ومن هنا كان أكثر ما أثر عنهم من إنتاج علمى يمثل ذلك أوضح تمثيل فإننا نتجاوز كثيرًا حين نطلق على تراثهم الدينى والعلمى والأدبى اسم الحضارة الآرامية أو السُّريانية ، إذ أننا لا نجد فى ذلك التراث الطابع الخاص الذى يميز حضارة عن الأخرى ، ولا الفكرة القومية الأصيلة التى تجمع بين شتات هذا الاتساع ، ولعل ذلك يرجع أولاً إلى عدم تمسكهم بالوحدة السياسية واقتناعهم بالحياة الهادئة تحت ظل الآخرين ، فانصرافهم إلى الحياة العقلية والإنتاج الفكرى ظل متواصلاً تقريبًا ، ومتشابهًا تحت سلطان العرب . وما كانوا يجدون ضيقًا ولا حرجًا فى الخضوع لسياسة هذه الدولة والعيش فى كنف ملوكها ما داموا يتمتعون بالهدوء والاستقرار ، ويملكون الفرص التى تتيح لهم ممارسة نشاطهم العقلى والعلمى وإقامة شعائر دينهم[١٠] .

إن كثيرًا من الكتاب الشرقيين والغربيين قديمًا قد تحدثوا عن الكلدانيين وعن آثارهم

---

(٨) مجلة منح الحقوق الثقافية ص ٩٥ .

(٩) **دى لاسى أوليرى** : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٢٣٣ .

(١٠) **د . حسن عون** : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٤٣ .

العلمية والفكرية وعن تأثيرهم فيمن جاورهم من البابليين فى الشمال وشبه الجزيرة العربية فى الجنوب . وكثيرًا ما نطالع فى كتب التاريخ والسير والأدب أن العرب قد أخذوا من الكلدانيين معارفهم فى الفلك وفى الحساب وفى التوقيت وفى التنجيم وفى غير ذلك من المعارف الكونية ، ومع ذلك لا نجد عند هؤلاء المؤلفين لتلك الكتب ما يوضح من هم الكلدانيون ، ولا ما هو الدور الهام الذى لعبه الكلدانيون فى تأسيس مجتمعهم وتكوين ثقافتهم . وحقيقة أمر الكلدانيين أنهم فرقة من الآراميين الذين اتجهوا إلى الشرق واستطاعوا أن يتسللوا إلى داخل المملكة البابلية وهناك فى الجزء الجنوبى من تلك المملكة الواسعة وجدوا منطقة خصبة وظروفًا ملائمة فبنوا لهم وسط تلك المنطقة مدينة أسموها « كاد » بين مدينة بابل والخليج الفارسى وكان ذلك حوالى القرن الرابع عشر ق . م[11] . فى هذه المدينة تكون مجتمعهم وباسمهم سموا بالكلدانيين ثم بسبب اتصالهم بالبابليين استطاعوا أن يأخذوا كثيرًا من معارفهم ، وبطبيعة قربهم من العرب فى شبه جزيرتهم تمكنوا من نقل تلك المعارف إليهم . ومما ينبغى إدراكه هنا أيضًا أنهم بقدر ما انتفعوا بالحضارة البابلية فقد أفادوها ، إذ أنهم قد أحيوا كثيرًا من معالمها وأضافوا إلى تلك المعالم بعض الشىء من معارفهم التى اكتسبوها من تفكيرهم وتجاربهم الخاصة فى الفلك والتنجيم والطب . ولقد ساعد على ذلك وجودهم بين ظهرانى البابليين فى وقت كانت الدولة السياسية فى شبه انحلال وكانت الحرب تكاد تكون مستمرة بين بابل وأشور على الاستقلال بالأمر فى كل وادى الرافدين شمالاً وجنوبًا . هذه النواحى الداخلية وتلك الاضطرابات السياسية لم تؤثر فى هدوء الكلدانيين ولم تصرفهم عن توجيه نشاطهم إلى نواحى العلم والمعرفة ، بل على العكس كان ذلك حافزًا لهم على ترك السياسة جانبًا والانطواء على أنفسهم ، ثم الانكباب على تفهم الأمور واستنتاج الأحكام وشأنهم فى ذلك شأن الغرباء فى بلد لا يعنيهم من سياسته شىء وربما عملوا على اشتداد الخلاف بين سكانه واشعال نار الفتنة بينهم .

إن السُّريان هم الذين أرسوا قواعد الثقافة والحضارة العالميتين وهما الناحيتان البارزتان من نواحى البشرية وعلى غرارهم صبت الأمم الأخرى .

يعتبر السُّريان أول من استنبط الحرف فنقله عنهم الفرس والعرب ثم اليونان والرومان كما أثبت الباحثون .

---

(١١) أدى شير : تاريخ كلد وأثور بيروت سنة ١٩١٣ ص ٢١١ .

ولقد استعملت أبجديتهم أكثر الأمم الشرقية فى كتابة لغاتهم[١٢] .

لقد نشر السُّريان العلوم والآداب وخدموا العالم الشرق أولاً بعلمائهم الأعلام ثم العالم الغربى بعلومهم وفنونهم ، ذلك أنهم نقلوا إلى لغة الضاد كثيرًا من مصنفاتهم القيمة ومعظم العلوم اليونانية من طبية وفلسفية ومنطقية وتاريخية وفلكية وما إليها استجابة لرغبة الخلفاء العباسيين فى صدر دولتهم . هذا فضلاً عن علمائهم العرب ومنهم **«قس بن ساعدة»** أسقف نجران وحكيمها وخطيبها **«ابن المقفع»** ، و**«الأخطل التغلبى»** شاعر البلاد الأموى ، **«وعمرو بن كلثوم»** شاعر الجزيرة ، **«والنابغة الذبيانى»** والعلماء من بنى طىء وتنوخ وعقيل الذين نقلوا الإنجيل المقدس من السُّريانية إلى العربية بأمر البطريرك **«ماريوحنا»** المعروف بأبى السدرات ، واستجابة لرغبة **«عمر بن أبى وقاص الأنصارى»** أمير الجزيرة[١٣] .

لقد أتيح للآراميين أن يتلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم . فكانوا ورثة الحضارة الآشورية والبابلية والفارسية واليونانية . وكانوا يسيرون على نهج هذه الحضارات ويضيفون عليها نوعًا من التطور كذلك تأثروا بحضارة الحيثيين والمصريين .

ولعل ما يؤيد ذلك أن مدينة سمأل وهى إحدى المدن الآرامية مدينة حديثة فى تخطيطها وفى عمارتها .

ومن أكثر العلوم التى اهتم بها السريان :

١ – الفلسفة :

اهتم المسيحيون بالفلسفة منذ فجر الإسلام وخاصة لدى انقسامهم إلى فرق ومذاهب . فكانت كل فرقة تعتمد على المنطق والفلسفة فى تثبيت المعتقد الخاص بها ، فراحوا يترجمون فلسفة أرسطو وأفلاطون للبرهان .

لذا كانت الفلسفة من أكثر العلوم التى اهتم بها السريان وبرعوا فيها . وأول مصنفاتهم فى هذا الميدان هو كتاب « **شرائع البلدان** » الذى يسمى أيضًا بكتاب « **القدر** »

---

(١٢) **فيليب دى رازى** : عصر السريان الذهبى . بيروت – مطبعة جدعون سنة ١٩٤٦ ص ٨٣ .
(١٣) المجلة البطريركية العدد ٤١ أيلول سنة ١٩٦٦ السنة الخامسة حضارة السريان ص ٢٨ .

للفيلسوف « **ابن ديصان اللاذرى** » فى القرن الثانى الميلادى ، كذلك للقديس « **أحودامه** » مفريان المشرق فى القرن السادس كتاب اسمه « الإنسان عالم صغير » وهو مفقود .

ومن أبرز فلاسفة السريان **القس سرجيس الرأس عينى** الذى ترجم عددًا كبيرًا من مؤلفات أرسطو وجالينوس ، وكذلك رهبان ديرقنسرين الذين تعلقوا بدراسة فلسفة **فيلون الإسكندرى**(١٤) .

وبعد الفتح الإسلامى نشطت حركة الاهتمام بالفلسفة اليونانية إذ نشطت محافل الجدل والمناقشة بين النصارى والمسلمين ، فقام السريان بتدريس الفلسفة اليونانية فى مدارسهم وعلقوا عليها وشرحوها ولا سيما فلسفة أرسطو وأفلاطون ففى أوائل القرن السابع الميلادى اشتهرت مدرسة قنسرين(١٥) بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج منها جماعة كبيرة من السريان وفى جملتهم « **الأسقف سويرس** فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة واللاهوت والرياضيات . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها إلى السريانية ولا تزال بعض ترجماته فى الفلسفة محفوظة فى المتحف البريطانى بلندن .. وقد أتمها بعده تلميذه **يعقوب الرهاوى** واضع علم النحو السريانى ، كما اشتهر بكتابه الفلسفى « **العلة الأولى لخالق الأبدية القادرة على كل شىء وهو الله**»كما وضع يعقوب أيضًا كتيبًا نشر فيه المصطلحات الفنية الفلسفية .

كما اشتهر أيضًا فى تلك الفترة رهاوى مجهول الاسم فى القرن العاشر بكتابه « **علة كل العلل** » وفيه يثبت وجود الله بالبراهين الفعلية .

ومن تلاميذ الأسقف سويرس أيضًا **أثناسيوس جورجيوس** المعروف بأسقف العرب . وقد ترجم بعض كتب أرسطو ، كما اشتغل جماعة آخرون بترجمة كتب أفلاطون وفيثاغورس وغيرهما.

كما تناول السريان الكتب الفلسفية التى تناولت حكم فيثاغورس فى الفضيلة وحدود

---

(١٤) **فيلون الاسكندرى** : [٢٠ ق . م - ٥٤ م] ولد فى الإسكندرية . فيلسوف يهودى حاول أن يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانية ، وأكثر من استعمال الطريقة الرمزية . له تأثير جدى نحو آباء الكنيسة الشرقية وعلى فلاسفة العرب .

(١٥) **مدرسة قنسرين** : مدرسة ببلاد الشام بين الشام ومعرة النعمان فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٧ هـ فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب .

أفلاطون وحكمه التى كتبها لتلاميذه والحدود عن الله والإيمان والمحبة والعدل وحكم الفلاسفة فى النفس ونصائحهم .

ومن الذين كان لهم الأثر الواضح فى الفلسفة العربية المسيحية والإسلامية الجاثليق النسطورى **«يوحنا بن عيسى الأعرج»** [٩٥٠ م][١٦] الذى وإن لم يترك أثرًا فى كتب المؤلفين المسلمين ، إلا أنه كان كاتبًا كنسيًا مشهورًا فى عالم الفقه المسيحى ، وكذلك **« أبو بشر متى بن يونس »**[١٧] الذى نعم بشهرة واسعة نادرة . قال عنه القفطى : عالم بالمنطق .. وعلى كتبه وشروحه اعتماد أهل هذا الشأن فى عصره[١٨] . كما شهد له ابن النديم فقال : « إليه انتهت رئاسة المتصبين فى عصره »[١٩] . وهو من أكابر شراح الفلسفة الأرسططالية وقد تعلم فى مدرسة « مارمارى » فى ديرقنى[٢٠] .

كما اشتهر أيضًا الفيلسوف والمؤرخ والطبيب والعلامة الكبير **ابن العبرى** [١٢٨٦ م] فى القرن الثالث عشر الذى امتاز بكتبه الفلسفية ذات الشأن الكبير وكذلك كتب التاريخ والطب المختلفة[٢١] .

وكان للسريان ميل كبير إلى الأدب الحكمى . وقد خلفوا لنا مجموعات من الحكم الحقيقية أو المفترضة كحكم فيثاغورس ووصايا أفلاطون ونصائح « تيانون » وحكم مناندرس ، كذلك مباحث كثيرة لأفلاطون .

٢ - الطب :

لقد أولى السريان الطب عناية فائقة . وقد زاول السريان الطب أكثر من ألف سنة . وقد اشتهر منهم أطباء ماهرون كان أبرزهم : **سرجيس الرأس عينى وحنين بن اسحق وآل بختيشوع وابن العبرى** كما صنفوا كتبًا شتى فى هذا الموضوع .

---

(١٦) **ميخائيل السريانى** : تاريخ الأزمنة طبعة شابو باريس جـ ٣ ص ٤٦٣ .

(١٧) **متى أبو بشر يونان المنطقى** : ولد فى ديرقنى قرب بغداد وتوفى فيها سنة ٩٤٠ . أستاذ يحيى بن عدى أول من نقل عن اليونانية « بويتيكا » أو كتاب الشعر لأرسطو ، وعن السريانيين كتاب البرهان لاسحق بن حنين .

(١٨) **القفطى** : أخبار العلماء بأخبار الحكماء - مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ ص ٢١٢ .

(١٩) **ابن النديم** : الفهرست ص ٣٦٨ .

(٢٠) **ديرقنى** : يقع فى جنوب بغداد وكان به أثر عظيم فى العهد العباسى وقد اشتهر بكرومه ، واندثر قبل القرن الثالث عشر الميلادى .

(٢١) **المجلة البطريركية** : العدد ٦٩ أيلول سنة ١٩٦٩ السنة السابعة ص ٤٨٤ .

فلقد كان لهم فى الطب حظ وافر إثر إنشاء مدرسة جنديسابور مثل **أثاثيوس الآمدى وسمعان الطيبوتى والأسقف جريجورس والبطريرك تيودوسيوس** وغيرهم ممن أدركوا الدولة العباسية وخدموها[٢٢] .

وقد أنتج الطب عددًا من المؤلفات الأصلية وعددًا من الترجمات من جملتها ترجمات لأبقراط وكذلك لمؤلفات جالينوس التى قام بترجمتها سرجيس الرأس عينى . كما كتب ابن العبرى الذى كان يعد من مشاهير الأطباء السريان مبحثًا فى **العقاقير** (كتاب ديوسقوريدس) **وشرحًا لكتاب المسائل الطبية لحنين** . وحنين هذا من مشاهير الأطباء السريان الذين أصابوا منزلة عالية فى بلاط خلفاء بغداد فى القرنين التاسع والعاشر . غير أن العربية كانت هى السائدة فى هذه البنية الخاصة . وقد كتب هؤلاء العلماء معظم مؤلفاتهم بهذه اللغة .

٣ - الفلك :

لقد برع السريان فى علم الفلك . فقد كان لهم مؤلفات كثيرة فى النجوم وذلك لتسلسل هذا العلم منهم عن آبائهم الكلدانيين . فإن **ابن ديصان** له كتاب فى الفلك لم يصل إلينا غير خبره . وألف **«سرجيس الرأس عينى»** فى تأثير القمر وحركة الشمس كما **ألف السبكى** فى صور الأبراج . وممن ألف فى الفلك **يعقوب الرهاوى وموسى بن كيفا وعمانويل البرشهاوى** . كما وضع **ابن العبرى** أيضا كتابًا فى الفلك هو **«الصعود العقلى»** . **وكتب سويرس** سابوخت (القرن السابع) عن الاسطرلاب . واهتم السريان بدراسة اللغات فالذين اهتموا بالمحاماة درسوا اللغة اللاتينية ، أما الذين عكفوا على دراسة الفلسفة فتعلموا اليونانية ولكن بقيتهم وخاصة أولئك الذين وجدوا خارج المراكز ذات الصفة العالمية فإنهم تمسكوا بلغتهم الوطنية وهى اللغة السريانية[٢٣] . وقد ذكر البطريك **«يوحنا فم الذهب»** المتوفى سنة ٤٠٧م بإحدى عظاته فى أنطاكية أن أغلب الذين كانوا ينصتون إليه كانوا من الكهنة والشهب ولا يتمكنون من فهم عظاته باليونانية لأن لغتهم هى السريانية .

لقد أضاف السريان إلى ما كان معروفًا عندهم من الطب والفلك والتنجيم والفلسفة

---

(٢٢) **المجلة البطريركية** : العدد ٦٩ أيلول ١٩٦٩ السنة السابعة ص ٤٨٤ .

(٢٣) **فيليب حتى** : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ ٢ ص ٤٠٩ .

الطبيعية شروحًا وتأويلات من نصوص الكتاب المقدس ، وأبحاثًا فلسفية فى أخطر النظريات الدينية ولعلهم أول من فلسف الدين المسيحى ، فلم يقتنعوا بما ورثوه من معارف وأفكار ، ولم يقفوا عند حد التلقين والاقتداء بل أخذوا يفكرون فى أمر الدين ومسائله تفكيرًا شخصيًا يعتمد على النظرة الخاصة ثم على التعمق والتحليل(٢٤) .

وأخيرًا كانت هذه الحركة العلمية بلا ريب أثرًا لعوامل عدة منها ما ورثوه من حضارة قديمة فى تلك البيئة التى استقروا فيها ، ومنها صلتهم المباشرة بالفرس ، وبما لديهم من نظم وأديان ومعارف وأفكار من ناحية ، وباليونان وبما عندهم من أدب وعلم من ناحية أخرى مما جعلهم يتعلمون لغة اليونانيين ويدرسون علومهم وآدابهم وفلسفتهم ويهضمون حضارتهم وينقلون كثيرًا من آثارهم العلمية والأدبية ، مما كان له أعظم الأثر فى التعرف على آثار اليونانيين والانتفاع بمناهجهم العلمية وبأساليبهم فى الفكر والدرس .

---

(٢٤) د . أحمد سوسة : حضارة وادى الرافدين ص ٤٨ .

الفصل الرابع

أشهر الأسر الطبية

أولا – عائلة بختيشوع

يعتبر البختيشوعيون أشهر الأسر الطبية النسطورية التى خدمت الخلفاء العباسيين ، وكانوا أطباءهم زهاء ثلاثة قرون متوالية ابتداء من خلافة أبى جعفر المنصور وانتهاء بخلافة القائم بأمر الله المتوفى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م . لقد تمتع آل بختيشوع خلال تلك الفترة بمكانة كبيرة فى ظل العصر الذهبى للدولة العباسية . فمنهم أطباء الخلفاء ووزرائهم ، وكان فيهم الأطباء المحترفون وأطباء البيمارستانات ومعلمو الطب والفلسفة .

وقد قامت هذه الأسرة بدور بارز وفعال فى ازدهار حركة الترجمة ولا سيما ترجمة الكتب الطبية التى كثيرًا ما اقترنت باسمها[1] .

عاش البختيشوعيون أولاً فى جنديسابور بالأهواز ثم فى بغداد وسامراء . وكانت معلوماتنا عنهم فى موطنهم الأول ضعيفة أو هى فى الأصل غير واضحة بالمقارنة إلى أخبارهم فى موطنهم الأخير .

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين قد عاصروا هذه الأسرة وعرفوا أخبارهم بالمشاهدة لا بالرواية[2] إلا أنهم حصروا ما كتبوه عنهم فى نطاق حياتهم الخاصة وعلاقتهم بالحكام ، ولم يظهروا أى جانب يتصل بأفكارهم الطبية وتفاصيل أعمالهم فى ممارسة الطب إلا بقدر بسيط لا يشبع ، كما لم يشر المؤرخون إلى أصل البختيشوعيين وأرومتهم الأولى ويحتمل كثيرًا أن يكون جدهم الأول من نساطرة إحدى مدن سوريا الشمالية الذين غادروا البلاد إلى ديار فارس فى منتصف القرن الخامس الميلادى هربًا من مطاردة الكنيسة البيزنطية لمعتنقى المذهب النسطورى ، ودخلوا جنديسابور لينضموا إلى ذويهم من أهل أنطاكية ونصيبين والرها ، الذين سبق أن وقعوا أسرى بيد « سابور الأول » فى معركته مع الإمبراطور الأول « فاليريان » سنة ٢٦٠ م . فليس هناك ما ينفى أن يكون ذلك الجد من الذين تنصروا على المذهب النسطورى حين دخل مبشرو هذا المذهب إلى ديار فارس فى مطلع القرن الخامس الميلادى ، إلا أن هذا الاحتمال ضئيل لتأصل اللغة السريانية فى لسان البختيشوعيين لثقافتهم العميقة فى الطب اليونانى ولغته .

---

(١) **أحمد فريد رفاعى** : عصر المأمون جـ ١ ص ٤١٧ .

(٢) هؤلاء المؤرخون هم فيثون الترجمان ، ويوسف بن إبراهيم المعروف بابن الراية ، وإسحق بن على الرهاوى صاحب كتاب أدب الطبيب ، وعبد الله بن جبرائيل البختيشوعى صاحب كتاب مناقب الأطباء . مجلة المجمع العلمى العراق سنة ١٩٨٣ مجلد ٧ ص ٦٧ .

ومما هو جدير بالذكر أن أسرة بختيشوع لها بقية فى بغداد وهم بنو غنيمة ، وفى الصالحية وهم آل الحكيم ، وفى دمشق آل لطفى وآل منقم[3] . وقد عرف البختيشوعيون بتمسكهم بتقاليد ملتهم وسنن شريعتهم والتعصب لأهل بيتهم ولأسمائهم ، أما التغيير الذى ظهر على أسماء أواخر أبنائهم فقد يكون بحكم ظروف عابرة ، أو مع المصاهرة مع أسر غير بختيشوعية .

أما عن أصل تسمية بختيشوع فيقال أنه لما أنجب الجد الأول وهو الجد النسطورى وهو فى فارس جعل الشق الأول من اسم ابنه بلغة الفرس المحلية وجعل الشق الثانى من أسماء ملته النسطوريين ، فكان منهما اسم بختيشوع [بخت يشوع] وهو عبد المسيح لأنه فى اللغة السريانية بخت بمعنى العبد ، وهو ما يقابل اسم « عبد يشوع » عند أتباع كنيسة المشرق النسطورية ، ولكن ابن العبرى[4] يعترض على هذا الرأى والتفسير ويقول أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد ، ومن الملاحظ أيضًا أنه بتكرار اسم « جبرائيل » بين أفراد هذه الأسرة فلا يستبعد أن يكون اسم جد البختيشوعيين الأعلى « جبرائيل » أيضًا .

والجدير بالذكر فى هذا الصدد أن « كسرى أنوشروان » المتوفى سنة ٥٧٩ م قد اتخذ لنفسه طبيبًا من ديار الشام اسمه « جبرائيل درستاباذ »[5] . ومن المعروف أن أسرة البختيشوعيين تتناوب الاسم الواحد فيما بين أعقابها ، وعلى هذا فقد يكون « جبرائيل درستاباذ » ذا صلة نسب بعائلة البختيشوعيين أو هو نفسه رئيسها . ولقد نصب كسرى أنوشروان هذا الطبيب رئيسًا على أطباء بيمارستان جنديسابور ، ومن هنا يكون البختيشوعيون قد ثبتوا أقدامهم تمامًا فى صناعة الطب بهذه المدينة .

عرفت أسرة البختيشوعيين بشهرتها فى الطب والفلسفة . إلا أن الطب كان الغالب عليها ، وبقيت تمارسه بنشاط وذكاء دون انحراف عن خطه على مدى حياتها فى فارس والعراق . وتواصلت هذه الصناعة بين أبناء أسرة بختيشوع واحدًا واحدًا ، وخلف عن سلف ، فقد كان من خصائصهم أن يقصروا علمهم عليهم ولم تكن لهم رغبة فى أن يفضوا علمهم إلى الغرباء .

---

(٣) **عيسى إسكندر** : الأسر العربية المشهورة بالطب . بيروت سنة ١٩٣٥ ص ٦ .
(٤) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٠ .
(٥) **القفطى** : تاريخ الحكماء ص ٩٣ .

كان فى مدينة جنديسابور عدد قليل من الأطباء الهنود والفرس إلا أنهم كانوا بمستوى الأطباء السريان ، كما كان الطب اليونانى الذى يمارسه السريان هو السائد والمعتمد عليه فى الطبابة فى كل أطراف فارس منذ دخلها الطبيب اليونانى ديموسيدس الكروتونى[٦] تلبية لرغبة دارا الأول ٥٢١ – ٤٨٦ ق . م .

لقد ازداد انتشار الطب اليونانى بشكل خاص أثر دخول بعض الأطباء الأروام من الرها وأنطاكية إلى جنديسابور لذلك لم يتأثر البختيشوعيون بالطب المحلى الفارسى أو الهندى إلا بقدر قليل وبسيط انحصر فى بعض أسماء الأدوية النباتية التى كانت أصولها تنمو فى أراضى فارس تحديدًا ، بينما أدخلوا على المصطلحات الطبية الدارجة على لسان الفرس كثيرًا من التعابير السريانية واليونانية .

وقد كانت جل كتبهم الأولى تتشكل من مجاميع مؤلفات جالينوس التى ترجمها سرجيس الرأس عينى إلى السريانية وكان قد حملها إليهم السريان الاسكندرانيون أى تلاميذ مدرسة الاسكندرية بالإضافة إلى مجموعات أخرى من المترجمات أضافها هؤلاء البختيشوعيون وهى من صنع أفكارهم وبلغتهم السريانية .

أما تلاميذهم فكانوا خليطًا من شباب السريان كابن يوحنا بن ماسويه وأبيه يوحنا إبن ماسويه وعيسى بن شهلاثا[٧] . ويحتمل أن يكون ماسرجويه البصرى وسهل بن سابور بن سهل المعروف بكوسج ، وابنه سابور بن سهل ، وأبو الحكم الدمشقى ، وداود بن سرابيون الباجرمى ، وقلهمان (أو قهلمان) ، ودهنك الهندى .

وكذلك الحارث بن كلدة من تلاميذ البختيشوعيين أيضًا وقد انطلق هؤلاء الأطباء بعد تخرجهم من الصنعة يمارسون معارفهم فيها فى كثير من الحواضر الإسلامية ، فكانوا بذلك أول رسل الطب العلمى لا التقليدى إلى المشرق الإسلامى .

لقد كانت بغداد حين دخلها البختيشوعيون لأول مرة سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م قد بدأت تلمع بين الحواضر الإسلامية ، فقصدها الشعراء والعلماء والمنجمون والأطباء سعيًا وراء المال[٨] . ولكن كان لأطباء جنديسابور وعلى رأسهم البختيشوعيون المكانة

(٦) **ديموسيدس الكروتونى** : طبيب يونانى من مواليد كروتون بإيطاليا ، ينسب إليه تأسيس أول مدرسة طبية فى أثينا ، استقدمه دارا الأول إلى بلاده ليمارس الطب ويعلمه للناشئة .

مجلة المجمع العلمى العراق سنة ١٩٨٣ ص ٦٨ .

(٧) **القفطى** : تاريخ الحكماء ص ١٦٥ .

(٨) **مجلد المجمع العلمى العراق** سنة ١٩٨٣ مجلد ٧ ص ٧١ .

العليا بين هؤلاء جميعًا فى العلم والسلوك المهنى والحذق فى تطبيق الصنعة وصاروا أقربهم إلى الأمراء والخلفاء وربما كانوا الوحيدين من الأطباء الذين دخلوا حجر الحرائر وحظاياهم لتدبير أمورهن الصحية وعلاج المريضات منهن وهو امتياز مشرف بقدر ما فيه من المسئوليات والمواقف المحرجة . ولا يستبعد أن يكون لصلات القربى فى العرق والدين فيما بين المسلمين والسريان ما جعل الخلفاء والناس عامة يفضلونهم عن الأطباء الوثنيين من مجوس الفرس وبوذيي الهند ، على أن سلوك البختيشوعيين المهنى والشخصى ونوعية طبهم وكفاءتهم فيه كان له المقام الأول فى هذا الشأن . ونتيجة لهذا فقد اشتهر البختيشوعيون بتفرغهم لصناعة الطب وممارسته بتوسع والكتابة فى فنونه بكثرة ، كما اشتهروا بالفضيلة وعمل الخير .. وكذلك عرف آل بختيشوع بنجاحهم فى إرضاء الخلفاء وحسن رعاية صحتهم حتى صار هؤلاء يعتقدون أنهم أعرف الناس بأمزجة أبدانهم وأصلح لمداواتهم إذا انحرفت عافيتهم[٩] ، ففضلوهم على غيرهم من ممارسى الصناعة وبذلك نالوا من مخدوميهم ما لم ينله طبيب آخر فى زمانهم من المال الوفير والجاه العريض ، فكانوا يتباهون برفعة منزلتهم عند الخلفاء والعظماء فى الدولة العباسية . وكانت ثقتهم بمقدرتهم العلمية عالية جدًا حتى أنهم كانوا يرفضون أن يتساووا بغيرهم من الأطباء .

لقد كان أصل الطب عند آل بختيشوع يونانيًا بحتًا وكان أكثره يعتمد على أفكار جالينوس . فكانوا يعالجون المرضى بالصيام أو بتنظيم أوقات الطعام (الحمية) أو تغيير نوعه أو كميته ، أو يعالجونهم بالغرائر والمقيئات أو بالمسهلات أو بالحجامة والعضد ، وقليلاً ما كانوا يصفون الأدوية المركبة وذلك فى حدود ما تسمح لهم به قواعد المهنة . وإذا استطبوا إحدى العلاجات كانوا يضعون فى المقام الأول مزاج المريض وعمره ، والفصل من السنة ، والوقت من اليوم وموقع النجوم من الأبراج[١٠] .

وقد نجحوا فى ممارسة ذلك إلى حد بعيد وتمكنوا أن ينالوا ثقة مرضاهم من عامة الناس وخاصتهم على السواء .

ولما كان فى قصور الخلفاء والحكام أطباء آخرون من غير آل بختيشوع ، فإن المنافسة على إرضاء كبار المخدومين كانت قائمة ، فصار البختيشوعيون هدفًا لحسد زملائهم

---

(٩) ابن أبى أصيعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٨٥ .

(١٠) Muir : The Caliphates, p. 603.

أو عظماء حاشية الخليفة ، فكانت الفتن والدسائس فأبعدوا عن مواطنهم وصودرت أملاكهم فى كثير من الأحيان . ولكن كان الشفيع الوحيد لديهم هو كفاءتهم فى الصنعة التى كانت تنقذهم فى الوقت المناسب ليعودوا إلى خدمة الخلفاء بمزيد من الإعزاز والتكريم .

فكان آل بختيشوع - دون منازع - أول من حمل شعلة الطب اليونانى إلى بغداد ، ومن الأوائل الذين ترجموا الكتب اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية وألفوا فى الطب باللغة العربية أيضًا .

كانت اللغة الأم على لسان آل بختيشوع هى السريانية ، كما كانوا يعرفون اليونانية ثم تعلموا الفارسية . ولما شاعت اللغة العربية على لسان المثقفين فى جنديسابور تعلم البختيشوعيون هذه اللغة أيضًا على أنهم كانوا فى الغالب لا يتفاهمون فيما بينهم إلا باللغة السريانية .

وكان أشهر أطباء آل بختيشوع .

(١) جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع :

هو أول من عرفه العرب من أطباء أسرة بختيشوع وأول من دخل منهم إلى بغداد . وقد عاش جورجيوس فى صدر الدولة العباسية فقام بترجمة الكتب الطبية اليونانية إلى العربية فى ذلك العصر[١١] .

كان جورجيوس يرأس بيمارستان جنديسابور حين وصلته دعوة من بغداد فى سنة ١٤٨ هـ / سنة ٧٦٥ م ليعالج الخليفة أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى . وكان هذا التكليف - بالنسبة له - مثقلاً بالرهبة والمسئولية بالإضافة إلى ما يتبعه من مشاق السفر وأخطاره[١٢] . وكان جورجيوس يومئذ قد أسن وشاخ فقبل الدعوة مكرهًا واستصحب معه إلى بغداد من تلاميذه سرجيس وإبراهيم وعيسى بن شهلاثا[١٣] ليخففوا عنه غوائل الطريق ويهيئوا له ما يحتاجه من مأكل ومشرب على عادة ما كان يفعله التلاميذ - يومئذ - لشيوخهم الذين يتعلمون عليهم[١٤] .

---

(١١) **ماكس مايرهوف** : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥ .

(١٢) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe, V I, p. 96-98.

(١٣) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ١٢٤ .

(١٤) **مجلة المجمع العلمى العراقى** : سنة ١٩٨٣ مجلد ٧ ص ٧٣ .

وقد استطاع « جورجيوس » عند وصوله إلى بغداد وساعة مقابلته الأولى للخليفة المنصور وهو بهيئته الوقورة ، ولغته السليمة فى العربية والفارسية أن يكشف عما لديه من حكمة وخلق كريم رفيع ومقدرة عالية فى الطب ، فاستمال إليه الخليفة وكسب كامل ثقته به .

كما نجح جورجيوس أيضًا - بعد أن جس بنبضه وفحص قاروره بوله فى - إبرائه من الآلام التى كان يشكو منها فى معدته، فعينه الخليفة طبيبًا خاصًا به، وأحد ندمائه فى مجالسه العلمية ، وجعل له راتبًا شهريًا يقدر بحوالى ألفين من الجنيهات مضافًا إليها مثلها سنويًا لحجامة أمير المؤمنين .

وظل جورجيوس يخدم الخليفة المنصور لمدة أربع سنوات كان فى أثنائها يترجم - بطلب من الخليفة - كتب الطب والحكمة من اللغة اليونانية إلى العربية ولذا كان يتمتع بكل تقدير واحترام[15] . وأخيرًا أضناه العمر والعمل ، فوهنت عافيته ولزم فراشه فاستأذن الخليفة فى العودة إلى جنديسابور فودعه الخليفة بالإكرام والعطاء .

كان جورجيوس مثل كل آل بختيشوع صادقًا فى عقيدته وملتزمًا بشرائعها . فقد وهبه الخليفة ثلاث جوار ليقمن على خدمته حين علم أن زوجته لم ترافقه إلى بغداد ، فردهن جورجيوس بإصرار متعللاً بديانته التى لا تبيح تعدد الزوجات ، كما عرض عليه الخليفة أن يدخل دين الإسلام ففضل أن يموت على دين أمه وأبيه[16] .

وتوفى جورجيوس بجنديسابور بعد سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م بقليل وأنجب ولدًا هو بختيشوع بن جورجيوس .

وكان من أشهر مؤلفات جورجيوس الطبية :

(أ) كتاب الديابيطس :

فيه يوصى المصابين بهذا المرض بتناول الأطعمة المرطبة والمبردة كالأمخاخ والأدمغة ولحوم الحداء والقثاء والخيار والملوخية والخس وماء الشعير واللبن ، ومن الأدوية « دهن الورد » ، كما أوصى بدخول « الحمام الحوضى » وتمريخ الجسم بالسمن واستعمال الحقن المبردة .

---

(١٥) رفائيل بأبو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٥٠ .

(١٦) ابن أبى أصيعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٨٥ .

وكانت هذه التوصيات محور ماكتب الأطباء بعد ذلك ، كابن سينا وابن هبل البغدادى وغيرهما فى علاج هذا المرض .

(ب) كتاب كناش :

وضعه جورجيوس بالسريانية وترجمه حنين بن اسحق إلى العربية وفسره وعلق عليه تلميذه أبو عيسى مهاربخت . وفى هذا الكناش معلومات تطبيقية هامة فى قروح المعدة والأمعاء ، والدمامل والدبيلات ، وفى أعراض وتداوى الأمراض الحادة ، والحميات وأمراض الرحم وعسر الولادة وأمراض الطرق البولية .. وقد صارت هذه المعلومات من مصادر الرازى فى كتابه الحاوى فى الطب[١٧] .

(٢) بختيشوع بن جورجيوس[١٨] :

ولد بختيشوع فى جنديسابور ومنها تعلم الطب على أبيه وكان متفوقًا على أقرانه من التلاميذ فأنابه أبوه على إدارة البيمارستان مدة غيابه فى بغداد لمعالجة الخليفة المنصور ولكن حدث بعد وفاة الخليفة المنصور أن استخلف المهدى فعين له طبيبًا خاصًا هو « أبو قريش عيسى »[١٩] . وكان « عيسى » فى أول أمره عنينًا متعبدًا يعمل فى دق المواد العقاقيرية وفحص أبوال المرضى .. وقد حالفه الحظ مرتين حدث فى كليهما من فحص قارورة بول الخيزران [حين كانت مع زوجها الأمير المهدى بن أبى جعفر المنصور فى الرى] أن أبلغها أنها حامل بغلام فوضعت « موسى الهادى » ثم بعد عام واحد ٢٤٨ هـ / ٧٦٥ م وضعت هارون الرشيد . وهذا هو ما دعا الخيزران ألا تؤمن إلا بطب « عيسى » فأنعم عليه زوجها بلقب « أبى قريش » وخصه طبيبًا لبيته ، كما صار بعد ذلك طبيب الخليفة موسى الهادى . إلا أن أبا قريش « عيسى » فشل فى معالجة

---

(١٧) القفطى : تاريخ الحكماء ص ١٥٨ .

(18) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe, p. 98

(١٩) أبو قريش عيسى : هو طبيب المهدى وهو المعروف بعيسى الصيدلانى . وقصته مع الخيزران تدل على خداعه وادعائه لمهنة الطب . لقد تشكت الخيزران حظية المهدى وكانت من مولدات المدينة . وتقدمت إلى جاريتها بأن تخرج القارورة إلى طبيب غريب لا يعرفها . وكان أبو قريش بالقرب من القصر . فلما وقع نظر الجارية عليه عرضت عليه القارورة . فقال لها : لمن هذا الماء . فقالت له امرأة ضعيفة . فقال : بل للملكة جديدة عظيمة الشأن وهى حبلى بملك . وكان هذا القول منه على سبيل الرزق . فانصرفت الجارية من عنده وأخبرت الخيزران بما سمعت ففرحت بذلك فرحًا شديدًا . وقالت : ينبغى أن تضعى على دكانه علامة حتى إذا ما صح قوله اتخذناه طبيبًا لنا . وبعد مدة ظهر الحبل .

ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ١٢٧ .

سيده حين مرض ، فاستقدم له بختيشوع بن جورجيوس من جنديسابور إلا أنه لم يصل بغداد إلا قبل ساعات من وفاة الخليفة فلم ير بختيشوع أن من مصلحته أن يبقى فى بغداد بعد أن لمس تعلق الخيزران « بأبى قريش » واعتمادها الشديد عليه وخشى أن يثير وجوده بينهما مشاكل يكون فيها خاسرًا لا محالة[20] . أو أن بختيشوع لم يرضه أن يلحق بحاشية الخيزران تحت امرة « أبى قريش » الذى عرفه دائمًا « مدعيًا فى الطب ومتطفلا على الأطباء وكاذبًا فى تشخيص الجنين قبل ولادته ، فغادر بغداد إلى جنديسابور[21] .

جاء بعد « موسى الهادى » شقيقه هارون الرشيد فى سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م وكان مصابًا – على ما يبدو – « بالشقيقة » ، وهو مرض يتميز بشدة الصداع واضطراب النظر حتى لتكاد نوباته القوية أن تذهب بالبصر . ولم يفلح « أبو قريش » ولا غيره من أطباء الحاشية من إبرائه منه . فاستدعى له فى سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م بختيشوع ابن جورجيوس فى جنديسابور وهو الذى لا ترتاح له الخيزران « أم الخليفة » ولا طبيبها « أبو قريش » وكان الاستدلال بفحص البول لتشخيص المرض يومئذ من سمات الأطباء المتبسطين فى الصنعة ، وأبو قريش يحسب نفسه من هذه الفئة المتميزة بهذا الاختصاص . فرأى هارون الرشيد أن يمتحن طبيبه الجديد بختيشوع ، فأمر بإحضار بول « دابة » على أنه بول جارية ، وطلب من بختيشوع أن يستبين منه علة صاحبة ذلك البول . وربما كان هدف الخليفة من ذلك مقارنته « بأبى قريش » الذى كسب شهرته بهذا العمل . وقد يكون « أبو قريش » هو الذى اقترح على الخليفة أن يمتحن بختيشوع بهذه الطريقة التى يعتقد أنه يتقنها أكثر من غيره من الأطباء إلا أن بختيشوع اكتشف لون البول وقوامه ورائحته أنه لم يكن بول جارية ، بل ولا بول أى إنسان آخر ، وإنما هو بول دابة تتغذى بالشعير .

المهم فى هذه القصة أن بختيشوع استطاع أن يكسب ثقة الخليفة بعلمه وحسن تصرفه ، وصار طبيبه الخاص ورئيسًا لأطباء بغداد بأسرهم[22] .

توفى بختيشوع فى بغداد فى حدود سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م وأنجب ولدا هو جبرائيل ابن بختيشوع .

---

(٢٠) **ابن أبى أصيبعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٨٧ .

(٢١) **رفائيل بابو إسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٦٧ .

(٢٢) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ١٢٥ .

أهم أعماله :

(أ) كتاب الكناش المختصر :

فيه يبحث فى الأورام البلغمية ، والسل ومضاعفاته ، وأمراض المثانة ، واضطرابات المعدة ، وتدبير الأعصاب المقطوعة ، وأوجاع الظهر .

وأخذ الرازى الكثير من هذه المعلومات وأدخلها فى كتابه الحاوى فى الطب .

(٣) جبرائيل بن بختيشوع :

ولد جبرائيل فى جنديسابور على أكثر الاحتمالات.وقد يكون ولد فى بغداد .

أما نشأته فكانت فى بغداد حيث تعلم صناعة الطب على أبيه . ويبدو أنه كان يتنقل بين المدينتين قبل أن يستقر نهائيًا فى العاصمة العباسية التى صارت يومئذ تزخر بالأدباء والعلماء والأطباء فتفتح ذهن جبرائيل على آفاق جديدة فى دائرة الحياة ، وفى صنوف المعرفة التى لم يألفها آل بختيشوع فى جنديسابور[٢٣] .

وقد برع جبرائيل فى الطب وممارسته حتى اعترف أبوه « بختيشوع » بتفوقه عليه فى هذا الميدان ، وأشركه فى معالجة « جعفر بن خالد بن برمك » وزير الخليفة هارون الرشيد . ومنذ ذلك اليوم صار « جبرائيل » الطبيب الخاص للوزير جعفر ونديمه وجليسه على المائدة إذا أكل أو شرب[٢٤] . ورشحه هذا الوزير لمعالجة إحدى جوارى الخليفة التى أصيبت بحالة نفسية جعلتها عاجزة عن بسط يديها ؛ واستعصى أمرها على الأطباء . فلما استقدم لها جبرائيل سأله الخليفة قبل أن يفحصها عما يعرفه عن الطب فقال له باقتضاب : «أبرد الحار وأسخن البارد ، وأرطب اليابس وأيبس الرطب مما فى أعضاء البدن من اختلاف وانحراف عن الصحة». وكان هذا جواب من له إلمام شامل بلباب الطب وأصول بعلاج المرضى ، فأعجب الخليفة بجوابه وأذن له بفحص الجارية ومعالجتها[٢٥] . فاكتشف جبرائيل أنها مصابة بالهرع والاختلاج النفسى المفتعل ، واستأذن الخليفة إلى أن يدخلها إلى مجلسه ، فلما حضرت هجم دون سابق إنذار على ذيل ردائها كأنه يبغى أن يكشف عن ساقيها ، فما كان من الجارية إلا هرعت تثنى

---

(٢٣) أحمد عيسى : الأسر العربية الشهيرة بالطب ص ٧ .

(٢٤) Hitti : History of the Arabs, 4 ed , p. 314.

(٢٥) رفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٦٨ .

صلبها وتبسط يديها لتستر عورتها بثوبها . وبذلك عادت إلى حالتها الطبيعية وشفيت من علتها بسرعة أثارت الدهشة فى الخليفة والحاضرين معه . فأكرم الخليفة « جبرائيل » على ذلك وعينه رئيسًا على جميع الأطباء وطبيبه الخاص كما فوضه بتعليم الطب فى البيمارستان ببغداد .

وتقدم جبرائيل فى مراتب حاشية الخليفة وصار من جلسائه المفضلين عنده ، فلا يرد له طلبًا ولا يمنع عنه ما يريد . قال هارون الرشيد يومًا لجلسائه وهو فى معرض الثناء على جبرائيل كل من له حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأننى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى[٢٦] ، كما أغدق عليه الهدايا والرواتب والمخصصات العالية والضياع فى جنديسابور والشوش والبصرة والسواد وضواحى بغداد .

لقد كان هارون الرشيد بدينًا مفرطًا فى الأكل وتناول الشراب وكان إلى جانب ذلك مصابًا بالامتلاء الدموى إلا أن طبيبه جبرائيل اكتشف كيف يداوى صحته ، فلم يمرض وهو بتلك الحال طيلة خدمته له مدة خمسة عشر عامًا . وأمعن الخليفة جزاء ذلك بإكرام جبرائيل وتقديره.قال له يومًا وهما فى مكة المكرمة : « دعوت لك الله فى الموقف دعاء كثيرًا » . ولما بدا الاستغراب على أصحاب الخليفة مما قاله باعتبار جبرائيل من الذميين أسكتهم الخليفة بقوله : « صلاح بدنى وقوامه به ، وصلاح المسلمين بى فصلاحهم بصلاحه وبقائه » . فقالوا متراجعين : صدقت يا أمير المؤمنين[٢٧] .

وقد حدث ذات يوم فى « الرقة » أن أهمل هارون الرشيد وصايا جبرائيل فى المأكل والمشرب ، فسقط مغشيًا عليه فأسعفه جبرائيل وأنقذه من هلاك كاد يكون محتومًا . وحدث مثل ذلك مرة أخرى وهو فى « طوس » فلم تنفعه إسعافات جبرائيل وأدويته ، كما أنه افتقد طرق العلاج التى اتبعها جبرائيل مع الخليفة ، وانفرد بعلاجه على طريقته الخاصة ، إلا أن صحة الخليفة أخذت تتدهور من سيء إلى أسوأ حتى فاضت روحه وفارق الحياة وكان ذلك سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م[٢٨] .

كان جبرائيل بن بختيشوع يهتم بالطب اليونانى اهتمامًا عظيمًا وكذلك الفكر اليونانى فكان يعمل بمبادئه الطبية فى أغلب الحالات المرضية التى كان يتولى علاجها . وكان

---

(٢٦) **رفائيل بابو اسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٦٨ .

(27) **Palmer : Haroun El Rashid, p. 227.**

(٢٨) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٩٦ .

قدوته فى ذلك هو « جالينوس » الذى كان يعده أستاذه الأكبر ومن فرط ولائه لهذا الطبيب وتعلقه بأفكاره ، استأذن الخليفة هارون الرشيد عندما كان فى بلاد الروم فى إحدى الغزوات لتلك الديار ، أن يزور بيت جالينوس فى « سمرنا » التى لم تكن بعيدة عن معسكر الخليفة ، فأذن له وجهزه بألف فارس لتوصيله إلى المكان الذى يهدف إلى زيارته[٢٩] .

كان جبرائيل يطلب كتب اليونانيين فى كل مكان ، فهو أول من اكتشف كفاءة حنين بن إسحق العبادى[٣٠] فى ترجمة مؤلفاتهم إلى اللغتين العربية والسريانية وكان ذلك بعد عودة حنين من بلاد الروم والاسكندرية . فترجم « لجبرائيل » بعض كتب « جالينوس » إلى السريانية فأدهشت هذه الترجمات جبرائيل لما فيها من جودة العبارة ، والسلاسة اللغوية .

فصار جبرائيل يغدق عليه الثناء فى مجالس العلماء ولا يخاطبه إلا بـ « ياربن » حنين أى الأستاذ حنين .

كما كان لجبرائيل اجتهاد فى الفلسفة إضافة إلى العلوم الطبية ، وكان متتبعًا للأفكار اليونانية القديمة والمؤلفات التى تبحث فيها . وقد نشر كتاب البرهان لجالينوس فى كل مكان . وفى هذا الكتاب شذرات فى الطب لا غنى لمثل جبرائيل عن الاطلاع عليها ، فلم يعثر بعد طول عناء إلا على بعض ذلك الكتاب ، فترجمه له أيوب الرهاوى إلى اللغة السريانية . كما عثر حنين على بعض الأجزاء الأخرى فى دمشق وترجمها إلى السريانية أيضًا وبذلك حصل جبرائيل على كثير من كتاب البرهان .

ودامت خدمة « جبرائيل » لهارون الرشيد زهاء ثلاثة وعشرين عامًا ، وكان راتبه الشهرى مائة ألف درهم ومثلها لكل من عملتى فصد وشربتى مسهل فى السنة . هذا فضلاً عن الصلات التى لا تنقطع مناسباتها من الخليفة وأهل بيته ووزرائه .

وقد أحصى ما حصل عليه جبرائيل على خدماته فى بلاد الخليفة فكان يزيد على الثمانين مليونًا من الدراهم ، وهى ثروة طائلة ونادرة فى ذلك الزمان[٣١] .

وبعد وفاة هارون الرشيد التحق جبرائيل بحاشية الخليفة الأمين مدة خمس سنوات ،

---

(٢٩) أحمد عيسى : الأسر العربية الشهيرة بالطب ص ٨ .
(٣٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٩٨ .
(٣١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٩٩ .

ونال منه ما كان يناله من أبيه هارون الرشيد . فلما استقر الحكم للمأمون بعد مقتل أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م سخط على جبرائيل لأنه التصق بأخيه أيام نزاعهما على الخلافة وكاد يقضى عليه لولا شفاعة وزيره الفضل بن سهل ، فاكتفى بحجزه فى داره واتخذ « ميخائيل بن ماسويه » [زوج مريم أخت جبرائيل] طبيبًا له . ولم يكن هو وأخوه « يوحنا بن ماسويه] بمستوى جبرائيل فى ممارسته الصنعة ، كما لم يكن جبرائيل يرتاح إليهما أيضًا ، فاغتاظ أن يصبحا خلفًا له فى خدمة الخليفة .

فلما مرض المأمون سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م لم يوفق طبيبه « ميخائيل » ولا أخوه « يوحنا » فى تدبير صحته ، فاستدعى جبرائيل لهذه المهمة ، فأحسن علاج الخليفة حتى اكتسب العافية . فاستعاض الخليفة به عن طبيبه ميخائيل وصار طبيبه الخاص ، وأعاد إليه ما سلبته منه السلطة وزاد عليها كثيرًا من أفضاله[٣٢] .

كان المأمون شغوفًا بصنوف المعرفة ومنها الطب ويعقد لها مجالس للمناظرة والمقابلة بين العلماء ، ويعضد العاملين فيها ويشجعهم على البحث والتأليف فى اختصاصاتهم . فعمل له «جبرائيل» بضع كتب . وقد حظيت تلك الكتب برضا الخليفة وإعجابه ، وصار يحترم جبرائيل ويعظمه فلا يناديه إلا «بأبى عيسى» .

بقى جبرائيل بخدمة الخليفة المأمون ما بقى من حياته إلى أن فارقها فى سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ودفن بدير « مارسرجيس » بالمدائن فخلفه فى خدمة الخليفة ابنه بختيشوع بن جبرائيل[٣٣] .

أهم أعماله :

١ - رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب .
٢ - رسالة فى صناعة البخور كتبها للخليفة المأمون .
٣ - رسالة مختصرة فى الطب .
٤ - وصفات طبية نافعة كتبها للخليفة المأمون . وأكثر الاحتمال أن الوصفات العلاجية التى ذكرها الرازى فى كتابه الحاوى فى الطب فى الطحال وعسر التبول وتدبير حالات الديابيطس قد أخذها من هذا الكناش .

(٣٢) رفائيل بابو اسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٧٢ .
(٣٣) Wright : A Short History of Syrac Lileratute, p. 214.

(٤) بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع :

وصل «بختيشوع بن جبرائيل» إلى الخليفة المأمون بتوصية من أبيه «جبرائيل» . وكان أبوه قد اعتل ولم يقو على مرافقة الخليفة المأمون إلى بلاد الروم ، فرشح ابنة «بختيشوع» ليكون طبيبه فى تلك الرحلة .

وفى أثناء ذلك توفى « جبرائيل بن بختيشوع » فخلفه ابنه «بختيشوع» فى خدمة الخليفة وبرهن فى ذلك على كفاءته فى الطب ، فصار خير خلف لخير سلف فى هذه المهمة .

وقد اختفى أبناء بختيشوع فيما بين وفاة المأمون سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٣ م ووفاة الخليفة المعتصم بالله سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م وربما لم يكن له مرتبة بارزة فى بلاط الخليفة بوجود « سلمويه بن بنان » الذى كان يجله المعتصم عظيم الإجلال : فلا يناديه إلا بكلمة « يا أبى »[٣٤] ، كما كان سلمويه كاتبه فى توجيه الرسائل إلى عماله فى الأمصار[٣٥] .

وظهرت أخبار بختيشوع فى عهد الخليفة الواثق بالله وكان قد كسب رضاه ، ونال منه الإحسان والصلات الكثيرة لما كان يتصف به بختيشوع من شرف النفس والكفاءة فى الصنعة . كما كان يعرف عن الواثق بالله هو الآخر شغفه بمجالسة العلماء والأطباء لمتابعة منابع المعرفة وأصولها الأولى[٣٦] . وربما صار بختيشوع أقرب هذه الفئات إلى الخليفة وأبرزهم فى مجلسه ، فحسده الوزير ابن أبى داوود ومحمد بن عبد الملك الزيات « على منزلته السامية فى حضرة الخليفة[٣٧] بالإضافة إلى أنه كان وافر الثراء وكاملاً فى مروءته وبره بالناس ، فأغرى الخليفة بالسخط عليه فأمر بمصادرة أمواله وأملاكه وأبعاده عن سامراء إلى جنديسابور وذلك سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م[٣٨] . ولم يمكث بختيشوع هناك طويلاً حتى استدعى لتدبير علة الاستسقاء التى عرضت للواثق بالله ، إلا أن بختيشوع لم يصل سامراء إلا وكان الخليفة قد فارق الحياة . وكان ذلك فى سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م .

---

(٣٤) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe. Vol I p 220

(٣٥) **ابن أبى أصيعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٣٤ .

(٣٦) **المسعودى** : مروج الذهب ص ١٧٤ .

(٣٧) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٧٢ .

(٣٨) **ابن أبى أصيعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٠٢ .

وحسن حال بختيشوع بفضل الخليفة المتوكل على الله[٣٩] الذى تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ / ٨٧٤ م ، فأرجع إليه كامل ما أخذته منه السلطة بأمر الواثق بالله ، كما قربه المتوكل إليه وأكثر من مدحه فى حضرة جلسائه[٤٠] . وحدث أن مرض ابنه « المعتز بالله » وامتنع بإصرار عن تناول الدواء لمعالجة الحمى التى أصابته ، فقلق عليه أبوه « المتوكل على الله » وخاف على حياته ، فتحايل بختيشوع على «المعتز» حتى صار يتناول الدواء من يده ، فكان المتوكل على الله يذكر ذلك لبختيشوع بكثير من الامتنان والثناء[٤١] . فأغدق عليه المال والهبات مما لم يحصل عليه وعلى مثله طبيب آخر فى زمانه . وأصبح بختيشوع يلبس ما يلبسه المتوك ، ويجلس إلى جانبه ويسكن قصرًا فخما .

ويبدو أن الخليفة استنكر عليه ذلك ، وربما شك فى شرعية ما يمتلكه ، فصادر كل ما عنده من مال وعقار ونفاه إلى دار السلام ، ثم اضطر أن يستدعيه إلى السامراء ليعالجه حين أصيب بالقولنج وأرجع إليه ممتلكاته التى سبق أن سلبها منه .

لقد كان الخليفة المتوكل - على ما يبدو من معاملاته لأفراد حاشيته وأطبائه - غريب الأطوار ، سريع الانفعال ، وينصت للوشاة باهتمام ، ويغضب لأخبارهم دون مبرر . فعاقب بختيشوع مرة أخرى ، وأبعده إلى البصرة بتحريض مّن ابنه المنتصر بالله الذى كان هو نفسه يتآمر على قتل أبيه المتوكل .

ولما استخلف « المستعين بالله » استدعى بختيشوع من البصرة إلى السامراء ليكون طبيبه ، وأعاد إليه حقوقه ، وأبقاه فى خدمته حتى وفاته سنة ٢٥١ هـ / ٨٦١ م . كما خدم بختيشوع من بعده الخليفة المعتز بالله والمهتدى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

لقد كان بختيشوع بن جبرائيل أكثر أطباء زمانه فى ممارسة الصنعة بالطريقة التقليدية ، كما كان أكثرهم إيمانًا بوجود علاقة غير منظورة بين الانسان وكواكب السماء ، وأن

(٣٩) **المتوكل على الله** : هو الخليفة العاشر كان متقلبًا يتبع الهوى أراد أن ينقل عاصمته من بغداد إلى دمشق فلم يستطع تحمل برد الشام فرجع واضطهد المعتزلة [٨٢٢ - ٨٦١م]
ابن أبى أصيبعة عيون الأنباء ص ٢٠١ .

(٤٠) **رفائيل بابو اسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٧٣ .

(٤١) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٧٥ .

صحته مرتبطة بها وتحت حكمها ، فكان يفضل علاج القولنج بالحقن حين يكون القمر متصلاً بالذنب ، كما كان يوصى بشرب الدواء حين يكون القمر بمناظرة الزهرة .

ويحتمل أن بختيشوع كان له معرفة برصد النجوم وخبرة فى تطبيق أحكامها ، فلا يلجأ فى ذلك إلى من يختص فى ممارستها من المنجمين . فكان من لا يؤمن بالنجوم آنذاك يعد جاهلاً أو شخصًا يستحق العطف عليه وتعليمه هذه الصناعة الحيوية وقد توفى بختيشوع بن جبرائيل فى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م وله ولدان عبد الله بن بختيشوع ويوحنا بن بختيشوع[٤٢] .

أهم أعماله :

(١) رسالته التى أملاها للمأمون بطلب منه فى تدبير الأبدان .
(٢) كتاب فى الحجامة على طريق المسألة والجواب .
(٣) مختصر بحسب الإمكان فى علم الأزمان والأبدان .
(٤) نبذة فى الطب .
(٥) نصائح الرهبان فى الأدوية المركبة .

(٥) جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع :

كان أبوه – عبيد الله – يميل إلى الأدب دون العلوم الطبية وذلك على غير عادة آل بختيشوع ، فاستخدمه الخليفة المقتدر [المتوفى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٥٥ م] كاتبًا فى ديوانه .

ولكن مما يبدو أن الخليفة لم يرض عنه كل الرضا ، فأمر بمصادرة ممتلكاته ليلة وفاته . فأخذت زوجته ما فى بيتها من خفيف الحمل ، وغالى الثمن وغادرت بغداد إلى « عكبرا » وهناك تزوجت طبيبًا ، وبعثت بابنها الطفل جبرائيل إلى أعمامه فى « داقنوفا » ليتكفلوا بتربيته .

ولما توفيت والدته استولى زوجها الطبيب على جميع ميراثها وحرم منه ابنها جبرائيل الذى انتقل بعد هذا من بيت أعمامه إلى بيت أخواله « بنى الجرسون » فى دار الروم ببغداد .

---

(٤٢) رفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٧٥ .

وحاول هؤلاء أن يثنوا جبرائيل عن تعلم الطب ، وأن يعمل مثل ما يعملون لكسب العيش فأبى بإصرار إلا أن يتعلم الطب صناعة أجداده .

قام جبرائيل بملازمة أحد أطباء الخليفة المقتدر بالله ويدعى « ترمذة »[٤٣] . ثم التحق بحلقة « يوسف الواسطي » فى البيمارستان المقتدرى ليتدرب على تطبيق نظريات الصنعة ، فلما أتقنها اتخذ له حانوتًا يستقبل فيه المرضى .

وحدث أن كان من بين زبائنه موسر من أهل « كرمان » فأحسن استقباله ودبر معالجة جاريته بشكل محمود ، فذاع خبر جبرائيل فى جودة التطبيب بين الناس ، وبات أخيرًا من الأطباء البارزين فى حاشية الخليفة ، وصار الأمراء والملوك يطلبونه فى كل مكان مما اضطره إلى الإكثار من الأسفار .

كما كان من زبائنه أيضًا عضد الدولة البويهى فى شيراز وخاله الأمير « كولين » والى فورفت ، والصاحب بن عباد ، وملك الديلم خسروشاه بن مبادر فى الرى ، وحسام الدولة المقلد (من بنى عقيل فى الموصل) .

وهذه المجموعة من الزبائن وعلى رأسهم الخليفة العباسى هم أغنياء الناس وأثرياؤهم وحكامهم فى تلك الأيام . لقد خدم جبرائيل فى الطب سبعة من الخلفاء العباسيين ابتداء من المقتدر بالله [المتوفى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م] وحتى الخليفة الطائع لله [المتوفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م] .

ويبدو أن جبرائيل بن عبيد الله كان شغوفًا بمهنته حريصًا على مصالح من يعمل بها من الأطباء ، ومن يخضع لها من المرضى . ففتح باب التدريس على مصراعيه فى البيمارستان العضدى ، كما استطاع بعلاقته مع الخليفة والملك البويهى أن ينيط شئون الطب والأطباء فى البيمارستان بأحد الأطباء المتقدمين فى الصنعة . وكانت هذه الوظيفة قبل ذلك من اختصاصات الحاسب ، وهى فى العادة لم تكن من اختصاص ذوى المهنة الطبية[٤٤] .

كان جبرائيل يعمل طبيبًا مقيمًا يومين وليلة فى الأسبوع فى البيمارستان العضدى ، وكان راتبه على هذه الخدمة ثلاثمائة درهم .

---

(٤٣) يطلق عليه القفطى اسم « هرمزد » أخبار الحكماء ص ١٠٢ .
(٤٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٠٤ .

ويبدو أن جبرائيل كان متدينًا وملتزمًا بسنن شريعته ، فشد الرجال حاجًا إلى بيت المقدس ، وصام بها يومًا ثم رجع إلى بغداد .

وكانت عيشة جبرائيل هنيئة مرفهة ، ويخطب وده أكابر الناس وحكامهم ، وخصوصًا بعد أن التحق بحاشية عضد الدولة البويهي . فلما توفى هذا الملك فى سنة ٣٧٣ هـ / ٨٨٣ م خشي الدسائس والتهم التى التصقت بجده بختيشوع بن جبرائيل ، فانصرف إلى القراءة والتأليف ، وقضى ما يزيد على اثنتين وعشرين سنة من أخر حياته فى ميافارقين حتى توفى سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م وله ولد هو عبيد الله بن جبرائيل[٤٥] .

أهم أعماله :

(١) رسالة فى عصب العين .
(٢) الكناش الصغير .
(٣) الكناش الكبير الكاف وهو خمس مجلدات أكمل المؤلف كتابتها بعد وفاة الصاحب بن عباد ، مع ذلك رسمها باسمه الكافى[٤٦] .
(٤) مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة المعدة ، والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى الحجاب الحاجز Diaphragm وكان وضعها «لخشروشاه بن مبادر» ملك الديلم الذى كان مصابًا بهذا المرض .

(٦) عبيد الله بن جبرائيل :

هو حفيد عبيد الله بن بختيشوع وكنيته « أبو سعيد » ولد ونشأ فى ميافارفين ، إلا أنه لم ينقطع عن النزول إلى بغداد والعمل فى البيمارستان العضدى الذى شارك أبوه فى تنظيمه ، وقد درس الطب على والده حتى برع فيه . كما كان عبيد الله ذا حظوة من صاحب ميافارفين الأمير « نصر الدولة المروانى الدوستكى » التى استمر يحكمها من ٣٧٢ - ٤٧٨ ه / ٩٨٢ - ١٠٨٦ م .

شغف « أبو سعيد » بصنوف من المعرفة إضافة إلى الطب الذى كان اختصاصه الأول والغالب على أعماله . فدرس التاريخ وتحليل الأحداث للوقوف على حقيقة وقائعها ، كما كان جيد المعرفة بعلوم النصارى ومذاهبهم .

(٤٥) الزركلي : معجم الأعلام جـ ٢ ص ١١١ .
(٤٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢١٤ .

كان عبيد الله هو الذى أثبت أن جالينوس قد جاء بعد ما يزيد على القرن من ميلاد المسيح ، وكان الاعتقاد أنهما عاشا فى زمن واحد ، كما سجل أبو سعيد تأريخ المستشفى العضدى وتاريخ الأطباء البختيشوعيين الذين سبقوه . وكانت هذه المعلومات من مصادر ابن أبى أصيبعة فيما كتبه عن تاريخ الطب القديم والطب العربى فى زمن الدولة العباسية ، وتأريخ البيمارستان العضدى وتأريخ الأطباء البختيشوعيين فى خدمة الخلفاء التى كتبها « أبو سعيد » زودتنا بصورة واضحة للفكر الطبى فى بغداد فى تلك الحقبة[٤٧] .

كان التقليد إلى أيام « أبى سعيد » أن يكون الطب تابعًا للفلسفة ، وأن يكون الطبيب فيلسوفًا أولاً ثم يدرس الطب ليمارسه على القواعد الفلسفية والطبية معًا ، ومن لم ينخرط من الأطباء فى سلك الفلاسفة ويدرس آراءهم الحكمية ، فتنقصه لباب المعرفة فى الطب والتطبيب ، وسمى لهذا السبب متطببًا . أما لقب الطبيب فهو من امتيازات الفلاسفة الأطباء وهذا التقليد من رواسب الموروثات اليونانية التى تبناها أكابر الأطباء العرب . وبالرغم من أن « أبا سعيد » من زهرة فلاسفة ذلك العهد إلا أنه أدرك بنظرته العملية أن ارتباط الطب بالفلسفة يؤخر سيرة هذه الصناعة ، فرأى أن يفصم العلاقة التى بينهما ويحرر الطب من نفوذ الفلسفة ويجعله كما يجب أن يكون فنًّا تطبيقيًّا قائمًا بذاته ، ودعا إلى دراسة على المرضى فى البيمارستان لا فى مدارس الفلسفة .

وقد عبر « أبو سعيد » عن هذه الأفكار فى رسالته التى أسماها « وجوب النظر على الطب فى الأحداث النفسانية » وقد نشرت هذه الرسالة حديثًا باسم جديد هو « رسالة فى الطب والأحداث النفسانية » .

توفى عبيد الله فى ميافارقين سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م وأعقب ولدًا هو «سعيد بن عبيد الله» ومما يظن أنه لم يمتهن مهنة الطب[٤٨] ولكن يذكر الزركلى أنه توفى سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م .

أهم أعماله :

(١) تذكرة الحاضر وزاد المسافر .
(٢) تفسير كتاب تحريم لفن الأحياء لجالينوس .
(٣) كتاب التواصل إلى حفظ التناسل .

---

(٤٧) أغناطيوس يعقوب الثالث : الحقائق الجلية فى الأبحاث التاريخية والآداب الفلسفية دمشق سنة ١٩٧٢ ص ٨٦ .
(٤٨) رفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ٢١٤ .

(٤) كتاب الروضة الطبية وهو مختصر تذكرة الحاضر وزاد المسافر ويوجد فيه كثير من المصطلحات الطبية والفلسفية .
(٥) كتاب طب الأخلاق .
(٦) كتاب طب النفس ومداواة الأخلاق .
(٧) كتاب مناقب الأطباء وذكر فيه شيئًا عن مناقبهم وأحوالهم سنة ٤٢٣ هـ .
(٨) مقالة فى حركة النفس .
(٩) كتاب نوادر المسائل وهو مقتضب من علم الأوائل فى الطب .
(١٠) كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها .

(٧) يوحنا بن بختيشوع بن جبرائيل :

التحق يوحنا بن بختيشوع بخدمة الأمير الموفق طلحة بن الخليفة المتوكل على الله ، وكسب ثقته واعتماده عليه بحكمته ، وطيب صحبته وحسن تطبيبه حتى صار أقرب الأطباء إليه ، وأكثر من يرتاح إليه منهم ، وكان بذلك يدعوه « مفرج كربى »[٤٩] . كان الموفق طلحة شخصية قوية وشجاعة ، وصاحب أمر مطاع إلى جانب أخيه المعين على الله الذى ألهته الملذات ومجالس اللهو .

كان يوحنا يجيد اللغتين السريانية واليونانية وينقل عنهما إلى العربية .

أما طريقته فى التطبيب فكان يمازجها بدلائل العلوم وأحكامها ، وله فى هذا الموضوع كتاب فيما يحتاج إليه الطب من علم النجوم .

الأرجح أن يوحنا توفى فى سامراء قبل أن تنتقل الخلافة منها إلى بغداد .

فقد توفى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م .

(٨) بختيشوع بن يوحنا بن بختيشوع :

من الأطباء الكثيرين الذين خدموا الخليفة المقتدر بالله العباسى[٥٠] .

كان هو وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحرانى من أخص الأطباء به . نال الهبات الواسعة والنعم الوافرة والإقطاعات الكثيرة ، وخدم بعد ذلك ، كما خدم الخليفة الراضى

---

(٤٩) **الزركلى** : معجم الأعلام جـ ٨ ص ٥٠٩ .
(٥٠) **هو الخليفة العباسى الثانى عشر** وتولى الخلافة وعمره ١٣ عامًا وانحطت الدولة فى أيامه .

ابن المقتدر . ومن بعده خدم هو والمتطببان « أنوش وعلى بن الراهبة » الخليفة المتقى بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م .

(٩) على بن ابراهيم بن بختيشوع :

هو حفيد بختيشوع بن يوحنا ولم يكن أبوه إبراهيم بن بختيشوع من الأطباء .

عاش ابنه على كفر طاب بسوريا وإليها ينسب . كما دخل مصر فى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ومارس الطب فيها .

ويبدو أنه كان يطبب عامة الأمراض إلا أنه لم يكتب إلا فى طب العيون .

له كتاب فى طب العين وأشكالها ومداواة عللها[٥١] .

---

(٥١) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين ص ١١ .

ثانيا : عائلة حنين

١ - حنين بن اسحق

هو حنين بن إسحٰق العبادى نسبة إلى « عبّاد » وهم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس ، نزلوا بالحيرة واعتنقوا الديانة المسيحية ، وبقوا فيها منتسبين إلى كنيسة المشرق النسطورية[٥٢] . وكانت الحيرة عاصمة اللخميين أيام رئاسة « عمر بن عدى اللخمي » وذلك منذ منتصف القرن الثالث الميلادى حتى الفتح الإسلامى[٥٣] . وكانت تسمى بالسريانية « » بمعنى الحصن أو المعسكر أو الدير وهى مدينة قديمة تقع جنوب العراق وسميت بحيرة النعمان أو حيرة المنذر[٥٤] .

ولقد ولد « حنين بن اسحق » الملقب « بأبى زيد » فى الحيرة فى العصر الذهبى من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية أى سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م[٥٥] .

ولد فى الحيرة من أب عربى ينتسب إلى قبيلة « عباد » وكان الأب يعمل صيدلانيًا . وبالرغم من وضوح الانتماء الطبقى له فإنه لم يكن من الطبقة الحاكمة التى تتكلم العربية[٥٦] .

وعلى الرغم من أنه ليس هناك الكثير عن سيرة حنين فى مقتبل حياته ، إلا أن المؤرخين يؤكدون أن « حنينًا » كان شماسًا إذ كان يلبس الزنار على عادة النصارى فى تلك الفترة والزنار بالسريانية (الحزام)[٥٧] .

---

(٥٢) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٤ .

(٥٣) **رفائيل بابو اسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٨٧ .

(٥٤) **يوسف رزق الله غنيمة** : الحيرة - بغداد سنة ١٩٣٦ ص ٢٨ .

(٥٥) **د . يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٢٥ .
تتفق المصادر كافة على أنه ولد ونشأ بالحيرة .
ولكن يخالف هذا الرأى كل من :
الشهرزورى : نزهة الأرواح وروضة الأفراح ص ٢٠٧ .
البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٦ .
إذ يذكران أنه بغدادى المولد ونشأ بالشام .

(٥٦) **أوليرى** : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٢١٨ .

(٥٧) هو حزام يلبسه عادة الرهبان والقسس المسيحيين ، ويقيم السريان الغربيون احتفالاً بهذا اليوم ويسمى عيد الأحزمة ويسمى
Payne Smith : p. 113.

كان حنين بن اسحق منذ صغره يتكلم السريانية لغة كنيسته ووطنه ، ثم نزح إلى البصرة التى تكونت فيها من قبل المدرسة النحوية المشهورة واستطاع أن يتزود بزاد اللغة العربية[٥٨] ، وما لبث أن برع فى كلتا اللغتين[٥٩] .

تشير الروايات إلى أن تعلمه « لغة الضاد » كان على يد « الخليل بن أحمد » . ويبدو أن أول من جاء بهذه الرواية هو « ابن جلجل » ونقلها عنه الآخرون دون تمحيص ، وذلك لأن « الخليل بن أحمد » مات سنة ١٧٥ هـ أى قبل ولادة حنين [قبل ميلاد حنين بحوالى عشرين عامًا][٦٠] .

لقد أتقن حنين بن اسحق أربع لغات هى العربية والسريانية والفارسية واليونانية ، ووقف على معظم ما ألف منها من كتب ورسائل تتناول الموضوعات التى كان يعنى بها خاصة ، واستخرج كتبًا كثيرة من اليونانية إلى السريانية والعربية . فقد جمع بين ثقافات أشهر الأمم القديمة ، وأقتنى مجموعة كبيرة من المؤلفات الموضوعة فى لغات تلك الأمم[٦١] . وبذلك انصرف إلى الترجمة فى ميعة صباه[٦٢] . لقد ترجم من اليونانية والسريانية ويقال أنه ألم بالفارسية أيضًا ولكن لم ينسب إليه شيء يترجم عنها .

ومما يدلنا على براعة حنين فى هذه اللغات هو ما خلفه لنا من مصنفات يظهر من خلالها معرفته التامة باللغات ففى مجال أسماء العقاقير نرى أن حنينًا – فى بعض الأحيان – كان يضع للمصطلح اليونانى فى اسم عقار ما يقابله بالعربية والفارسية والسريانية ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مهارته فى معرفة مفردات تلك اللغات من جهة ، وعلى تمكنه من المادة التى هو قائم على ترجمتها إلى اللغتين السريانية والعربية من جهة ثانية[٦٣] .

أراد حنين أن يدرس – مثل أبيه الذى كان صيدلانيًا – الطب والصيدلة ، فانتسب إلى أكاديمية الطب المشهورة فى جنديسابور [خوزستان من أعمال فارس] . وكان هذا

---

(٥٨) د . يوسف حبى : مهرجان أفرام وحنين ص ٣٤٣ .
(٥٩) مجلة – العدد الأول سنة ١٩٧٣ ص ١٦ .
(٦٠) آثار حنين بن إسحق ص ٥ .
(٦١) د . يوسف حبى : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٩٢ .
(٦٢) آثار حنين بن اسحق ص ٩ .
(٦٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٤ .

المعهد قد أنشأه « سابور الثانى » أحد ملوك « بنى ساسان » فى أوائل القرن الرابع الميلادى(٦٤) .

وكان أستاذ حنين فى هذا المعهد هو « يوحنا بن ماسويه » ولما كان حنين – إذ ذاك – صاحب سؤال ودائم المعارضة فيما يسمعه ، فكان لا يروق ليوحنا ذلك الموقف . ففى إحدى المرات نهره يوحنا وهزأ به قائلاً : ماذا يصنع أهل الحيرة بالطب ؟ وطرده من حلقة الدرس(٦٥) . فقد كان حنين من أبناء الصيارفة من أهل الحيرة وكان أهل جنديسابور وخاصة متطببيها يتباعدون عن أهل الحيرة ويكرهون أن يدخل فى صناعتهم أبناء التجار(٦٦) .

وقد أدى به هذا الموقف إلى التمسك بموقفه وإصراره على تعلم الطب بل والتفوق فيه .

ومما هو جدير بالذكر أنه يبدو أن هناك أسبابًا دفعت حنين إلى عالم الطب .

أولاً : كون أبيه صيدلانيًا : إذ مما لا شك فيه أن مهنة الطب قد أثرت بشكل أو بآخر فى توجيه الابن نحو مهنة الطب وقد يكون الأب هو الذى وجه ابنه تلك الوجهة(٦٧) .

ثانيًا : هو سبب نفسى ساعد على ذلك التوجيه ، هو أن حنينًا بدأ يتلقى الدروس العلمية على يد يوحنا بن ماسويه فحدث ما حدث من أستاذه وإهانته له فاشتعل فيه العزم والتصميم على أن يتفوق فى مهنة الطب .

ثالثًا : الرغبة فى التقرب إلى البلاط . فمن الواضح أن الطب قد نال شهرة واسعة فى ذلك الحين حتى أصبح الموضوع المفضل فى الثقافة العلمية . لذا كان شائعًا أن نرى الكهنة النسطوريين المونوفيزيين فى آسيا يتعلمون الطب بشوق أشد من شوقهم إلى الآداب الكنسية . وكان أول اتصال لأسرة من النساطرة ببلاط الخليفة سنة ٧٦٥ م حين استدعى البلاط الطبيب جورجيوس بن بختيشوع رئيس الأكاديمية فى جنديسابور ورئيس مستشفاها لمعالجة المنصور .

---

(٦٤) **Browne** : Arabian Medecine p. 24.

(٦٥) **د . يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٣٥٧ .

(٦٦) **جورجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى جـ ٣ ص ١٦٣ .

(٦٧) **أحمد أمين** : ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٨٣ .

لما كان الطب هو الشغل الشاغل لحنين فى بداية حياته لم ييأس بل رحل إلى بلاد الروم [بيزنطة] حيث عكف على دراسة اللغة اليونانية وآدابها لمدة عامين حيث أجادها ووصل به الحال أن حفظ أشعار هوميروس(٦٨) .

وبذلك استطاع أن يستقى العلوم الطبية من أساطينها الأصليين وهم أبقراط وجالينوس وديسقوريدس .

كان حنين طبيبًا بارزًا بين أقرانه من أطباء عصره ، فإن خبرته ودرايته فى هذا المجال هى التى أوصلته إلى تلك المنزلة الرفيعة التى كان يتمتع بها(٦٩) .

فكان حنين – كما يتبين لنا من دراسة ما خلفه لنا من مصنفات – يعتمد على التجربة والبرهان فى إثبات آرائه وفحوصه الطبية . وكانت بحوثه فى هذا الحقل أعظم دليل على أن حنينًا كان خبيرًا إلى أبعد الحدود بتراكيب الجسم « جسم الإنسان » الداخلية كخبرته بتراكيبه الخارجية(٧٠) . كما كان بارعًا فى صناعة الأدوية وحسن النظر فى صناعة المعالجة ويبدو أن حنينًا قد انصرف إلى الترجمة أكثر من انصرافه إلى الطب بدليل وجود أطباء آخرين يعتمد عليهم البلاط ، ولكن ذلك لا يمنع على أية حال من القول بأنه كان بارزًا فى عالم الطب .

عاد حنين إلى بغداد ودخل فى خدمة جبرائيل بن بختيشوع [المتوفى سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م] كبير الأطباء فى بلاط المأمون .

ولكن حنينًا لم يستطع خلال هذه الفترة أن يحقق منزلة مرموقة عند الخليفة ، إلا أن هذه الفترة كانت بمثابة مرحلة الإعداد لمستقبله كرئيس لمركز الترجمة فى بيت الحكمة(٧١) .

لقد بدأ حنين بترجمة بعض مؤلفات جالينوس ، كما أعجب جبرائيل بن بختيشوع بترجماته . فعرفه « بأحمد ومحمد وحسن » أولاد موسى بن شاكر وكان الثلاثة يرعون النشاط العلمى وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات إلى بغداد(٧٢)

(٦٨) أوليرى : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٢١٨ .
(٦٩) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين ص ١٤ .
(٧٠) Leclerc : Histoire de la Medecine ARABE Vol. I p. 222
(٧١) O'Leary : The Translators, Chapter IV, p. 105.
(٧٢) الدوميلى : العلوم عند العرب ص ١٢٦ .

التى كان لها الأثر الأكبر فى التطور الحضارى إذ ترجمت العديد من الكتب العلمية والفلسفية إلى العربية[٧٣] فقام هؤلاء بتقديم حنين إلى الخليفة المأمون . وبعد وفاة المأمون تدهورت المؤسسة بسبب الاضطرابات السياسية فأغلقت . غير أنها انتعشت ثانية فى عهد المتوكل الذى كان يشجع الحركة العلمية فأعيد فتحها وخصصت لها المساعدات المالية لمزاولة أعمالها ، وكان يعمل مع حنين فيها عدد من المترجمين . ويبدو أن أحسن الترجمات وأتقنها تمت فى عهد المتوكل لأن خبرة المترجمين العاملين مع حنين ازدادت وصقلت[٧٤] . ولم يكتف حنين بما جمع فى بيت الحكمة من كتب فرحل فى نواحى العراق وسافر إلى الشام والإسكندرية وبلاد الروم يجمع الكتب النادرة ويضيفها إلى مكتبة بيت الحكمة[٧٥] .

وبعد وفاة المأمون عين « سلمويه بن بنان النصرانى » رئيسًا لأطباء المعتصم بالله [٢١٨ / ٢٢٧ هـ] وذلك بوفاة جبرائيل بن بختيشوع وتولى ابنه بختيشوع المتوفى سنة ٢٥٧ هـ] الذى عالج المأمون وأصاب عنده مكانة . ومما لا ريب فيه أن حنينًا ظفر فيه بصديق قوى استظل بحمايته ، وترجم له خاصة ثلاثة عشر كتابًا من أهم كتب جالينوس وأصاب مثل هذه الحظوة عند الواثق بالله [٢٢٧ - ٢٤٢ هـ] الذى كان يعظم العلماء ويعشق محادثاتهم . وكان حنين خلال ذلك قد ترجم قدرًا من كتب جالينوس وغيرها من الكتب الطبية والفلسفية عن اليونانية .

ولقد قام حنين برحلات طويلة جاب فيها أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر والإسكندرية سعيًا وراء الحصول على المخطوطات العلمية اليونانية .

وكان الخليفة وكبار رجال البلاط يدفعون نفقات هذه الرحلات وأثمان الكتب النادرة ، وغنى عن البيان أن كبار رجال البلاط كانوا هم أنفسهم من جلسة العلماء المبرزين فى حلبة المعرفة .

وفى عهد المتوكل بلغ حنين قمة مجده كمترجم ومتطبب ولكنه لم يسلم من نزوات الخلفاء فكان إن دخل السجن وسبب ذلك ما ترويه المصادر أن المتوكل طلب منه إعداد سم لأعدائه فرفض حنين ذلك .. وتقول تلك المصادر أن المتوكل إنما طلب ذلك للتأكد

---

(٧٣) أحمد فريد : عصر المأمون جـ ١ ص ٣٧٧ .

(٧٤) أوليرى : الثقافة الإغريقية ص ٢٢٢ .

(٧٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٨٤ .

من عدم وجود مؤامرة يعدها له الروم عن طريق حنين ، وأن حنينًا رفض ذلك لأن التقاليد الطبية والتعاليم الدينية تمنعه من الإضرار بالناس[٧٦] .

ثم أفرج عن حنين و لم تمض فترة قليلة حتى دخل حنين السجن مرة ثانية وصودرت أملاكه وكتبه .

ومن الواضح أن حسد الأطباء الآخرين هو الذى أودى بحنين إلى السجن . ومما يؤيد ذلك أن الخليفة قد أطلق سراحه بعد أربعة شهور وأمر أطباء البلاط أن يدفعوا له تعويضًا قدره عشرة آلاف درهم وأعيدت إليه ممتلكاته ومكتبته .

وتشير المصادر أن السبب فى دخوله السجن مرة ثانية ربما كان الاعتقاد الدينى . يرى أوليرى بأن الرواية التى تذكر عن سبب سجن حنين ثانية غامضة ولكنها تحتوى على صدى المجادلة حول تقديس الصور الأمر الذى كان يقلق الكنيسة الشرقية[٧٧] . بقى حنين فى السجن حوالى ستة أشهر وأطلق سراحه بعدها وأعيد إلى منصبه إلا أنه كما يبدو تعلم تجربة مريرة من خلال محنته هذه فآثر العزلة والانصراف إلى بحوثه وترجماته الخاصة ، هذا بالإضافة إلى أن وضع البلاط وسيطرة الأتراك الذين لم يكونوا ليفهموا شيئًا من نشاط حنين العلمية والأدبية دفع صاحبنا إلى الابتعاد أكثر فأكثر عن حياة البلاط والحياة الرسمية .

ترجم حنين بن اسحق فى مختلف المجالات، ولما كان الرأى الشائع آنذاك هو أن يكون الطبيب فيلسوفًا ، فقام حنين بالترجمة فى المنطق والفلسفة .

انصرف حنين إلى الترجمة أو النظر فى ترجمات الآخرين مثل اصطفن بن باسيل[٧٨] وموسى بن خالد الترجمانى ، «ويحيى بن هارون» وتصحيحها . وتختلف الروايات فى نسبة بعض المؤلفات إلى حنين فمما يذكره ابن النديم أن من سعادة حنين أن ما نقله حبيش ابن الحسن وعيسى بن يحيى[٧٩] وغيرهما إلى العربى ينحل إلى حنين[٨٠] . فقد

---

(٧٦) **القفطى** : تاريخ الحكماء ص ١٧٦ .

(٧٧) أوليرى : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٢٢٣ .

(٧٨) **اصطفن بن باسيل** : هو أحد الذين اشتهروا بالترجمة إلى العربية . ويقول عنه ابن أبى أصيبعة : كان يقارب حنين بن اسحق فى النقل إلا أن عبارة حنين أفصح وأحلى .

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٨١ .

(٧٩) **عيسى بن يحيى**: كان طبيًا فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة وله تصانيف فى ذلك . قرأ صناعة الطب على حنين ويعد من أجلّ تلاميذه . وقد أثنى عليه حنين ورضى نقله ، كما كان من الناقلين المجيدين من اليونانية إلى العربية .

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٧٩ .

(٨٠) **ابن النديم** : الفهرست ص ٢٨٩ .

كان كثيرًا ما يرى الجهال شيئًا من الكتب القديمة مترجمًا بنقل حبيش فيظن بعضهم أن الناسخ أخطأ فى الإسم فيغلب على ظنه أنه حبيش ويكشطه ويجعله « حنين » .

وربما كان مرجع ذلك – فى تصورى – هو لتقارب الشبه فى كتابة الاسمين «حبيش» و«حنين» بالحروف السريانية مثل «   » وهو حبيش و«   » وهو حنين . فربما يحدث بعض اللبس لتقارب الشبه فى الحروف .

وقد أثبت البحث العلمى أن بعض الكتب التى نسبت إليه إنما هى من عمل تلاميذه ومدرسته لا من عمله هو[٨١] .

وقد ظل حنين يتمتع بمنزلة عظيمة فى عهد من جاء بعد الخليفة المتوكل حتى عهد الخليفة المعتمد ، كما ظل منصرفًا إلى ترجمة كتاب « أسس من الطب » لجالينوس حتى وفاته[٨٢] . كان حنين شيخ المترجمين والنقلة ورئيس الفلاسفة والأطباء وينبوع العلوم ومعدن الفضائل وخير من قدم إلى قراء العربية نتائج القرائح اليونانية .

وقد وصفه «ليكليرك» بقوله : كان حنين أبرز شخصية فى القرن التاسع الميلادى وكان من أكبر العقول ومن المتحلين بأسمى الأخلاق التى يعثر عليها فى التاريخ[٨٣] .

وقد كان من شدة تكريم الخليفة المأمون لحنين ولترجماته ، أن حنينًا كان يأخذ من المأمون ذهبًا زنة ما ينقله له من المصنفات مثلاً بمثل . وهذا فى الحقيقة يبين لنا شيئين هما فى غاية الأهمية : **أولهما** : اهتمام المأمون الفائق بالترجمة بصفة عامة وبتراث اليونان بصفة خاصة . **ثانيهما** : يدلنا على مدى الجودة التى كان يتمتع بها حنين فى ترجماته وشهرته فى ذلك، الأمر الذى أصبح معه مميزًا عن غيره ومفضلاً على نقلة عصره .

ولكننا نجد فى مقابل هذه الواقعة أنه كان يأخذ أجرًا لقاء ترجماته ، لكننا نراه من ناحية أخرى يستغنى عن ذلك الأجر وينقل دون مقابل لا مع المأمون والمتوكل اللذين عززاه وأكرماه ولا مع أبناء موسى الذين احتضنوه وأكرموه ولكن مع ألد أعدائه وهو الطيفورى[٨٤] النصرانى كاتب الخليفة المتوكل .

---

(٨١) **أحمد أمين** : ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٨٥ .

(٨٢) **جوجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى جـ ٣ ص ١٦٣ .

(٨٣) **Leclere** : Histoire de la Medecine Arabe Deuxieme livre Tom I p. 52.

(٨٤) **الطيفورى** : هو زكريا بن إسرائيل الطيفورى النصرانى طبيب وعالم بالمنطق وكان معاصرًا لحنين – لقب بالطيفورى لأنه كان طبيبًا لطيفور مولى الخيزران أم الهادى والرشيد . وكان أحظى الناس عند الهادى . **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٢١٨ .

ولكن على الرغم من الخصال الحميدة والكثيرة التى تحلى بها الطبيب حنين بن اسحق إلا أنه كأى إنسان آخر لا يمكنه أن يكون كاملاً فى جميع صفاته ، إذ نرى أن حنينًا قد سجل على نفسه هفوة حين كان يعمد إلى استخدام الحروف الكبيرة فى ترجماته لينهى الصفحة بأقل ما يمكن من مادة ذلك الكتاب المترجم وإلى استخدام الورق السميك ليكون أكثر وزنًا ، ومن ثم ليكون الأجر مضاعفًا . ولكن على الرغم من ذلك فقد كان لهذا الأسلوب ايجابياته مما يخفف فى نظرنا من وطأة سلبياته ، وتكمن هذه الإيجابيات بأنه لولا ذلك الورق السميك والحروف الكثيرة لما استطاعت تلك الترجمات أن تصمد كل هذه الفترة الطويلة من عمرها أو أن تسهل قراءتها هذا إذا ما أحسنا الظن فى هذا الأسلوب الذى لجأ إليه حنين فى ترجماته .

توفى حنين بن اسحق سنة ٢٦٠ هـ وقيل سنة ٢٦٤ هـ . ولقد أورد ابن جلجل رواية مفادها أن حنينًا مات بعد غضب الخليفة عليه فى المرة الثانية . غير أن « فؤاد سيد » محقق كتاب ابن جلجل يرى أن ابن جلجل انفرد بهذه الرواية ونقلها عنه آخرون وأن الأدلة التأريخية تثبت أن حنينًا عاش بعد المتوكل[٨٥] .

إن ما تدعيه بعض الروايات من أن حنينًا مات فى عهد المتوكل غما وكمدًا أو أنه سمّ نفسه بسبب المشادة التى حدثت بينه وبين «الطيفورى» والتى أدت إلى سجنه لا أساس لها من الصحة[٨٦] . ويقال أو أدعى أعداؤه أنه بصق على صورة المسيح فعاقبه الجاثليق وقطع زناره[٨٧] .

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ وفاته .. فهناك رأى يقول أنه توفى فى بغداد أيام المقتدر بالله وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٠ م[٨٨] .

وهناك رأى يقول سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م[٨٩] .

---

(٨٥) **ابن جلجل** : طبقات الأطباء ص ٦٩ .
(٨٦) **د . يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٤٢ .
(٨٧) **ابن العبرى** : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٢ .
(٨٨) **ابن النديم** : الفهرست ص ٢٨٥ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٨٥ .
(٨٩) **جورجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى جـ ٣ ص ١٦٣ .
صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٧ .

وهناك رأى ثالث يقول سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م[٩٠] وهو دون السبعين من عمره .

وبخلاف تلك التواريخ هناك تواريخ أخرى كانت تشير إلى وفاته مثل سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦٢[٩١] وكذلك سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م[٩٢] .

وكان لحنين بن اسحق ولدان :

داود الذى انصرف إلى مهنة الطب .

واسحق الذى انصرف مثل أبيه إلى الترجمة من اليونانية إلى العربية فأتقنها وأحسن فيها ، كما كان ميالاً إلى الفلسفة وإلى نقل كتب الحكمة مثل كتب أرسطو وغيره من الحكماء .

أهم أعماله :

كانت مؤلفات حنين بن اسحق متنوعة فى مادتها فقد بحث فى الطب والفلسفة والمنطق ، ولكن معظم مؤلفاته كانت تدور حول مهنته الأصلية وهي الطب .

وقد اعتمد حنين فى مؤلفاته الطبية على ما ترجمه من مصنفات لمشاهير الأطباء اليونان مثل جالينوس وأبقراط وهى المؤلفات ذاتها التى نالت أهمية خاصة عند حنين فى ترجماته لتراث اليونان الطبى وذلك من منتصف القرن الثانى الهجرى إلى منتصف القرن الثالث الهجرى[٩٣] [منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع الميلادى] .

فكان قد ترجم فى سنة ٨٥٦ م حوالى خمسة وتسعين كتابًا إلى السريانية وتسعة وثلاثين كتابًا إلى العربية[٩٤] .

كان حنين بن اسحق أقدم طبيب عربى – من بعد أستاذه يوحنا بن ماسويه – قد كتب فى أمراض العيون بصورة علمية منظمة ، بل أن مؤلفاته فى هذا القسم قد طغت

---

(٩٠) د. **يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٤٩١ .

(٩١) **ابن جلجل** : طبقات الأطباء ص ٧٠ .

(٩٢) **Oleary** : Arabic Thought p. 112.

(٩٣) **الدوميلى** : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .

(٩٤) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ١٧٢ .

على مؤلفاته الطبية الأخرى وكان يكتب دائمًا بالعربية . وقد ألف كتابًا عظيمًا فى الرمد نشره حديثًا ماكس مايرهوف[٩٥] .

ولم يكن طب العيون هو الفرع الوحيد الذى نال اهتمام حنين فى المجالين العلمى والنظرى ، بل ما من قسم من أقسام هذا العلم إلا وترك فيه حنين أثرًا نستدل من خلاله على ما وصل إليه حنين من خبرة وكفاءة فى هذا المجال . يقول القلقشندى : ولم يترك حنين بن اسحق مجالاً فى الطب إلا وسلكه وصنف فيه الكثير من المؤلفات ، ومن هذه المجالات التى سلكها حنين: مجال الطب البيطرى وله تصنيف فيه .

كان حنين أول من وضع كتابًا فى تاريخ الأطباء والحكماء . ومن المؤكد أنه اعتمد فى كتابه على ما جمعه من معلومات وعلى ما نقله عن يحيى النحوى الذى عاش فى الإسكندرية فى القرن السادس الميلادى[٩٦] .

من مميزات مؤلفات حنين فى مجال طب العيون أن البعض منها قد كتب بطريق ما يعرف اليوم بأسلوب المناقشة الاجتماعية أو ما عرفه حنين باسم طريق «المسألة والجواب» حيث كان حنين يطرح السؤال أولاً ثم يبدأ بالإجابة عليه .

ومن هنا جاءت تسمية هذه المؤلفات بهذا الإسم « المناقشة الإجتماعية أو طريق المسألة والجواب » وهذه الطريقة تساعد إلى حد كبير فى فهم مضمون المادة .

يقول القفطى : « وكان حنين بن اسحق حسن النظر فى التأليف والعلاج ، وله تآليف نافعة بارعة مثقفة .. وصنفها على سبيل المسألة والجواب وأحسن فى ذلك[٩٧] .
ومن أهم مؤلفاته :

(١) كتاب المسائل فى العين :

هو المدخل فى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجرى مجرى المبادىء الأوائل لهذا العلم . ومن المرجح أن هذا الكتاب لا ينسب بأكمله لحنين بل أن تلميذه حبيش بن الحسن قد أتمه. ولهذا قال «ابن أبى صادق» فى شرحه له أن حنينًا قد جمع بعض معانى هذا الكتاب فى طروس ومسودات فى أثناء حياته ، ثم أن الحبيش تلميذه

(٩٥) The Book of Treatise on the Eye ascribed to Hunain ibn Ishaq.
The Earliest Existing Systematic Text Book of Ophtalmology Cairo 1928.

(٩٦) **شوكت الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأحياء ص ٢٥٥ .

(٩٧) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ١١٧ .

وابن أخته رتب الباقى بعده وزاد من عنده زوائد وألحقها بما أثبته حنين فى دستوره . ولذلك يوجد هذا الكتاب معنونًا بكتاب « المسائل » لحنين بزيادات حبيش ابن الحسن . وأضاف ابن أبى صادق : « أن زيادات حبيش إنما هى من الكلام فى الترياق واستدل على ذلك بأنه قال : « ثم أن حنين بن اسحق له مقالتان شرح فيهما ما قاله جالينوس فى الزمان . ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم إنى عملت مقالتين شرحت فيهما كذا كذا(٩٨) .

وقيل أن حنينًا شرع فى تأليف هذا الكتاب فى أيام المتوكل وقد جعله رئيس الأطباء فى بغداد .

وهذا الكتاب عبارة عن ثلاث مقالات ومحرر على طريقة السؤال والجواب ألفه لولديه داود واسحق وهو مائتان وتسع مسائل(٩٩) . وقد نشره الأب سباط والدكتور مايرهوف بالقاهرة سنة ١٩٣٨ وقدما له وترجماه إلى الفرنسية(١٠٠) .

(٢) كتاب العشر مقالات فى العين :

أهم الكتب جميعًا . وهو الكتاب الطبى الأول الذى يبحث فيه عن طبيعة وتركيبة العين بأسلوب علمى دقيق وتوجد فى نسخ هذا الكتاب اختلافات كثيرة ، كما أن مقالاته ليست واحدة ، فإن بعضها مختصر وموجز فى المعنى ، والبعض الآخر يظهر فيه التطويل وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب(١٠١) .

والسبب فى ذلك أن كل مقالة فيه كانت بمفردها من غير التمام لها مع غيرها . وقد ذكر حنين فى المقالة الأخيرة من هذا الكتاب قوله : « إنى كنت ألفته منذ نيف وثلاثين سنة فى العين مقالات مفردة نحوت فيها إلى أغراض شتى(١٠٢) .

(٣) اختصار كتاب جالينوس فى الأدوية المفردة :

وهو إحدى عشرة مقالة اختصره بالسريانية وإنما نقل منه إلى العربية الجزء الأول وهو خمس مقالات نقلها لعلى بن يحيى .

---

(٩٨) **ابن أبى أصيبعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٧٦ .

(٩٩) مخطوط تحت رقم [٢٤٤] فى المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية .

(١٠٠) **P. Sabbath et M. Meyerhof** : Le Livre des questions sur l'oeil de Honein ibn Ishaq. Le Caire 1938.

(١٠١) **الدوميلى** : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .

(١٠٢) **ماكس مايرهوف** : العشر مقالات فى العين ص ١٢ .

(٤) اختصار ستة عشر كتابًا لجالينوس :

على طريقة المسألة والجواب . نقلها من اليونانية إلى السريانية سرجيس المتطبب ، ونقلها من السريانية إلى العربية موسى بن خالد الترجمان .

ومن أهم مؤلفاته أيضًا :

١ - كتاب الفصول .
٢ - كتاب الكسر .
٣ - كتاب الخلع .
٤ - كتاب تدبير الأمراض الحادة .
٥ - كتاب فى القروح .
٦ - كتاب فى جراحات الرأس .
٧ - كتاب الأيذيميا .
٨ - كتاب الأمراض الوافدة .
٩ - كتاب فى الأخلاط .
١٠- كتاب الغذاء .
١١- كتاب طبيعة الإنسان .
١٢- كتاب فى المنطق .
١٣- كتاب فى الأدوية المسهلة .
١٤- كما أن له تصانيف فى الكحل .
١٥- كما أن له كتاب الكنانيش لأورياسيوس .
١٦- كتاب السبع مقالات لبولس الأجنيطى .
١٧- كتاب المادة الطبية لديسقوريدس
١٨- كتاب فى الترياق .

كما ترجم حنين إلى السريانية :

(١) كتاب العهد أو الإيمان مع التفسير المزعوم أنه لجالينوس وشرح حنين بعض فقرات الكتاب الصعبة وشرح التفسير الذى يرجح أنه لغير جالينوس . وقد ترجمه حبيش واسحق ابن حنين إلى العربية .

كان حنين متطببًا ممتازًا ذا حظوة عند الخلفاء ولكن أهم جانب فى حياته هو تراجمه التى من بينها كل مصنفات جالينوس تقريبًا ترجمها من اليونانية إلى السريانية والعربية . فقد ترجم من كتب جالينوس حوالى خمسة وتسعين كتابًا إلى السريانية وترجم منها تسعة وثلاثين كتابًا إلى العربية . أما باقى المؤلفات فقد قام بمراجعة وتصحيح واصلاح ما ترجمه تلاميذه وهى تقريبًا ستة إلى السريانية وحوالى سبعين إلى العربية .

وقد قام حنين أيضًا بمراجعة وتصحيح معظم الخمسين كتابًا التى كان قد ترجمها سرجيس الرأس عينى ويعقوب الرهاوى وسواهما من الأطباء المتقدمين إلى السريانية .

قال براون : « إن حنينًا فى الغالب كان يترجم من اليونانية إلى العربية رأسًا » . وكانت التراجم السريانية تعمل فى الغالب للأطباء والعلماء والنصارى أمثال جبرائيل بن بختيشوع ،

ويوحنا بن ماسويه ، وسلمويه بن بنان وبختيشوع بن جبرائيل وزكريا الطيفورى وسواهم .
وكانت التراجم العربية تعمل لأعاظم المسلمين الذين اعتنق الكثير منهم الإسلام حديثًا أمثال :

علي بن يحيى كاتم سر المتوكل على الله وصديقه « محمد بن عبد الملك الزيات » وزير الخليفة المعتصم بالله(١٠٣) .

محمد وأحمد ابنا موسى اللذان كانا من مشاهير الرياضيين وعلماء الطبيعيات ولكنهم كانوا على الأخص حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم فى خدمتهم(١٠٤) .

وأحمد بن محمد المدير والى مصر فى أيام المتوكل .

واسحق بن ابراهيم الطاهرى والى خراسان فى أيام المأمون .

واسحاق بن سليمان أحد ولاة مصر السابقين .

أسلوب حنين فى الترجمة

كان أسلوب حنين فى الترجمة رائعًا ووافيًا بأغراض علم اللغات الحديث تمامًا .

كان حنين ينتقد فى عنف تراجم المتقدمين وتراجمه هو أيضًا عندما كان شابًا ، ولذلك فقد ترجم معظمها من جديد . لقد ذكر فى رسالته إلى « على بن يحى » عن كتاب « فى العرق » لجالينوس قوله : «ترجمته وأنا شاب .. من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الأربعين من عمرى طلب إلىَّ تلميذى حبيش أن أصلحها بعد أن كنت قد جمعت قدرًا من المخطوطات اليونانية ، وعند ذلك رتبت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارنتها بالنص السريانى ثم صححتها .. وتلك عادتى التى اتبعتها فى كل ما ترجمته(١٠٥)» .

كان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة مثال ذلك : كتاب فى البرهان لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى والذى قال عنه حنين : إننى بحثت عنه بحثًا دقيقًا وجبت فى طلبه أرجاء الشرق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكننى لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه

---

(١٠٣) **ابن النديم** : الفهرست ص ٢٨٨ .
(١٠٤) **الدوميلى** : العلوم عند العرب ص ١٢٦ .
(١٠٥) **ماكس مايرهوف** : العشر مقالات فى العين ص ٢٩ .

فى دمشق[١٠٦] كانت ترجمة حنين تقوم على أساس الحصول على النسخة الأصلية لأى كتاب يريد ترجمته ، أى أن حنينًا كان يفضل التعامل مع أصل الكتاب المراد ترجمته ، وفى حالة تعذر الأصل نرى أن حنينًا لا يعتمد على نسخة واحدة فى مثل هذه الحالة بل يرجع لنسختين فأكثر للمقارنة والربط فيما بينهما الأمر الذى أضفى على ترجماته طابع الدقة .

ومما زاد فى ترجمته أهمية أنه كان يلجأ إلى الطريقة التى عرفت باسمه وهى طريقة « الترجمة بالمعنى » .

وقد قال برجستراسر : أن حنينًا وحبيشا – أفضل تلاميذه – تجشما عناءً كبيرًا فى التعبير عن معني أصول الكتب اليونانية بقدر المستطاع من الوضوح . وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتي ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها .

ويتجلى أسلوب حنين فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز – تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها[١٠٧] .

مدرسة حنين للترجمة

تقديرًا لمهمة الترجمة وتيسيرًا لأسبابها رأى حنين بن اسحق أنه من الضرورى أن تنشأ مدرسة خاصة بالترجمة يعد فيها مترجمين ومساعدين[١٠٨] .

وقد كانت هذه المدرسة من أشهر المدارس فى الإسلام وكانت معروفة عند مترجمى العصور الوسطى المسيحية باسم Johannitus[١٠٩] وكانت هذه المدرسة تعتبر مدرسة كاملة . فعلاوة على الترجمة كان يتم فيها التدريس والتصحيح والتطوير .

فقد ابتكر حنين طرقًا علمية للترجمة والاختصارات والجوامع والتأليف والإبداع ، وعدم التقيد بالحرف على حساب المعنى مع الحفاظ على دقة فحوى النص المترجم .

ولقد التحق بهذه المدرسة بعض تلاميذ حنين وعلى رأسهم اسحق وابن أخته حبيش .

---

(١٠٦) المرجع السابق ص ٣٩ .

(١٠٧) **Bergstraesser** : Hunain Ibn IshaR and seiṇe Schule, Leiden 1913, p. 28.

(١٠٨) **رفائيل بابو إسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٨٧ .

(١٠٩) **الدوميلى** : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .

وقد أسهما معه إسهامًا واضحًا فى ترجمة الكتب الفلسفية والطبية وقام ثلاثتهم بعمل جماعى نافع .

كان حنين يترجم من اليونانية إلى السريانية ثم يقوم حبيش بالنقل إلى العربية ، أو يترجم اسحق من اليونانية إلى العربية رأسًا ويراجع عليه أبوه حنين .

كما أشترك فى هذه المدرسة أيضًا موسى بن خالد ويحيى بن هارون واصطفن بن باسيل الذى كثيرًا ما اقترن اسمه باسم حنين أو اسحق فى بعض الكتب المترجمة .

وقد عنى حنين - وهو الأستاذ - بأن يرسم لتلاميذه الخطط ، وأن يضع للترجمة بعض القواعد ، وأن يمرنهم عليها عمليًا . ولعله وضع من أجلهم كتابه فى إحكام الإعراب على مذهب اليونانيين ، وهو دون منازع المسئول الأول عن النصوص التى ترجمت ، فقد أسهم فى جمع بعض مخطوطاتها وتخير أصلحها ، ونصح بإعادة ترجمة ما لم تستقم ترجمته من قبل أو ما اهتدى فيه إلى أصل أتم وأوضح . ومن هذه المدرسة خرجت دعائم فنية للثقافة العربية .

وكان القرن التاسع عامرًا بكبار المترجمين ، فظهر منه إلى جانب حنين واسحق وحبيش مترجمون كبار آخرون أمثال : ثابت بن قرة الحرانى ، وقسطا بن لوقا البعلبكى ، ويوحنا بن البطريق . كانوا فيما بينهم متنافسين أحيانًا أو متعاونين ، وفى هذا مدعاة للتجويد والإتقان .

وإلى جانب ثقافتهم الموسوعية فقد تخصصوا فى بعض جوانب المعرفة ، فعنى حنين بالطب وأطباء اليونان وخاصة جالينوس الذى ألف أسلوبه وأصبح إذا ما قرأ نصًا استطاع أن يحكم هل هو من وضع جالينوس أو مدسوس عليه[١١٠] .

أما اسحق بن حنين فقد تفرغ للفلسفة وترجم فيها وألف وأسهم فى ترجمة قدر كبير من كتب أرسطو إلى العربية واتجه ثابت بن قرة إلى الفلك والهندسة فترجم لإقليدس وأبولينوس .

لم يكن هؤلاء المترجمون مجرد نقلة ، بل كانوا علماء ملمين بموضوع المؤلفات التى تصدروا ترجمتها .

وليس بيسير أن نحدد فى دقة ما ترجمه حنين من اليونانية إلى العربية رأسًا ، أو

(١١٠) د . **يوسف حبى** : مهرجان أفرام وحنين ص ٥١٩ .

ما اكتفى بنقله إلى السريانية ولا أن يفضل بين ما ترجمه بنفسه وما اضطلع بإصلاحه ومراجعته .

ويمكن أن نلاحظ أمرين :

أولاً : أن حنينًا كان يؤثر أن يترجم من اليونانية إلى السريانية لتمكنه منها فى الغالب ، فإنه وإن كان يحسن العربية لم يصل فيها إلى مستوى ابنه اسحق الذى نشأ فى البيئة العربية وعاش فيها طوال حياته .

هذا إلى أن صعوبة الترجمة الكبرى حين ذاك كانت فى النقل من اليونانية ذلك لأن مجيديها قليلون ، فى حين أن أغلب المترجمون كانوا يعرفون السريانية . ولا يستبعد أن يكون هناك فوق هذا باعث طائفى ، فإن حنينًا وزملاءه من أنصار الثقافة السريانية انتهزوا فرصة حركة الترجمة العربية ليغذوا ثقافتهم بغذاء جديد . ولا شك فى أن ما ترجم من اليونانية إلى هذه الثقافة قبل الإسلام لا يكاد يذكر فى شىء إلى جانب ما جنته من الترجمة العربية .

ثانيا : أن حنينًا فى مراجعته وتصحيحه كان يحرص على أن يعتمد على النص اليونانى ، وكم كشف عن أخطاء فى الترجمات السريانية القديمة أو التى تمت فى بدء حركة الترجمة فى الإسلام ، وكم جد فى جمع الأصول وتوافر لديه قدر لا بأس به فيما هو بصدده وبخاصة من أصول جالينوس(١١١) .

إن حنين بن اسحق كان رئيس المدرسة والمشرف عليها والمسئول الأول عن أعمالها . والمهم أنه ركز جهوده وجهود مدرسته حول فهم الفكر السريانى فى الطب والفلسفة ، فنقل طب جالينوس نقلاً دقيقًا .

وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نقرر أن حنينًا كان أمينًا فى نقله ، حريصًا كل الحرص على أداء النص اليونانى نصًا صادقًا وأعانه على ذلك تمكنه من اليونانية والسريانية وقدرته على التعبير العربى السليم وتمسكه ما وسعه بالترجمة المباشرة وهذا مبدأ يعتد به المترجمون المعاصرون .

إن حنينًا ترجم ولخص وفسر وألف أكثر من مائتى كتاب ومقالة ، وأن ترجمات ابنه اسحق وتآليفه تربو على الخمسين ، وكذلك ترجمات وتآليف حبيش.من كل هذا

---

(١١١) Leclerc : Histoire de la Medecine ARABE Tome I p. 133.

ندرك مدى مساهمة آل حنين فى تكوين المكتبة العربية فى فترة هى بالغة الأهمية بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية[112] .

٢ - إسحٰق بن حنين بن إسحٰق

يعتبر اسحق واحدًا من الذين برزوا فى ميدان النقل فى مدرسة أبيه حنين بن اسحق .

وقد تميزت ترجمات اسحق بالدقة والجودة ، وقد بلغ اسحق فى هذا المجال حدًا وضعه فى ذات المرتبة التى احتلها حنين من قبل . من جهة أخرى فقد كان اسحق ابن حنين قد فاق والده فى اللغة التى استوعبت معظم الترجمات لتراث الحضارات القديمة - أى اللغة العربية - الأمر الذى أضفى على ترجماته أهمية خاصة فى هذا الجانب من النقل[113] .

كان اسحق ميالاً فى ترجماته إلى الكتب الفلسفية اليونانية حيث ركز عليها أكثر من غيرها من العلوم التى قام بترجمتها إلى العربية . ومن هذه الزاوية فقد اختلف اسحق مع أبيه حنين فى نوعية الكتب المترجمة حيث ركز حنين فى ترجماته على الكتب الطبية أولاً والفلسفية ثانية[114] .

إن الجودة والإتقان قد اختلفا عند اسحق بن حنين فى ترجماته من كتاب لآخر ، بل وفى الكتاب الواحد مما له أكثر من ترجمة على يديه ، حيث نراه هنا يبدع فى النقل الثانى أكثر من النقل الأول .

ويعد هذا أمرًا طبيعيًا فى كل مهنة وعند كل من يمارسها ، إذ أن خبرة وتجارب الانسان فى أول مزاولته لأى عمل من الأعمال هى غير خبرته وتجاربه بعد مضى فترة من الزمن على ممارسته ذلك العمل . فلذلك كانت نقوله الأولى غير النقول التى جاءت أيام إتقانه لفن الترجمة . ولقد خدم اسحق حركة الترجمة خدمة كبيرة بوفرة ترجماته وجودتها فأضفى عليها من هذه الناحية طابع النشاط والازدهار ، كما أنه أضاف عليها من هذه الناحية طابع النشاط والازدهار ، كما أنه أضاف بمصنفاته الكثيرة فى بعض

---

(١١٢) د . يوسف حبى : مهرجان أفرام وحنين ص ٥١٩ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٥ .

(١١٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٨٥ .
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٦ .

العلوم السائدة فى عصره مادة علمية جديدة أضيفت إلى ما قد تجمع لدى العرب فى هذا المجال من تراث علمى وفلسفى .

إن اسحق بن حنين كان يحتل مرتبة رفيعة فى مدرسة أبيه ، ذات الأثر الكبير فى ازدهار حركة الترجمة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بل أن اسحق بن حنين وحبيش بن الحسن كانا من أهم النقلة فى هذه المدرسة ، وقد شكلا مع حنين ابن اسحق مؤسسها الأول وأشهر نقلتها - أعظم ثالوث للنقلة عرفته حركة الترجمة فى تاريخها فى هذا العصر .

وقد توفى اسحق بن حنين ٢٩٨ هـ وكان قد أصيب بالفالج ومات به(١١٥) .

أعمالـه :

لاسحق بن حنين مصنفات عديدة تعرب عن طول باعه فى الطب وبعد نظره فى المعالجة(١١٦) . ومن أهم أعماله :

(١) كتاب الأدوية المفردة على الحروف .
(٢) كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان .
(٣) اختصار كتاب إقليدس .
(٤) كتاب فى النبض .
(٥) كتاب الحق .
(٦) وقد كتب مقالة فى تواريخ مشاهير الأطباء اليونانيين وكبارهم الذين أبدعوا الأصول وقننوا القوانين وحافظوا عليها(١١٧) . ومن المؤكد أن اسحق قد اعتمد فى كتابه على أصل يونانى لمؤلف مشهور هو « يحيى النحوى » الذى عاش فى الاسكندرية فى القرن السادس ، وقام بكثير من الشروح والتفاسير لمؤلفات أرسطو ، وبتأليف بعض كتب فى الدفاع عن الدين المسيحى ضد الوثنية .

ومن الغريب أن إسحق وهو يذكر أنه يؤرخ للأطباء والحكماء من بدء ظهور الطب إلى سنة ٢٩٠ هـ لم يزد شيئًا عما نقله من كلام يحيى النحوى سوى ذكره له فى

---

(١١٥) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٦٦ .
(١١٦) **رفائيل بابو إسحق** : أحوال نصارى بغداد ص ١٩٤ .
(١١٧) **البيرونى** : الآثار الباقية فى القرون الخالية - ليبزج سنة ١٩٢٣ ص ٣٨ .

آخر من ذكرهم من المترجمين عند يحيى ، رغم أنه قد عاش فى هذه القرون الثلاثة الأولى للإسلام بعض الأطباء النابهين الذين تركوا لنا مصنفات هامة مثل : أهرون القس ، ويوحنا بن ماسويه ، وقسطا بن لوقا البعلبكى وبعض آل بختيشوع وغيرهم ، حتى أنه لم يذكر والده حنينًا الذى ترجم له مؤرخو الأطباء بعد ذلك[118] .

٣ - حبيش بن الحسن الأعسم

يعد حبيش من النقلة المهرة الذين تشكلت منهم مدرسة حنين بن اسحق فى الترجمة .

وقد كان حبيش من أبرز النقلة بعد حنين فى هذه المدرسة ، وكان يعاون حنين بصفة خاصة فى ترجماته من اليونانية إلى السريانية ليتولى هو بدوره نقلها من السريانية إلى العربية .

كان حبيش نصرانيًا ، وكان حنين يقدمه ويعظمه وكان يمتاز بدقة ترجماته[119] .

أعمالـه :

نقل حبيش كتب أقليدس وبعض الأجزاء التى ألفها جالينوس وأبقراط وأرشميدس وأبولونيوس وغيرهم ، كما نقل إلى العربية أيضًا النواميس لأفلاطون[120] .

لم يشتهر أمر حبيش كناقل فقط ، بل عرف أيضًا فى مجال رعاة حركة الترجمة كأحد الأطباء الذين رعوا هذه الحركة وعملوا فى سبيل تشجيعها وازدهارها .

كان حبيش طبيبًا ماهرًا خدم بطبه البعض من خلفاء الدولة العباسية وكان موضع تقديرهم وثقتهم .

وعن السنة التى توفى فيها حبيش فقد قيل أنه كان يعيش قبل سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٨ م ، ولم تذكر لنا المصادر التى ترجمت له سنة وفاته كما تجاهلت سنة ميلاده .

وعلى هذا الأساس فإن معاصرته لحنين بن إسحق وولده إسحق بن حنين تمكننا من القول أن حبيشًا كان لا يزال حيًا فى العقد السابع من القرن الثالث الهجرى[121] .

---

(١١٨) **ابن جلجل** : طبقات الأطباء - المقدمة - صفحة ح - ط .

(١١٩) **ابن أبى أصيبعة** : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٦٨ .

(١٢٠) **Oleary** : Arabic Thought p. 113.

(١٢١) **رشيد الجميلى** : حركة الترجمة ص ٣٠٧ .

ثالثا : عائلة ماسوية

١ - ماسويه

كان ماسويه – وهو أول المعروفين فى آل ماسويه يعمل فى دق الأدوية فى بيمارستان جنديسابور .

وعلى الرغم من أنه لا يقرأ حرفًا واحدًا بلسان من الألسنة إلا أنه عرف الأمراض وعلاجها ، وصار بصيرًا بانتقاء الأدوية ومراهمها[١٢٢] . واستمر يعمل ثلاثين عامًا فى دق الأدوية فى بيمارستان جنديسابور حتى صار عالمًا بخواص الأدوية . وقد دخل بغداد فخدم « الفضل بن الربيع » وزير هارون الرشيد ، ثم لم يلبث أن أصبح طبيب الخليفة الخاص ومما هو جدير بالذكر أن جبرائيل بن بختيشوع قد قربه وأحسن إليه .

وقد عشق ماسويه جارية لداود بن سرابيون ، فابتاعها جبرائيل بثمانمائة درهم ووهبها لماسويه فرزق منها بابنين هما يوحنا وأخوه ميخائيل[١٢٣] .

٢ - يوحنا بن ماسويه ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م

هو أبو زكريا يوحنا [أو يحيى] بن ماسويه من أطباء مدرسة جنديسابور . ولد فى «خوز» إحدى قرى نينوى ، ونهل من أصول العلوم على «يشوع بن نون» فى كلية المدائن[١٢٤] وهى التى أصبحت فيما بعد فى عصر المأمون دار الحكمة .

نشأ يوحنا بن ماسويه فى الوقت نفسه خبيرًا بالعقاقير الطبية التى كان يتعاطاها أبوه ، هذا فضلاً عن تعمقه فى صناعة المعالجة ، وتبحره فى أساليب المداواة .. وكان ملوك «بنى هاشم» لا يتناولون شيئًا من أطعمتهم إلا بحضرته وهو يقف على رؤوسهم ومعه البرانى[١٢٥] .

---

(١٢٢) ابن أبى أصيعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٤٢ .

(١٢٣) رفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد ص ١٧٧ .

(١٢٤) كانت من أكبر الكليات اللاهوتية فى المشرق ، وقد بنى دعائمها الجاثليق : « أبا اكلير » [٥٤٠ - ٥٥٢ م] يقال أنه هو الذى أشار على هارون الرشيه بانشائها .
براون : الطب العربى ص ٥٢ .

(١٢٥) المفرد البرانية وهو إناء من خزف بالجوارشات الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية فى الشتاء وفى الصيف بالأشربة الباردة الطابخة المقوية والمعاجين .
رفائيل بابو اسحق : أحوال نصارى العراق ص ٨٠ .

بلغ ماسويه مرتبة عالية فى زمانه حتى أنه كان يعقد مجلسًا لأفراد الطب والنظر فى مسائل العلوم القديمة فيجتمع منه خلق كثير من الخاصة والعامة على اختلاف المذاهب والأديان وتدور بين جدرانه أعنف المجادلات وأقوى المشاجرات حتى عد أعمر مجلس لمتطبب أو متكلم أو متفلسف فى مدينة السلام[١٢٦] .

وقد ارتفعت منزلة يوحنا وعظم شأنه وجل قدره لدى الجميع ونال بالحذق والمهارة والفضل شهرة واسعة فلقب بماسويه الأكبر وقد عرف بهذا اللقب تمييزًا له عن ماسويه الماردينى الملقب بماسويه الأصغر .

كان يوحنا طبيبًا فاضلاً مقدمًا عالمًا مصنفًا خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وكفاه فخرًا أنه كان مستشارًا للخلفاء والصديق الحميم للخليفة الواثق .

ولكن «القفطى» يذكر خلاف ذلك : أن يوحنا بن ماسويه كان نصرانيًا وسريانيًا فى أيام هارون الرشيد ، وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة عندما وجدها بأنقرة[١٢٧] وعمورية[١٢٨] وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون[١٢٩] . ومن الواضح أن ابن أصيبعة يذكر نفس المعلومة تقريبًا .

إذ يقول : «كان يوحنا بن ماسويه مسيحى المذهب سريانيًا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينًا على الترجمة» .

والخطأ واضح فى كلام القفطى وابن أصيبعة لقد استمده الاثنان من مصدر واحد وهو « ابن جلجل » الذى كان أول من أخطأ حول هذه المعلومة التاريخية . إن الذى طب الرشيد هو ماسويه (الأب) أبو يوحنا ، وليس يوحنا الذى نتحدث عنه ، وقد

---

(١٢٦) **هونكة** : شمس الشموس ص ٣٨ .
عيسى الاسكندر : تاريخ الطب عند العرب ص ١٧ .

(١٢٧) **أنقرة** : أنكورية : كانت فى بلاد الروم وفتحها المعتصم فى طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ هـ ، وهى الآن عاصمة الدولة التركية .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٩٠ .

(١٢٨) **عمورية** : فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ وكان فتحها من أعظم الفتوحات الإسلامية .
ياقوت : جـ ٣ ص ٧٣٠ .

(١٢٩) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٢٤٨ .

عاش فى أواخر القرن الثامن ومطلع القرن التاسع [الثانى والثالث الهجرى] وكان يعمل صيدلانيًا فى بيمارستان جنديسابور . هذا عن الخطأ الأول .

كذلك فإن الواقعة الخاصة بفتح عمورية وأنقرة كانت أيام المعتصم بالله ولم تكن على أيام الرشيد .

لقد وضع « ماسويه الأكبر » مصنفات عديدة تدل على رسوخ قدمه فى علوم المعالجة ، وقد بلغ مجموع مؤلفاته حوالى ثمانية وعشرين كتابًا[١٣٠] .

فيوحنا أول من كتب فى أمراض العين فى كتابه المسمى « دغل العين » وقد عرب هذا الكتاب تعريبًا ركيكًا مع استعمال اصطلاحات أفريقية وسريانية وفارسية[١٣١] .

ويعد أول من بحث فى تشريح الحيوانات فقام بتشريح أجسام القردة[١٣٢] . فقد سجل التاريخ الطبى أن يوحنا بن ماسويه كان فى حالة لا تمكنه أن يحصل على جثث إنسانية ، فقام بتشريح القردة فى غرفة خاصة ببيت على شاطئ دجلة . ويبدو أن « أمير النوبة » قد اقتنع بأهمية هذا العمل فجهز له - بأمر من الخليفة المعتصم [٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م] فى حدود سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م نوعًا من القردة القريبة الشبه من الإنسان[١٣٣] . كما أن يوحنا بن ماسويه هو أول من وضع شروحًا عن الجذام والحميات والمواد الطبية والسموم بالإضافة إلى تعريبه لعدد كبير من المؤلفات الطبية والفلسفية[١٣٤] . وقد قرأ عليه الطب حنين بن اسحق .

ومن أهم مؤلفاته :

(١) كتاب البرهان وهو ثلاثون بابًا .
(٢) كتاب البصيرة .
(٣) كتاب الحميات .
(٤) كتاب الأغذية .
(٥) كتاب الأدوية المسهلة .
(٦) كتاب العضد والحجامة .

(١٣٠) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ .
(١٣١) فيليب دى رازى : عصر السريان الذهبى ص ٦ .
(١٣٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٣٤٢ .
(١٣٣) براون : الطب العربى ص ٥ .
(١٣٤) Hitti : Maker of Arab History p. 88.

٣ - ماسويه الماردينى : ميخائيل

ولد ماسويه فى ماردين فى الثلث الثانى من القرن العاشر الميلادى فى بيت يعقوبى (أرثوذكسى) المذهب ، ونشأ وترعرع فى مسقط رأسه ، ثم رحل إلى عاصمة الخلافة العباسية « بغداد » فى شبابه لدراسة الطب ، وبعد أن أكمل تحصيله فيها شد الرحال إلى مصر فأقام فى القاهرة وعاش فيها يزاول مهنة الطب زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى وذلك فى النصف الثانى من القرن العاشر إلى أن وافا الأجل سنة ١٠١٥ فدفن فيها عن عمر يناهز التسعين عامًا . وقد اشتهر بالطب والصيدلة وخصه المأمون وعجب من حذقه ومهارته ونال من الثقة والكرامة والجاه ما لم ينله غيره من أطباء زمانه . لم يشتهر ميخائيل كأخيه « يوحنا » فى التصنيف والتأليف بيد أنه كان فى أيامه إمامًا فى فنون الطب ومرجعًا فى أدوية المعالجة ومثالاً فى مداواة المرضى فأحبه الجميع لغزارة علمه ودماثة أخلاقه(١٣٥) . ويكاد اسم ماسويه أن يكون مجهولاً بين مؤرخى أطباء العرب بينما هو مشهور وذو مقام محترم فى أوربا فى القرن الحادى عشر وربما كان ذلك لأن تآليفه ترجمت باكر إلى اللاتينية حينما كانت أوربا فى أشد الحاجة إلى المؤلفات الطبية أو لأن اسمه كان يدغم أحيانًا مع إسم ماسويه الأكبر « يوحنا »(١٣٦) .

يقول الدوميلى :

ونلتقى فى مصر بماسويه الماردينى المسمى عند الغربيين **Mesue Junior** وقد عمل فى بلاط الخليفة الحاكم بأمر الله ... وقد صار حجة فى الصيدلة .. وعرف فى الغرب بعد ذلك بعنوان **Phamacopoeru Evangelista**(١٣٧) . ويقول « سارتون » بأن الغرب أطلق عليه اسم : **Mesue the younger** أى ماسويه الأصغر . لقد ألف ابن ماسويه كتابًا فى « الإسهال » و « الحقن الشرجية » وأشهر كتبه هو : **Antidotarium Sive Grabadin Medicamentorum Compositorum** ويتألف الكتاب من إثنى عشر مجلدًا. وهو يبحث فى علم الأدوية الطبية ومضادات السموم.

---

(١٣٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٥٥ .

(١٣٦) أمين سعد خير الله : الطب العربى - بيروت - المطبعة الأمريكية سنة ١٩٤٦ م ص ١٢٩ .

(١٣٧) الدوميلى : العلوم عند العرب ص ٢٤٠ .

الفصل الخامس
المدارس الطبية

١ - المدارس العلمية الطبية

١- مدرسة الإسكندرية العلمية

تأسست الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق . م .

وحين قسمت إمبراطورية الإسكندر بين قواده كانت « الإسكندرية » من نصيب « بطليموس سوتر أول »[١] وظلت فى يد الأسرة البطلمية حتى احتلها الرومان وقد أتخذ بطليموس سوتر الإسكندرية عاصمة له وفعل الكثير فى سبيل جعلها بؤرة الثقافة الإغريقية والتفوق العلمى[٢] . بحيث أصبحت الإسكندرية وريثة « أثينا » .

اهتم بطليموس بحركة البناء فى المدينة ، وجذب إليها الفنانين والعلماء والرياضيين والفلكيين والأطباء ، الذين كانوا مهملين فى البلاد اليونانية ، وذلك بعد أن عهد إلى « ديمتريوس فاليرس » بإنشاء دار للعلم والدراسة حوالى سنة ٢٩٠ ق . م[٣] فأصبحت الإسكندرية منذ ذلك الوقت مركزًا هامًا للثقافة اليونانية .

لم يكن الغرض من إنشاء مدرسة الإسكندرية تحصيل العلوم فحسب ، بل أيضًا التوسع فى تلك العلوم . فقد قام العلماء بعقد ندوات وإجراء مباحثات علمية عظيمة[٤] .

كانت الإسكندرية فى ذروتها عندما غزاها الرومان سنة ٤٨ ق . م ، وتحت السلطة الرومانية انتعشت من جديد فشيدت المبانى واتسعت التجارة وامتدت العلاقات التجارية حتى الهند[٥] . وبالإضافة إلى مركزها التجارى العظيم فقد أصبحت مركزًا هامًا للحركة الفكرية . فحافظت على تراث اليونان واستطاعت أن تتقدم به خطوات كبيرة إلى الأمام فى بعض النواحى[٦] .

---

(١) د. **إبراهيم نصحى** : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ ص ٢٧٥ .
(٢) **جورج قنواتى** : المسيحية والحضارة العربية ص ٦٦ .
(٣) د. **إبراهيم نصحى** : العصر اليونانى والرومانى والعصر المسيحى مجلد ٢ ص ٨٢ .
(٤) د. **شوكت الشطى** : مختصر فى تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب ص ٤٧ .
(٥) **جورج قنواتى** : المسيحية والحضارة العربية ص ٦٦ .
(٦) **رشيد الجميلى** : الترجمة ص ١٩٧ .

لقد تباينت الآراء حول المؤسس الفعلى لمدرسة الإسكندرية ، كما اختلفت الآراء حول تاريخ بدايتها . فينسب بعض المؤرخين تأسس المدرسة إلى « مرقص الرسول » ويرجعون نشأتها إلى القرن الأول الميلادى[7] .

بينما يذكر البعض الآخر أنها نشأت فى القرن الثانى الميلادى على يد الفيلسوف « بنتينوس » وأنه كان أول رؤسائها[8] . ولكن مما هو جدير بالذكر أن هذه المدرسة لم يأخذ نجمها يتألق بوضوح كمركز تعليمى وفكرى إلا فى عهد مديريها المعروفين مثل : أثيناغوراس ، وبنتينوس ، واكليمنتس[9] وذلك فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى .

ويرجع الفضل إلى «اكليمنتس» فى ادخال فروع المعرفة المختلفة إلى منهج الدراسة فى مدرسة الإسكندرية . فقد أدخل دراسة الفلسفة واللغات والبلاغة والشعر والمنطق والهندسة والفلك . وفى سنة ٢٠٣ م بلغت مدرسة الإسكندرية أوج عظمتها على يد أوريجانس [١٨٥ - ٢٥٤ م] وذلك بسبب كثرة تلاميذه الذين كانوا يفدون إليه من كافة الأقطار[10] .

وقد تولى إدارة المدرسة بعد «أوريجانس» عدد من المديرين الذين لم تصل شهرتهم إلى شهرة من سبقهم حتى تولى « ديديموس الضرير » [٣١٣ - ٣٩٨ م] إدارة المدرسة[11] .

وقد تميزت مدرسة الإسكندرية عن غيرها من المدارس الوثنية . فكانت المدرسة تضم بين تلاميذها كل محبى العلم والدراسة بغض النظر عن عقيدته أو جنسه أو مكانته الاجتماعية . فكان التعليم عامًا يتلقاه السيد والعبد والكبير والصغير والذكر والأنثى .

---

(٧) **د. مراد كامل** : تاريخ الحضارة المصرية مجلد ٢ ص ٢٣٨ .

(٨) **نيقنوس** : نشأ بالاسكندرية وكان فى أول الأمر من انصار الرواقية ثم اعتنق المسيحية

القمص تادرس يعقوب ملطى : آباء مدرسة الإسكندرية الأولون ص ٤٨ .

(٩) **اكليمنتس** : ولد فى الإسكندرية من والدين وثنيين ، اعتنق المسيحية وتتلمذ على ايدى أساتذة مدرسة الإسكندرية وتولى رئاستها بعد رحيل بنتينوس الى الهند ولكنه توقف عن التعلم سنة ٢٠٢ ورحل الى أسيا الصغرى وعمل على نشر الدين فى أرجائها حتى توفى بها سنة ٢١٧م .

يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية - دار العلم ببيروت ص ٢٦٩ .

(١٠) **Sarton** : Hellenestic Scenice and Culture in the Last Three Centuries B.c, Harvard 1959, p 54

(١١) **ديديموس الضرير** : ولد بالإسكندرية وقد فقد بصره فى الرابعة من عمره . كان ملما بالدراسات الدينية إلى جانب إلمامه بالمنطق والفلسفة والبلاغة والرياضة وتفوق فيها جميعا

د. مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية جـ٢ ص ٢٤٢ .

وقد كان التعليم فى بادىء الأمر دينيًا بحتًا ولكنه اتسع شيئًا فشيئًا حتى شمل الفلسفة والعلوم .

وكان البرنامج الدراسى يبدأ بعلوم اللغة وينتقل منها إلى العلوم الرياضية والطبيعية ثم الفلسفة والأخلاق وينتهى بشرح الكتاب المقدس(١٢) .

كانت مدرسة الإسكندرية تستقدم العلماء من أماكن بعيدة ، وكانت المدينة منارة فكرية تنبعث منها العلوم والفلسفة إلى سائر أنحاء الشرق . فقد تخرج منها علماء كان لهم تأثير كبير فى الحضارات الإنسانية مثل الفيلسوف أفلوطين زعيم الأفلاطونية الحديثة فى القرن الثالث الميلادى الذى تخرج من مدرسة الإسكندرية وإن كان أصله من صعيد مصر(١٣) .

ولقد عرف العرب عن طريق مدرسة الإسكندرية أشهر علماء اليونان واطلعوا على مصنفاتهم كل حسب ما اشتهر به فكان ذلك أساس نهضتهم العلمية الجديدة .

ومما هو جدير بالذكر أن الحضارة اليونانية التى عرفها العرب لم تكن وافدة من بلاد اليونان مباشرة ، وإنما كانت بؤرتها فى مصر التى فتحها العرب حيث كانت الإسكندرية وريثة أثينا وبلاد البحر الأبيض الشرقية بما فيه بيزنطة(١٤) .

وتظهر لنا أهمية الإسكندرية فى عصرين رئيسيين(١٥) :

(١) عصر مدرسة الإسكندرية قبل مجىء المسيح .
(٢) عصر ما بعد ذلك واتصال العرب واحتكاكهم بما كان يدرس فيها .

فمن العلوم التى تميزت بها مدرسة الإسكندرية بصفة خاصة الفلسفة والطب والكيمياء . وكان علما الطب والكيمياء من أكثر العلوم التى اعتمدت عليها الحركة العلمية فى العصر الأموى بصورة رئيسية . وقد كانت مصنفات أبقراط وجالينوس أساس منهج التعليم الطبى فى مدرسة الإسكندرية .

إن أثر هذه المدرسة فى نهضة العرب الثقافية قد بدأ أول ما بدأ فى العصر الأموى ، فقد أدت هذه المدرسة دورها المباشر فى إيقاظ الحركة العلمية .

---

(١٢) **Parsons** : The Alexandrian Library London 1952, p 92

(١٣) **مصطفى العبادى** : تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور الإسكندرية سنة ١٩٦٣ ص ٩٤ .

(١٤) **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٤ .

(١٥) **Parsons** : The Alexandrian Library London 1952, p 160

وقد كان لمدرسة الإسكندرية الفضل الرئيسى فيما حدث فى هذا العصر من ترجمة للعلوم[16] .

فقد كانت مدرسة الإسكندرية وعلماؤها فى طليعة حركة نقل التراث اليونانى إلى العربية[17] . وساعدت أحداث الفتح الإسلامى على استغلال جهود علماء الإسكندرية إلى أقصى حد خلال العصر الأموى ، إذ كان اتخاذ الفسطاط عاصمة جديدة لمصر سببًا فى اضمحلال شأن الإسكندرية واضطرار علمائها إلى الذهاب إلى الشام التى غدت مقر خلفاء بنى أمية[18] .

ولكن لا نجد أثر مدرسة الإسكندرية ذاته على حركة الترجمة فى تاريخ الدولة العباسية .

والسبب الرئيسى فى ذلك هو اعتماد خلفاء بنى العباس – ممن اهتموا بهذه الحركة – على مدارس جديدة كانت أكثر قربًا لهم من مدرسة الإسكندرية وهما مدرسة «حران» ومدرسة «جنديسابور» حيث أمدت هاتان المدرستان خلفاء بنى العباس بالبعض من العناصر الرئيسية لحركة الترجمة[19] .

فمن حران وجنديسابور ظهر أعظم النقلة ، ومنهما أيضًا جاء البعض من رعاة هذه الحركة وقد كان أشهر الأطباء فى الدولة العباسية من نتاج هاتين المدرستين . ومن الملاحظ أن مدرسة الإسكندرية لم تتصل بالخلفاء العباسيين اتصال مدرسة حران وجنديسابور وأمثالها . ولم يكن لها أثر كأثرهما ولعل السبب فى ذلك بُعد مصر عن العراق وقرب حران وجنديسابور منه[20] .

مكتبة الاسكندرية :

تختلف المصادر القديمة فيما بينها حول مؤسس مكتبة الإسكندرية ودار العلم فيها . فمنها ما يعتبر أن المؤسس الأول هو « بطليموس الأول » ومنها ما يعتبره بطليموس الثانى ، غير أن صلة ديمتريوس فاليرس بمنشأ هاتين المؤسستين تؤيد الرأى الأول لأنه

---

(١٦) **رشيد الجميلى** : الترجمة ص ١٩٧.

(١٧) **ابن خلكان** : وفيات الأعيان جـ١ ص ٢١١

خودا بخشى : الحضارة الإسلامية ترجمة الخربوطلى ص ١٥٣

(١٨) **د. إبراهيم العدوى** : الإمبراطورية البيزنطية القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٢٧٥ .

(١٩) **ماكس ما يرهوف** : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص ٤٠٧ .

(٢٠) **أحمد أمين** : ضحى الإسلام جـ١ ص ٢٦٢ .

فقد مكانته فى القصر البطلمى منذ أوائل عهد بطليموس الثانى ولذلك فإنه يرجح أن يكون بطليموس الأول هو الذى خطا حوالى سنة ٢٩٠ الخطوة الأولى فى سبيل انشاء دار العلم والمكتبة[٢١] .

قام «بطليموس سوتر» ببناء متحف الإسكندرية وألحق به مكتبة . ولكن نشاط بطليموس أثرى هذه المكتبة حتى أصبحت أعظم مكتبات العالم القديم ، وهى بمفردها جعلت الإسكندرية كعبة العلماء[٢٢] .

كانت مكتبة الإسكندرية هذه أشهر المكتبات فى العالم القديم ولكنها لم تكن المكتبة الوحيدة ، كما أنها لم تكن أقدم المكتبات . فقد تأسست مكتبات عامة أخرى فى أثينا ثم فى أنطوخيا (أنطاكية الحالية) وبرجامة وجزيرة رودس وأزمير وكوش وغيرها .

فمن المؤكد أن مجموعات من أوراق البردى وجدت فى مصر كما وجدت مجموعات من الألواح المسمارية فى بلاد ما بين النهرين . غير أن أقدم المكتبات التى اشتملت على هذه المجموعات ضاعت وتبعثرت وإن كان بعض ذخائرها قد وصل إلينا[٢٣] .

وقد قام ديمتريوس فاليرس اليونانى بجمع نواة مكتبة الإسكندرية أثناء وجوده فى اليونان ويمكن أن نطلق عليه مؤسس فكرة المكتبة ، إلا أن هذا العمل ينبغى أن ينسب أيضًا إلى الملكين الأول والثانى من البطالمة إذ كان بطليموس الأول (سوتر) هو الذى أمر بتأسيس المكتبة وتنظيمها على نفقته الخاصة ، ثم جاء من بعده بطليموس الثانى وأكمل ذلك العمل فيلادلفيوس[٢٤] .

وقد قام الملوك برعاية المكتبة فأدى ذلك إلى ازدهارها ونموها سريعًا حتى كان منتصف القرن الثالث وقد أصبح عدد الكتب حوالى ٧٠٠ ألف كتاب ومجلد وأصبح المبنى الأصلى للمكتبة ضيقًا بحيث صار من الضرورى أن ينشأ ملحق للمكتبة وكان ذلك فى «السارابيون» وهو «السرابيوم» فى اللغة اللاتينية[٢٥] .

وقد أعطت المكتبة الأم مكتبة السرابيوم حوالى ٤٢٫٨٠٠ لفافة بردية عن طريق الهدية أو الإعارة .

---

(٢١) Tarn : Hellenestic Civilisation IX ed. 3, 1952, p 236

(٢٢) **أوليرى** : انتقال علوم الإغريق إلى العرب ص ٢٨ .

(٢٣) **د. نجيب بلدى** : تاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها ص ٤٧ .

(٢٤) **د. إبراهيم نصحى** : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٤ ص ٢٢٦.

(٢٥) **زكى شنودة** : موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ ص ١١٩.

وربما كانت هذه العملية وسيلة لإفساح مكان فى المكتبة الأم والتخلص فى الوقت نفسه من النسخ غير الكاملة أو المكررة(٢٦) .

وشغف ملوك مصر بتزويد مكتبتهم وتنميتها ، فاستخدموا من أجل ذلك طرقًا استبدادية . ومن هذه الطرق أن بطليموس الثالث أمر أن يقوم كل مسافر يصل إلى الإسكندرية بتسليم كل ما كان يوجد معه من كتب . فإذا كانت هذه الكتب لا تحتويها المكتبة أخذت من أصحابها وأعطوا بدلاً منها نسخًا مكتوبة من البردى الرخيص .

ظلت مكتبة الإسكندرية غنية وعامرة بكتبها النادرة إلى أن حاصر يوليوس قيصر مدينة الإسكندرية سنة ٤٨ وأشعل النار فى الأسطول المصرى فامتدت النار إلى أرض الميناء ويقال أنها أحرقت جزءًا من المكتبة(٢٧) .

غير أن هذا القول ليس من السهل تصديقه لأن المكتبة الرئيسية كانت على مسافة بعيدة كل البعد من الميناء والأرصفة ، وذلك لأن السرابيوم كان مبنيًا بعيدًا جدًا فوق تل مرتفع . غير أنه من المحتمل أن كمية المؤلفات كانت قد حملت إلى الميناء لنقلها إلى روما وأن هذه الكمية من المؤلفات هى التى امتد إليها الحريق(٢٨) .

وقد ازداد تدهور المكتبة بازدياد نفوذ الأساقفة المسيحيين على مدينة الإسكندرية . فقد كره المسيحيون الأوائل المكتبة أشد الكره لأنها كانت فى نظرهم معقل الكفر والخلاعة ، ولهذا كانت موضع الهجوم الصامت حتى آل إليها الخراب وذلك فى حوالى سنة ٤١٦م .

وقد استخدم كثير من المؤلفين كلمة « ببليوتيكى » عنوانًا لمؤلفاتهم . ومثال ذلك أولاً أبوللودوروس الأثينى [النصف الثانى من القرن الثانى ق . م] وتعتبر « البيليوتيكى » الخاصة به أحدث قرنًا على الأقل من استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى . وثانيًا ديودور الصقلى [النصف الثانى من القرن الأول ق . م] توتيوس البيزنطى [النصف الثانى من القرن التاسع](٢٩) .

(٢٦) Sarton : G = Introduction to the History of Science p 143.

(٢٧) **شوكت الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٤٩.

(٢٨) **جورج سارتون** : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٤٨.

(٢٩) **نجيب بلدى** : تاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها – القاهرة ص ١٢٦.

يضاف إلى ذلك أن عبارة « فى المكتبة الملكية » استخدمت فى ترجمة الكتاب المقدس[30] .

إن من خصائص المكتبة هو وجود مجموعات من الكتب ومبنى يضم هذه المجموعات ، وفئة من الموظفين لحفظ هذه المجموعات وترتيبها والإشراف على استخدامها .

وهذه الفئة من الموظفين تكون فى أول الأمر فردًا واحدًا حتى إذا نمت المكتبة من حيث محتوياتها وأهميتها صارت فى حاجة إلى عدد آخر من أولئك الموظفين فضلاً عن مدير أو أمين مكتبة .

وكان يلحق بالمكتبة العامة معهد العلوم [الموسيون] وهو مركز البحوث العلمية ، وكانت مكتبة مركز الدراسات الأساسية غير أنها كانت أيضًا قسمًا ضروريًا من أقسام معهد العلوم[31] .

وقد كان الموسيون وكذلك المكتبة - على الرغم من أنه لم تضمهما أرض القصور الملكية - كانتا على الأقل فى البروكيون[32] وهو الحى المقدونى - اليونانى فى الإسكندرية وأنهما خضعتا معًا للأوامر الملكية .

لقد كانت مصر هى النبع الذى استقى منه اليونان أغلب مظاهر حضارتهم . وكان الكثير من معلوماتهم فى الفلك والرياضيات والطب والأدب والفلسفة والفنون والصناعات مأخوذة فى الأصل عنها . فلئن كان للحضارة اليونانية فضل على الحضارة الحديثة فقد كان الفضل الأول والأسبق للحضارة المصرية على اليونان والعالم كله .

---

(٣٠) **العهد القديم** : سفر استر : إصحاح ٢ : ٢٣.

(٣١) **Parsons** : The Alexandrian Library p 102.

(٣٢) كان البروكيون هو الحى الأرستقراطى فى مدينة الإسكندرية القديمة وموقعه بين جنوبى الميناء الكبير إلى رأس لوخياس الواقع شرق الميناء . وقد اشتمل هذا الحى على القصور الملكية ومصالح الحكومة ودور السادة من المقدونيين واليونانيين فضلا عن الضريح الملكى .

جورج سارتون : تاريخ العلم جـ٤ ص ٢٥٧.

٢ - مدرسة أنطاكية

يطلق اسم مدرسة أنطاكية على تلك المدرسة التى أسسها سنة ٢٩٠ م لوقيانوس[٣٣] [٢٣٥ - ٣١٢ م] التى تعتبر الحلقة الأولى فى انتقال التعليم إليها من الإسكندرية فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز[٣٤] .

وقد قيل أن أول من بنى أنطاكية هو أنطيخوس وهو الملك الثالث بعد الإسكندر .

وقيل أن من بناها هو « أنطينونيا » فى السنة السادسة من موت الاسكندر و لم يتمها ، فأتمها من بعده « سلوقس » وهو الذى بنى اللاذقية وحلب والرها وأفاميا[٣٥] .

وقد كان المنهج العلمى الذى اتبع فى مدرسة الإسكندرية هو نفسه الذى اختط فى هذه المرحلة وكان أساس هذا المنهج هو العلوم اليونانية . فقد كانت هذه المدينة مركزًا للثقافة العلمية اليونانية ، ومع ذلك فإنها عانت الكثير من الأحداث فى القرون الأخيرة قبل أن يستولى عليها العرب [١٧ هـ / ٦٣٨ م] منذ خربها الفرس ، ونظرًا لوقوعها على الحدود بين الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية العربية فقد بقيت فى العصر الإسلامى موضع نزاع مستمر . وعلى الرغم من هذا الموقع المضطرب فقد اختيرت هذه المدينة كمركز علمي هام نظرًا لأن هذا الموقع نفسه قد جعل من السهل إحضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى[٣٦] . فقد كانت حركة التبادل بسيطة ودائمة على الحدود فى الفترات الخالية من الحروب ، إذ كان أهل الفكر والعلم فى بحث مستمر عن أمثال هذه المخطوطات وذلك من أجل تأسيس مكتبة، أو من أجل إكمال المكتبات القائمة من قبل . وأكبر دليل على ذلك هو ما كان يقوم به حنين ابن إسحق إذ كان

---

(٣٣) **لوقيانوس** : ولد فى سميساط بسوريا درس الكتب المقدسة فى الرها ثم انتقل الى انطاكية ليخدم الكنيسة وهناك درس الفقه والبلاغة والفلسفة . صار تلميذ لبولس السميساطى الذى أوكل إليه مهمة التعلم فى أنطاكية . تمتع بشهرة واسعة للثقافة العميقة واجادته اللغة العبرية . قام بتحقيق وتنقيح التوراة فى شكلها المعروف بالترجمة السبعينية Version Septante **والتى استعملتها كنائس أنطاكية حتى القسطنطينية** .

يوسف الياس الدبس : تاريخ سوريا الدنيوى والدينى جـ٢ مجلد ٣ ص ٦٠٧ .

(٣٤) **أسد رستم** : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب - بيروت - دار المكشوف سنة ١٩٥٥ جـ١ ص ١٥٠ .

(٣٥) **ياقوت الحموى** : معجم البلدان جـ١ ص ٢٦٦.

(٣٦) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe, Tome II, p 183.

يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة للمصنفات المختلفة مثال ذلك « كتاب البرهان » لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وقد قال حنين : « إننى بحثت عنه بحثًا دقيقًا وجُبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنى لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق(٣٧) .

اشتهرت أنطاكية بأنها من أول المدن التى قام فيها زعماء الدين المسيحى بأول حركة فكرية أدت إلى ذيوع الفلسفة اليونانية وذلك بعد مناظرات عديدة . وقد قام بهذه الحركة معلمان أحدهما « ديودوروس الطرسوسى » [٣٣٠ - ٣٩٤ م] والثانى ثاودروس المصيصى [٣٥٠ - ٤٢٩ م] وكانا شديدى الاعتقاد بناسوتية المسيح عليه السلام . وكان من أكبر المؤيدين لهما راهب فى أنطاكية سورى الأصل يسمى « نسطوريوس » وكان واحدًا من أبرز المفكرين الذين أفرزتهم مدرسة أنطاكية ، وقد ترق إلى أن انتخب بطريركًا للقسطنطينية وكان أكثر القائلين برأيه من الرهبان فسموا النسطوريين أو النساطرة(٣٨) .

وقد استطاع بعض أتباع نسطوريوس أن ينتشروا فى غربى آسيا وفى بلاد العرب وسوريا وما بين النهرين وأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب منتزعة من الفلسفة اليونانية فأصبح كل راهب نسطورى بحكم الضرورة معلمًا فى الفلسفة اليونانية فنقلوا بذلك فلسفة أرسطو ، ولم يكتفوا بذلك بل نقلوا مع الفلسفة علوم الطب والكيمياء والفلك لاعتقادهم أن بين تلك العلوم والفلسفة صلة قريبة ، وكان الاعتقاد السائد فى ذلك العصر أن علم الفلك متصل بعلم الطب لأن للفلك علاقة بنشوء الأمراض وصلة كبرى بالصحة والمرض والحياة والموت .

وقد أشاع أتباع « نسطور » فى سوريا وما بين النهرين وخاصة فى الرها نصيبين وما جاورها مدارس تدرس باللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وكان لهذه المدارس شأن عظيم كمعاهد علمية فى أواخر القرن الخامس الميلادى(٣٩) . ولم يطل المقام بالنسطوريين فى تلك البلاد والعمل فى مدارسها حتى أمر الأسقف الأرثوذكسى « سيروس » بطردهم منها سنة ٤٨٩ م ، فهاجروا إلى إيران حيث ساهموا فى رفعة

---

(٣٧) **ماكس مايرهوف** : العشر مقالات فى العين ص ٢٩.

(٣٨) **Arbaya Barhadbesabba** : Histoire Nestorienne vol VII, Paris 1909, p 38.

(٣٩) **د. شوكت الشطى** : تاريخ الطب وطبقات الأطباء ص ٧١ .

مدرسة جنديسابور الذائعة الصيت بتعليم الفنون المعروفة فى ذلك الزمن وخاصة مؤلفات أرسطو وأبقراط . ولحق بهم إلى منفاهم فلاسفة من أتباع أفلاطون اضطهدهم الإمبراطور « جستنيان » فطردهم من أثينا سنة ٥٢٩ م فأحسن الفرس استقبالهم تكريمًا لعلومهم من جهة ، ولأنهم كانوا فى ذلك الوقت من أعداء بيزنطة عدوة الفرس من جهة ثانية(٤٠) .

هكذا زود النسطوريون بعض بلاد الشرق : سورية ، ما بين النهرين وإيران بالحضارة اليونانية فنشروها وزادوا عليها . وساعدهم فى ذلك أتباع أفلاطون المنفيون من عاصمة اليونان . ونقل هؤلاء جميعًا مؤلفات فلاسفة اليونان وترجم النسطوريون الكثير منها إلى اللغة السريانية وظلوا كذلك إلى أن دخل العرب بلاد ما بين النهرين(٤١) .

أما اليعاقبة ففى القرن السادس الميلادى أنشأ « يعقوب السروجى » فرقة اليعاقبة وكان تحاكى بآرائها آراء النسطوريين لذلك اضطهدتهم إمبراطورية بيزنطة ولكنهم لم يخرجوا من بلادها ، ثم أرسلوا طائفة منهم خارج الإمبراطورية لتثبت تعاليمهم فاتبعوا نفس الطريقة التى اتبعها النساطرة واستعملوا اللغتين القبطية والسريانية . وقد نبغ من اليعاقبة سرجيس الرأس عينى المتوفى سنة ٥٣٦ م(٤٢) .

وعلى الرغم من أن آراء اليعاقبة تحاكى آراء النساطرة إلا أن ذلك لم يمنع من وقوع منافسة شريفة بين الفريقين وأتباعهما ، سواء فى العلم أو فى الحياة ، من ذلك أن بطريرك النساطرة نال حق السكنى فى بغداد وجعلها مقرًا لكرسيه ، وهو امتياز سعى اليعاقبة إلى نيله .

لم يكن لليعاقبة مدارس ظاهرة الأثر كما كان للنساطرة ولكنهم استعاضوا عن ذلك بأديرة عنيت بالطبابة والعلوم إلى جانب عنايتها بأمور الدين وقد ضاعت معالم أكثرها إلا من كتب قيمة دونت تاريخها .

لقد أصبحت أنطاكية الموطن الجديد لتعالم مدرسة الإسكندرية . وقد أثرت هذه المدينة فى ازدهار الحضارة الجديدة كما أثرت فيها من قبل مدرسة الإسكندرية ، إذ استطاعت أنطاكية أن تهيىء معظم المستلزمات لأولئك العرب الذين كانوا يجوبون مختلف المناطق بقصد الحصول على المصنفات اليونانية المختلفة .

(٤٠) بطرس نصرى الكلدانى : ذخيرة الأذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ص١٩٧.

(٤١) ليونارد وولى : وادى الرافدين مهد الحضارة ص ١٨٥.

(٤٢) الأب ألبير أبونا : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ٨٧.

ومن مدرسة أنطاكية ينتقل مجلس التعليم ثانية إلى مركز جديد إلى موطن الصابئة إلى مدينة حران .

٣ - مدرسة حران

تقع حران[٤٣] فى شمال غرب العراق بين الرها ورأس العين وقد اتخذت عاصمة لإمارة « فدان أرام » ، كما كانت مركزًا هامًا من مراكز الثقافة الأرامية .

لقد مرت حران بأربعة أدوار : الدور القديم فى الكتاب المقدس والدور اليونانى ، والدور الرومانى والدور الإسلامى . وعلى الرغم من وجود كنيسة مسيحية بها ، فقد ظلت دائمًا بلدًا وثنيًا لأنها كانت مركز عبادة « سين » إله القمر ، تلك العبادة التى استمرت سائدة فيها حتى فى العهد المسيحى والإسلامى ، وقد خير الخليفة المأمون فى مستهل القرن الثالث الهجرى أهلها بين الإسلام وأى دين كتاب وبين القضاء عليهم ورفقائهم فاعلنوا أنهم الصابئة الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم[٤٤] وهم طائفة تعميدية مسيحية يسمون باسم «المنداعيين» أو «الصابئة» .

وقد سكن حران كثير من اليونانيين فى عهد الإسكندر الأكبر ، وكان من أثر ذلك أن الآلهة المعبودة عند الحرانيين قد اتخذت أسماء يونانية .

ففى بداية ظهور المسيحية كان شمال العراق ومنه حران يسكنه أهله الأصليون وهم « السريان » وكثير من المقدونيين والإغريق والأرمن والعرب . ولما قويت المسيحية وأصبحت دين الرومان الرسمى حاولوا أن يضغطوا على الحرانيين ليعتنقوا المسيحية فلم يفلحوا ، من أجل ذلك كان رجال الكنيسة يطلقون على حران مدينة الوثنيين هيلينوبوليس Hellennopolis[٤٥] وظلت حران (مدينة الوثنيين) تجذب إليها الذين لم يشاءوا الدخول فى المسيحية من اليونانيين وغيرهم .

ويبدو أن دين أهل حران كان مزيجًا من الديانة البابلية واليونانية القديمة والأفلاطونية الحديثة .

وقد قامت مدرسة حران فى عهد الخليفة المتوكل [٨٤٧ - ٨٦١ م / ٢٣٢ -

---

(٤٣) **حران** : تسمى باللاتينية Carrhae وأصلها فى لنقوش المسمارية «خرانو» بمعنى طريق .

(٤٤) **القرآن الكريم** : سورة المائدة : آية ٦٩ .

(٤٥) **عبد الرحمن بدوى** : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص ٧١ .

٢٤٧ هـ] حين انتقلت إليها مدرسة أنطاكية التى كان قد انتقل إليها مركز الترجمة من مدرسة الإسكندرية فى أول الأمر(٤٦) .

ولقد توافرت عدة عوامل ساعدت حران على أن تخلف أنطاكية ، إذ كانت مركزًا هامًا للثقافة اليونانية فى المنطقة التى تكلم أهلها اللغة السريانية ، كما كانت كذلك مركزًا للتبادل والاتصال الثقافى(٤٧) . ومما يدل على مالها من أهمية قديمة أن أخر الخلفاء الأمويين وهو مروان الثانى(٤٨) نقل مقر خلافته حينًا إلى هذه المدينة التى كان أهلها وثنيين يعبدون الكواكب حتى غدوا نتيجة تأملاتهم وملاحظة السماء أساطين الدراسات الفلكية وعلم الفلك الذى كان يعتبر أحد العلوم الرئيسية التى اشتمل عليها منهاج هذه المدرسة .

تعتبر حران من أشهر المراكز الوثنية للسريانية وقد ظلت هذه المدينة مركزًا للديانة الوثنية والثقافة اليونانية إلى ما بعد الإسلام ، وهم الذين تسموا بعد ذلك فى عصر المأمون وبعده بالصابئين(٤٩) .

وكانت حران ومنذ عهد « المتوكل » لها القدح الأعلى فى إنجاب علماء ورياضيين وفلكيين ، ولو لم ينبغ منها غير « ثابت بن قرة » وأولاده لكفاها فخرًا .

ومعظم الصابئة الذين تخرجوا فى حران نقلوا العلوم إلى العراق والشام إلا أن أعمالهم كانت عمل أفراد لا عمل جماعة . فلم نسمع لها تلك الرنة القوية كما كان على عهد الخلفاء الأول من العباسيين فى بغداد(٥٠) .

وقد أسهمت مدينة حران إسهامًا كبيرًا فى ازدهار الحضارة الإسلامية وذلك بما أخرجه أبناؤها من ترجمات لتراث اليونان الذى كان سائدًا هناك . وقد كان لهذه الترجمات وقع حسن فى نفوس القائمين على رعاية هذه الحركة لما امتاز به نقلتها من

---

(٤٦) **كارل بروكلمان** : تاريخ الشعوب الإسلامية بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٢٠٢ .
(٤٧) **د. إبراهيم العدوى** : الروم ص ١٦٦ .
أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٢ .
(٤٨) هو أبو عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ولد سنة ٧٢ هـ وقتل سنة ١٣٢ هـ .
عبد الرحمن بدوى : الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص ١٠٢ .
(٤٩) **محمود شلبى الألوسى** : بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب القاهرة سنة ١٩٢٤ جـ٢ ص ٢٢٣.
(٥٠) **رشيد الجميلي** : حركة الترجمة ص ١٩٧.

مهارة فى النقل وجودة فى التعبير . فكانت حران بذلك مصدرًا جديدًا ومهمًا فى آن واحد اعتمد عليه العرب فى نهضتهم العلمية اعتمادًا كبيرًا .

يقول خودابخش :

« كان سكان حران – وقد انفردوا بين أهل سوريا بالاحتفاظ بعقيدتهم – هم المنبع الرئيسي الذى استمد منه العرب معلوماتهم عن الثقافة والحضارة الإغريقية وقد تفوقوا على الآخرين بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذا كانت ترجمتهم أكثر دقة »(٥١) .

لم يهتم علماء حران فى ترجماتهم بالكتب الرياضية والفلكية وحسب ، وإنما شملت ترجماتهم إضافة لباقى العلوم مثل علم الطب ، ومن جهة ثانية فإن أشهر علماء حران مثل «ثابت بن قرة» الذى يعتبر من مشاهير الأطباء فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وولده «سنان بن ثابت» الذى كان من أبرز أطباء القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى(٥٢) كان لابد أن يركزوا فى ترجماتهم – استنادًا إلى طبيعة مهنتهم – على المصنفات الطبية ، إضافة إلى المعرفة الضرورية بالفلسفة والتى كانت لابد منها لكل طبيب فى ذلك العصر تمشيًا مع ما جرى عليه العرف بضرورة الإلمام بعلم الفلسفة مع علم الطب بخلاف العلوم الأخرى التى كانت شائعة فى ذلك الوقت .

لقد استطاعت مدرسة حران أن تؤثر تأثيرًا بينًا فى ازدهار الحضارة الإسلامية وذلك بما أنجبته هذه المدينة من علماء فى مختلف العلوم .

إن مدرسة حران كانت من أهم المدارس تأثيرًا فى الحضارة الإسلامية فى القرن [٣ – ٤ هـ / ٩ – ١٠ م] حيث عمل النقلة من أتباع هذه المدرسة ، وبفضل مساعدة القائمين على أمر حركة الترجمة من نقل معظم ما كان موجودًا من كتب يونانية الأمر الذى أدى إلى اقتناء العرب لأهم علوم اليونان عن طريق نقلة حران ، فكانت بذلك المركز الحيوى الذى أضفى على حركة الترجمة طابعًا جديدًا من النشاط الفكرى ، عندما أقبل المسلمون على دراسة ما ترجمه أبناء هذه المدرسة من علوم يونانية فتحققوا منها وأخذوا بصحيحها وصححوا خطأها ، فازدهرت تبعًا لذلك عملية إجراء البحوث والتآليف فى هذه العلوم المترجمة وما صاحب ذلك من ازدهار شامل فى النهضة العلمية الإسلامية وكان لمدرسة حران الأثر المباشر فى ذلك(٥٣) .

---

(٥١) خودا بخشى : الحضارة الإسلامية ص ١٥٨.

(٥٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٨٢.

(٥٣) **Barhadbesabbba** : Le Cause de la foundation des Ecoles p. 36

٤ – مدرسة جنديسابور

تأسيس جنديسابور :

أخذ الفرس مجموعة كبيرة من الأسرى الرومان – أيام حكم فاليريان – وأرسلوهم ليعملوا فى بناء خزان عظيم يسمى « شادوزان » على نهر الدجيل أسفل « تستر » حيث لا تزال أجزاء منه باقية إلى الأبد . وقد عومل هؤلاء السجناء معاملة كريمة لأنهم كانوا على ثقافة أو مقدرة فنية ، ولأن « شاهبور » كان يعترف بتفوق الرومان فى هذه النواحى ، ويأمل أن يستخدم السجناء فى أعمال المهندسين والبنائين والأطباء المساحين وغير ذلك . وقد أسكن هؤلاء الأسرى فى ثلاث مدن حيث سمح لهم بالحياة طبقًا لقوانينهم الخاصة ، والكلام بلغتهم الخاصة واتباع ديانتهم الخاصة . وكانت احدى هذه المدن قرية من سوسة أو شوشان التى ورد ذكرها فى العهد القديم[٥٤] والتى كانت إحدى المنازل الشتوية واتخذت بلاطًا شتويًا للملك .

أما معسكر الأسرى الذى كان قريبًا من سوسة فقد سمى [به آن انديوى شابور] أو الشابورية التى تفضل أنطاكية[٥٥] وكانت هذه المدينة تسمى ايرانخرهسابور أو جنديسابور أى معسكر شاهبور ، ولكن السوريين سموها « بيت لابات » أى « دار الهزيمة » .

وقد كانت جنديسابور عاصمة خوزستان تحت حكم الساسانيين[٥٦] ، ولكون الأسرى أحرارًا فى اتباع ديانتهم الخاصة ، تمتعوا بحرية دينية تحت الحكم الفارسى ، أكثر مما سمحت لهم القوانين فى الإمبراطورية الرومانية ، لأن من كانوا منهم مسيحيين سمح لهم ببناء الكنائس والقيام عليها . على حين كانت المسيحية لا تزال موضع اضطهاد فى القوانين الرومانية .

وبعد وفاة شاهبور ملك الفرس [سنة ٢٧١ م] خلفه ابنه « هرمز الأول » الذى

---

(٥٤) **العهد القديم** : سفر دانيال اصحاح ٨ : ٢
سفر نحميا اصحاح ١ : ١
سفر استير اصحاح ١ : ٢

(٥٥) **الطبرى** : تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٦٧ الطبعة الحسينية

(٥٦) **Le Strange** : The Lands of the Eastern Caliphate p. 236

لم يحكم إلا مدة قصيرة وهى عام واحد فحكم بعده بهرام الأول . وقد كان بينه وبين جنديسابور صلة خاصة(٥٧) .

لقد خلف بهرام الأول ملكان يحمل كلاهما نفس اسمه هما بهرام الثانى [٢٧٣ - ٢٧٦] وبهرام الثالث [٢٧٦ - ٢٩٣] ثم خلفهما نـرسى Narssai] ٢٩٣ - ٣٠٢] .

تقع مدينة جنديسابور فى خوزستان بالأهواز وقد أسسها « سابور بن أردشير » [٢٤١ - ٢٧٢ م] فنسبت إليه وسميت « هانزيدوسابور » ومعناها « تلك خير من أنطاكية » ، أما كلمة جنديسابور فمعناها « معسكر سابور » حيث كانت المدينة معسكرًا للرومان .

وقد أعاد سابور الثانى [٣٠٩ - ٣٧٠ م] بناء المدينة وتجديدها وأطلق عليها اسم « انتيسابور » أى أنطاكية سابور(٥٨) وقد أعتبره بعض المؤرخين المؤسس الحقيقى للمدينة وقد أطلقت على المدينة عبر تاريخها عدة أسماء فدعاها السوريون « بيت لابات » أى بيت الهزيمة ثم حرف هذا الاسم إلى « بيل أباد » وكانت تسمى « نيلاط » أو « نيلاب » كما ينطقها أهلها وهى الآن قرية باسم « شاه أباد » فى خوزستان فى الجنوب الغربى لإيران .

وقيل أيضًا سميت بهذا الاسم لأن أصحاب « نسابور » الملك لما فقدوه خرجوا يطلبونه ، فبلغوا نيسابور ثم وجدوه بجندى سابور فقالوا : وجندى سابور فسميت بذلك(٥٩) .

وقيل أيضًا : ذكر فى سير الفرس أنه كانت هناك قرية لرجل يعرف « بجندا » وأن « سابور بن أردشير » لما اختار موضعها ليبنى مدينة بذل له مالاً جزيلاً فأبى الرجل أن يبيعها فقال دعنى أبنيها فأبى إلا أن يشاركه فى البناء وكان الأهالى يسألون من يعمرها فيقولون جندا وسابور فصار اسمها « جنديسابور » .

---

(٥٧) Scher : Chronique de Scert, IV, p 228

الطبرى : تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٦٥

(٥٨) Scher : Chronique de Scert, IV, p 221

(٥٩) ابن النديم : الفهرست : ص ٢٤١ .

أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر - بيروت دار المعرفة - جـ١ ص ٤٦.

وقد أنشئت مدينة جنديسابور لكى تكون معسكرًا للأسرى الرومان الذين كانوا يقعون فى أسر الدولة الفارسية خلال الحروب المتواصلة بينها وبين الدولة الرومانية .

ولهذا أسس سابور هذه المدينة لأسراهم حتى يستفيد من خبراتهم وعلمهم فى تحقيق نهضة حضارية ببلاده مماثلة لتلك النهضة الفاتحة فى بلاد الرومان .

فحين تولى « سابور بن أردشير » [٢٤١ - ٢٧٢ م] أمر الفرس استطاع أن يهزم فاليران إمبراطور الروم سنة ٢٥٨ م ويغزو بلاده ويفتح منها عدة بلدان . وقد تمكن سابور فى هذه الحروب من أن يأخذ « فاليران » أسيرًا هو وجيشه ولكنه أحسن معاملة هؤلاء الأسرى لثقافتهم الفائقة ولرغبته الملحة فى استغلال مواهبهم واستثمار مهارتهم فيما يعود على بلاده بالخير . لقد استخدمهم فى كثير من المنشآت الهندسية[٦٠] فأرسل كثيرًا منهم ليقيموا خزانًا عظيمًا يسمى « شاذوران » على نهر الدجيل أسفل تستر .

ولم يكتف سابور بذلك بل عمل على تحويل جنديسابور إلى مركز تعليمى وثقافى . فأرسل إليها البعثات والإرساليات وأمر بجمع كتب الفلسفة الإغريقية ونقلها إلى اللغة الفارسية[٦١] . كما استجلب إليها من ذاعت شهرته من العلماء والحكماء . فقد قام قيصر الروم بإرسال مجموعة من أشهر الأطباء الإغريق لخدمة ابنته زوجة سابور وعن طريقهم انتشر الطب الأبقراطى فى معظم الشرق[٦٢] .

سار خلفاء « سابور » على نفس نهجه فى الارتقاء بالحركة الفكرية والعلمية فى جنديسابور ، فأخذوا يستقدمون إليها النابغين فى الطب وتآليفه ، وأصبحت المدينة مركز جذب للفلاسفة من بلاد الإغريق وغيرها[٦٣] . كما سمح ملوك الفرس لعلماء مدرسة الرها وتلاميذها باللجوء إلى البلاد الفارسية خلال حملات الاضطهاد التى تعرضوا لها نتيجة لاعتناق أساتذتها المذهب النسطورى والتى توجت بإغلاق مدرستهم سنة ٤٨٩ م بأمر الإمبراطور زينون . وقد وجد هؤلاء اللاجئون مستقرًا لهم فى المدن الفارسية ومنها جنديسابور[٦٤] حيث سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية ومواصلة أنشطتهم الفكرية من جديد .

(٦٠) **السيد زغلول الشحات** : السريان والحضارة الإسلامية ص ٦١.
إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٢٠.
(٦١) **أبو الفداء** : المختصر فى أخبار البشر جـ١ ص ٤٧.
(٦٢) **ابن العبرى** : مختصر تاريخ الدول ص ١٢٩.
(٦٣) **جورج قنواتى** : تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط - القاهرة دار المعارف ص ١١٩.
(٦٤) **جورج قنواتى** : المسيحية والحضارة العربية ص ٨٠.

وتكرر نفس الأمر عندما أغلق جستنيان مدرسة أثينا الوثنية سنة ٥٢٩ م فقصد علماؤها بلاد فارس إذ دعاهم كسرى أنوشروان سنة ٥٣١ م للإقامة فى بلاده ، فبدأوا على الفور ترجمة التراث اليونانى فى مختلف العلوم ومن ثم انتقل هذا التراث الذى ترجم بفضل هؤلاء إلى العرب وعن طريق هذه المدرسة ذات الأثر البعيد فى الحضارة الإسلامية(٦٥) .

وقد وجد العرب فى بلاد فارس وسوريا حينما استولوا عليها خزائن من العلوم اليونانية فأمروا بنقل ما فى اللغة السريانية منها إلى اللغة العربية ثم أمروا بأن ينقل إليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قد نقل إلى اللغة السريانية ، فأخذت بذلك دراسات العلوم والآداب تسير قدمًا نحو الرقى(٦٦) . وكان من الطبيعى أن يقع اختيار كسرى أنوشروان على هذه المدينة ليقيم فيها مدرسة علمية جديدة ويفتح بذلك موردًا للعلم والفلسفة .

مدرسة جنديسابور :

هى تلك المدرسة التى أسسها « كسرى أنوشروان » [٥٣١ - ٥٧٨ م] فى مدينة جنديسابور .

وتعتبر مدرسة جنديسابور إحدى المدارس الهامة التى عملت على ازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى .

فقد كان أردشير أشهر ملوك الفرس وأكثرهم تشجيعًا للعلم وحبًا للعلماء وجمعًا للكتب ، وذلك لأن هذا الملك الذى حكم ما بين سنة ٢٢٦ و ٢٤١ أرسل فى طلب الكتب من الهند والروم والصين(٦٧) . وقد سار خلفاؤه من بعده على خطاه وخاصة « كسرى أنوشروان »(٦٨) ، فقد أرسل هذا الملك طبيبه « برزويه » إلى الهند بحثًا عن المصنفات الطبية الهندية فعاد ومعه كتاب كليلة ودمنة ، وتآليف هندية فى الطب وكذلك بعض الأطباء الهنود(٦٩) .. فترجمت تلك الأعمال من السنسكريتية إلى الفارسية ، كما أن كثيرًا من الأعمال الأخرى كانت قد ترجمت من الإغريقية إلى الفارسية أو السريانية .

---

(٦٥) Arnold : The Legacy p 313

(٦٦) **جواد على** : تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٨٢.

(٦٧) **أحمد أمين** : ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٧٦.

(٦٨) **جورجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ١٤٤.

(٦٩) **براون** : الطب العربى ص ٢٤.

فأنشأوا سنة ٥٣١ م مدرسة جنديسابور وكانت فى بادئ أمرها مدرسة طبية تتبعها مستشفى وتجمع بين دراسة الطب وممارسته فى الوقت نفسه(٧٠) . ولكنها سرعان ما نمت لتصبح معهدًا كبيرًا لا يقتصر على دراسة الطب فحسب بل يشمل أيضًا دراسة الفلسفة والرياضيات والفلك والموسيقى والكيمياء(٧١) حيث بلغت فى هذا المجال شأنًا عظيمًا . ويرجع الفضل فى هذا الازدهار إلى العلماء السريان من النساطرة على وجه الخصوص الذين كانت لهم مقدرة لغوية فائقة فى منطقة متعددة الثقافات .. فقد تمكنوا من استيعاب التيارات الثقافية الجديدة مع الاحتفاظ بالتراث القديم فكانوا خير وسطاء لنشر الثقافة الطبية بين العرب فرسمت مدرسة جنديسابور خطوات مدرسة الإسكندرية وقد استلهمت خططها ومناهجها بل واستعارتها وأفسحت لها المجال فى دراستها ، فكان برنامج الدراسة فيها صورة لما كان عليه فى الإسكندرية .

ففى أواخر عهد مدرسة الإسكندرية اعتبرت مؤلفات « جالينوس » [٢٠٠ م] حجة فى الطب ، واتخذت مختارات من مؤلفاته برنامجًا رسميًا لدراسة الطب وقد أستعيد هذا البرنامج فى مدرستى الرها وجنديسابور وأعدت نسخ سريانية ليستعملها الطلبة الذين يتكلمون السريانية(٧٢) .

وإلى جانب الثقافة اليونانية والسريانية كانت هناك الثقافة الهندية فكان بعض الهنود يشترك فى التدريس باللغة البهلوية(٧٣) . فقد أمر كسرى بنقل الكتب الهندية المكتوبة باللغة السنسكريتية(٧٤) التى حملها إليه سفراؤه من الهند إلى اللغتين السريانية والبهلوية وبذلك قوبلت النظريات الهلينية الطبية فى جنديسابور بنظريات الأطباء الهنود .

---

(٧٠) **أحمد أمين** : ضحى الإسلام جـ١ ص ٢٥٥.

(٧١) **جورجى زيدان** : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٢٩١.

(٧٢) **أوليرى** : مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب ص ٥٠.

(٧٣) **اللغة البهلوية** : كلمة بهلوى نسبة إلى «برثو» وهى القبيلة الكبيرة التى كانت تعيش فى الناحية التى تسمى اليوم بمقاطعة خراسان . واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والبطولة وخاصة فى حروبها مع اليونان وطردها من إيران سنة ٢٥٠٠ ق.م وذلك بعد فتح الإسكندر لإيران بثمانين عاما والخط البهلوى يتكون من خمسة وعشرين حرفا صامتا وصائتا وكان قد اشتق من الخط الأرامى .

الدكتور الصفصاف أحمد المرسى : السلالات اللغوية عين شمس سنة ١٩٨٠ ص ٢٤.

(٧٤) **السنسكريتية** : هى لغة الهند المقدسة وترجع نصوصها الأدبية التى تعرفها الى غضون الألف الأولى قبل الإسلام :

والصفصاف أحمد المرسى : السلالات اللغوية ص ١٧ .

لم تكن لغة أهل جنديسابور واحدة ، وإنما كان بها من يتكلم الإغريقية ، وقد تكون الظروف قد اضطرت السكان إلى استعمال الفارسية ، غير أن اللهجة السريانية أصبحت لغة الدراسة فى الطب وفى العلوم الطبيعية فى مدارس الفرس تحت حكم الساسانيين وكان ذلك على الخصوص فى مدرسة جنديسابور(٧٥) وأصبحت جنديسابور مركزًا لامتزاج هذه الثقافات وتفاعلها فيما بعد .

وإذا كانت مدرسة حران قد أثرت بصورة رئيسية فى ازدهار حركة الترجمة فى القرن الثالث والرابع من الهجرة فإن جنديسابور كان لها الأثر المباشر فى ازدهار هذه الحركة .

فقد بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة فى أوائل حكم العباسيين الذين نقلوا عاصمة الملك إلى بغداد . فقد أمدت الخلفاء المسلمين بأمهر الأطباء المشهورين كالطبيب النسطورى جورجيس بن بختيشوع الذى استدعاه « الخليفة المنصور » من جنديسابور لعلاجه وأصبح طبيب الخليفة وتوفى فى أيامه وكان لبختيشوع خبرة فى تصوير العلل والعلاج فقط وهو الذى مهد لذويه بالحظوة لدى الخلفاء ورجال الدولة وأصبح آل بختيشوع منذ ذلك الحين أطباء البلاط العباسى لفترة طويلة ويقول محمد كامل حسين : فقد كانوا يمثلون صنفًا من الأطباء كان معروفًا عند القدماء هم أطباء البلاط . هؤلاء يكون ذكاؤهم أكثر من علمهم ، والصفات الغالبة عليهم المهارة وحسن التصرف وكثير من الدهاء فى مقاومة الدسائس ولم يغضبوا خليفة أبدًا(٧٦) .

كانت مدرسة جنديسابور هذه إحدى المسالك التى انتقلت من خلالها الثقافة الإغريقية إلى العرب ، فكانت بذلك رافدًا هامًا من الروافد التى اعتمدت عليها الحضارة العربية الإسلامية فى أيام ازدهارها ، إلا أننا نجد أن بعض الباحثين المحدثين يرى أن مدرسة جنديسابور هذه كانت السبيل الوحيد الذى انتقلت عبره الثقافة الإغريقية(٧٧) .

قال فتحى عثمان : « إن الثقافة الإغريقية لم تنتقل إلا عن طريق جنديسابور فقد كان كسرى الأول ٥٣١ – ٥٧٨ م رغم حربه للروم معجبًا بالثقافة الإغريقية الرومية ، فأكرم الفلاسفة الذين طردوا من أثر إغلاق مدرسة أثينا أيام جستنيان ، وأنشأ مدرسة

(٧٥) **حسن عوف** : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٢١.
(٧٦) **محمد كامل حسين** : أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ٢٦٩.
(٧٧) **عبد الرحمن بدوى** : التراث اليونانى ص ٥٦.

جنديسابور على نهج مدرسة الإسكندرية . وقد جرى التدريس بالسريانية كما كان الحال فى نصيبين وفى المدارس النسطورية الأخرى »[٧٨] .

والواقع أن هذا الكلام فيه بعض التقصير وذلك بسبب أن المسالك التى سلكتها الثقافة الإغريقية فى طريقها إلى العرب قد تنوعت ولم تسلك مسلكًا واحدًا .

فقد كانت مدرسة الإسكندرية – كما عرفنا – مسلكًا هامًا لنقل تراث الإغريق إلى العرب وخاصة فى العصر الأموى . وقد استمر ذلك التيار – وإن خفت حدته – إلى العصر العباسى . ثم أن مدرسة أنطاكية كانت هى الأخرى مجالاً مهمًا تمكن العرب من خلاله من الحصول على المخطوطات اليونانية الهامة لمختلف علوم اليونان . ومن ثم جاءت مدرسة « حران » لتكمل سلسلة الانتقال لمدرسة الإسكندرية فى منهج تعليمها وليستقر فيها تراثها وتراث مدرسة أنطاكية التى كانت الحلقة الأولى فى انتقال مدرسة الإسكندرية إليها ، وأخيرًا جاءت مدرسة جنديسابور لتضيف بدورها مسلكًا جديدًا من المسالك التى انتقلت بواسطتها الثقافة الإغريقية إلى العرب .

كانت جنديسابور معهدًا للدراسات الفلسفية والطبية ، وكان معظم أساتذتها من النصارى النسطوريين،على أن كسرى كان له شغف بالثقافة العقلية فشمل تسامحه كلاً من النسطوريين واليعقوبيين ، وصار النصارى السريان أطباء فنالوا الحظوة التى نالوها فى قصور الخلفاء فيما بعد[٧٩] .

ولقد بدأ اتصال العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام . فقد تغلغل النفوذ الفارسى فى الجزيرة العربية أيام كسرى أنوشروان الأول الذى استجاب لنجدة اليمنيين فأرسل لهم حملة حررتهم من نير المسيحيين الأحباش سنة ٥٧٠ م مما كان سببًا فى توثيق العلاقات الفارسية العربية ، وحدا بعدد عظيم من جند هذه الحملة ممن طاب لهم المقام فى اليمن أن يتخذوا لأنفسهم زوجات عربيات ثم يستوطنوا اليمن و لا يبرحوها . ولقد سارت الأمور إلى أبعد من ذلك إذ أن بلاد العرب الجنوبية ظلت ولاية فارسية إلى أن فتحها المسلمون .

ومن أشهر الأطباء الذين درسوا أو تلقوا العلم فى جنديسابور هو «الحارث بن كلدة» .

---

(٧٨) صبحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية جـ٣ ص ٢٦٤.

(٧٩) De Boer : The History of Philosophy p 14

فقد كان «الحارث بن كلدة» أقدم أطباء العرب الذين تلقوا العلم فى جنديسابور واليمن ثم عمل بأرض فارس واشتهر هناك[٨٠] . ويروى أن كسرى أنوشروان كان معجبًا به وقد استدعاه يومًا إلى مجلسه ثم قامت بينهما محاورة مشهورة يمكن أن توصف بأنها دستور طبى جليل الشأن .

يعتبر « الحارث » أول طبيب عربى تلقى علومه بطريقة علمية واستحق لقب طبيب . وقد توفى الحارث سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م ثم خلفه ابنه النضر . وقد تتلمذ كأبيه فى مدرسة جنديسابور واجتمع مع الأفاضل من العلماء وصحب الأحبار والكهنة وقد استفاد من خبرات أبيه فى الطب .

كانت مدرسة جنديسابور فى أوج عظمتها أيام مولد الرسول محمد ﷺ ، وكانت مركزًا تلتقى فيه العلوم اليونانية والشرقية ، فالعلوم اليونانية جاءت عن طريق العلماء اليونانيين ولكن الفضل الأكبر يعود إلى السريان الذين قاموا بنقل هذا التراث إلى الشرق .

ومع أن الدراسة الطبية فى جنديسابور كانت يونانية إلا أن هناك أسسًا فارسية ولا سيما فى علم الصيدلة [الفارماكولوجى] حيث أن الأسماء العربية المستعملة فيه ذات أصل فارسى[٨١] فمثلا .

– **خانكة** : مأخوذة من الكلمة الفارسية «خانكاه» التى عربت إلى «خانقاه» بمعنى محل اجتماع الدراويش وهى مركبة من [خانه – كاه] ودخلت العامية بمعنى المستشفى الخاص بالمجانين .

– أقراباذين = علم تركيب الأدوية .
– بهق = مرض خارج الجلد [البهاق]
– بيمارستان = مستشفى
– أجزاخانة = صيدلية
– راوند = نبات يؤخذ منه نبات مسهل من الفارسية رهانْدن = أعطى مسهلاً
– ششم = حب صغير بذر مسحوقه فى العين لمعالجة الرمد
– حشم = (الفارسية) عين

(٨٠) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe p 26

(٨١) د. الصفصافى أحمد المرسى : السلالات اللغوية ص ٦١.

– قولنج = مغصى – قولنج
– موميا = جثة محنطة
– ميبة = نوع من الأدوية مى = خمر + به = سفرجل

ومن جهة أخرى فقد كان لمدرسة جنديسابور أهمية خاصة لكونها البوتقة التى انصهرت فيها الأفكار اليونانية والهندية إضافة إلى الأفكار الفارسية ، فنتج عن هذا تلاحم فكرى أدى إلى ازدهار الحركة العلمية فى بلاد فارس فى عصر الحاكم المستنير « كسرى أنوشروان » .

وكانت مدرسة جنديسابور – فى هذه الناحية – تذكرنا بتاريخ مدرسة الإسكندرية من قبل وكيف أنها كانت ملتقى علماء الشرق والغرب . ومن ناحية أخرى فإن ما اتصف به مؤسس هذه المدرسة من حيث العلم والأدب بالإضافة إلى تسامحه الدينى والفكرى ، يذكرنا أيضًا بما اتصف به أعظم خليفة عباسى فى هذا المجال ألا وهو الخليفة المأمون .

وفى النهاية فإن تلك المدارس العلمية وجنديسابور إحداها كان لها الدور الفعال فى التمهيد لبروز مركز جديد للترجمة وهو أعظم مركز أنشىء فى العصر العباسى ألا وهو بيت الحكمة البغدادى[٨٢] .

بيت الحكمة

فى سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م أنشأ الخليفة المأمون بيت الحكمة فى بغداد ، وهو مجمع علمى ومرصد فلكى ومكتبة عامة .. وكان بيت الحكمة أعظم مركز علمى أنشىء فى العصر العباسى فقد أنفق على إنشائه حوالى مائتى ألف دينار وأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال[٨٣] .

ولكن مما هو جدير بالذكر أن المؤسس الحقيقى لبيت الحكمة هو الخليفة العباسى « هارون الرشيد » فهو يعتبر واضع عنوانها ثم نماها « المأمون » وقواها .

فقد رووا أن « الرشيد » ولّى « يوحنا بن ماسويه » ترجمة الكتب الطبية القديمة

---

(٨٢) Barhadbesabba : La Cause de la foundation oles Ecoles p. 84 .
(٨٣) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ١٣ ص ١٧٧.

حين أحضرها من أنقرة وبلاد الروم بعد الفتوح الإسلامية . فوضعه الرشيد أمينًا على الترجمة ورتب له كتابًا حُذاقًا يكتبون بين يديه[٨٤] .

وأوضح من هذا ما ذكره ابن النديم أن « أبا سهل بن نوبخت » كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد[٨٥] كما كان الشعوبى «علان الفارسى» الذى كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة[٨٦] .

من كل هذا يظهر لنا أن خزانة الحكمة كانت فى عهد الرشيد وكان يعمل بها علماء مختلفو الثقافة . فيوحنا بن ماسويه نصرانى سريانى له قدرة على ترجمة الكتب اليونانية وابن نوبخت فارسى كان ينقل من الفارسية إلى العربية ما يجده من كتب الحكمة الفارسية ومعوله فى كتبه وعلمه على كتب الفرس وعلان الشعوبى راوية شاب فارسى الأصل وأنه كان ينسخ الكتب اليونانية والفارسية فى زمن الرشيد .

لقد كان الاهتمام الكبير بحركة الترجمة وما أصابها من ازدهار وما تبع ذلك من تطور فى مختلف الأمور التى تتعلق بهذه الحركة هو السبب الأول لظهور بيت الحكمة[٨٧] .

فقد أدى هذا الازدهار العظيم إلى ضرورة وجود مثل هذا المكان لتلبية كافة الأغراض لخدمة هذه الحركة . وهكذا كان بيت الحكمة - فى أول أمره - مركزًا من مراكز الترجمة يتناسب والظروف التى أدت إلى تأسيسه والإمكانات المتوافرة فى حينه .

وقد أخذ بيت الحكمة يتوسع ويزداد عدد كتبه بما يرده من الكتب المختلفة التى كانت تجلب من آسيا الصغرى والقسطنطينية وما كان يجمعه السريان من كنائسهم وأديرتهم فى بلاد الشام . وقد عُهد بأمر هذه الكتب إلى أجلّ العلماء وأفصحهم وكان «سهل بن هارون» [توفى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٣٠ م] من المختصين بخدمة الخليفة المأمون كما كان « سعيد بن هارون » شريكًا لسهل فى بيت الحكمة[٨٨] ، كما كان « محمد بن موسى الخوارزمى » الرياضى والفلكى قد عمل أيضًا فى بيت الحكمة ، وكذلك « يحيى ابن أبى منصور الموصلى » الذى كان من خزنة دار الحكمة المأمونية[٨٩] .

---

(٨٤) **القفطى** : أخبار الحكماء ص ٣٨.
(٨٥) **ابن النديم** : الفهرست ص ٢٨٤.
(٨٦) **ابن النديم** : الفهرست ص ١٥٠.
(٨٧) **أحمد فريد** : عصر المأمون جـ١ ص ٣٧٥.
(٨٨) **الجاحظ** : البيان والتبيين جـ١ القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢.
(٨٩) **القفطى** : تاريخ الحكماء ص ٤٤١.

ومن الذين ساهموا فى ازدهار حركة الترجمة داخل بيت الحكمة « الحسن بن سهل ابن نوبخت » الذى كان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية . وكان «الحسن بن سهل ابن نوبخت» مشاركًا فى علوم الأوائل وآل نوبخت جميعهم فضلاء ولهم فكر صالح[٩٠] ومن أشهر نقلة بيت الحكمة : «الحجاج بن يوسف بن المطر» و«يوحنا بن ماسويه» وهما من النقلة المجيدين الذين شاركوا فى عملية ازدهار الترجمة نتيجة لترجماتهم غير المحدودة فى بيت الحكمة .

ومن الأطباء البارزين فى بيت الحكمة الطبيب الجنديسابورى يوحنا بن ماسويه الذى هاجر إلى بغداد فى أول القرن الثالث وقد عينه الخليفة المأمون رئيسًا لبيت الحكمة[٩١] .

أما أشهر من عمل فى بيت الحكمة عامة وشهد هذا البيت فى عصره ازدهارًا شاملاً - والترجمة على وجه الخصوص - فهو الطبيب والمترجم « حنين بن إسحق العبادى » الذى يعتبر فى الحقيقة نقطة تحول فى تاريخ بيت الحكمة لما تمتع به هذا البيت من مميزات أبان رئاسته له .

كذلك لا نغفل من ساهم فى ازدهار هذا البيت عامة وحركة الترجمة فيه بصفة خاصة وذلك بما هيأوه من سبل ومستلزمات كانت كفيلة بتحقيق ذلك الازدهار إلى حد كبير جدًّا مثل شراء المخطوطات وإرسال البعثات لجلب تلك المخطوطات ، أو القيام بذلك بأنفسهم ثم تخصيص الأموال اللازمة لترغيب النقلة وحثهم على العمل فى الترجمة .. إلى غير ذلك من أمور تطلبتها أجواء حركة الترجمة فى سبيل ازدهارها . فلا يجب أن نغفل الدور الذى لعبه أبناء موسى بن شاكر من أجل تنشيط حركة الترجمة فى بيت الحكمة[٩٢] .

هكذا اجتمع فى بيت الحكمة أجلّ العلماء والأطباء والفلاسفة والفلكيين وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعارف والصنائع وكلها كانت فى بيت الحكمة . هذا هو بيت الحكمة الذى تأسس بهدف تسهيل سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب فى ذلك ، فقد كان يتعذر على الناس أن يقفوا

---

(٩٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٤.

(٩١) جورج قنواتى : المسيحية والحضارة العربية ص ٨٠.

(٩٢) بطرس البستانى : إباء العرب فى الأعصر العباسية بيروت سنة ١٩٣٤.

على الكتب العلمية النادرة التى ترجمت من اللغات المختلفة إلى العربية ، والإنفاق فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وعلى تجليدها المبالغ الكبيرة فتيسر للناس سبل المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية ففتحت أبواب الدار لكل قاصد ، وتشوق الناس إلى التعليم فكثر الإقبال عليه وذلك بما تيسر لديهم من سبل المطالعة والدرس والاستنساخ(٩٣) .

وكانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة فلا أثر للتعصب أو التزمت . فنجد فيه أصحاب الفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه ويرونه أقرب إلى العقل والمنطق وذلك دون خوف أو حذر . ومما يؤيد ذلك أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا عليه وعلى حركة الترجمة فيه بعض السريان ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء ، يعمل برأيهم وينقاد إليهم أجلّ العلماء المسلمين ، يأخذون عنهم ويسترشدون بأقوالهم ، كما كانوا يؤيدون شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ويناظرون المسلمين فى الأمور الدينية ولربما كان هذا أمام الخليفة نفسه .

كانت خزانة بيت الحكمة مقسمة إلى أقسام كبرى بحسب اللغات . فهناك قسم الكتب الفارسية وقسم الكتب اليونانية وقسم الكتب السريانية .. وكان كل قسم من هذه الأقسام تحت رئاسة شخص مشرف عليه ومسئول عنه والجميع يعودون فى أمورهم إلى شخص أعلى مسئول عنهم وهم مسئولون أمامه .

كما كان بيت الحكمة مقسمًا أيضًا إلى أقسام متعددة منها قسم للنقل وقسم للتأليف وقسم للبحث الفلكى والعلمى والرصد وكانت جميع تلك الأقسام تحت إشراف عالم أو عالمين.لقد كان بيت الحكمة يعتبر أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى وأنفقت عليه الدولة العباسية بسخاء(٩٤) .

وكان لابد لهذا البيت من دعم مادى كبير لكى يستطيع أن ينهض بالمهام الكبيرة التى ألقيت على عاتقه .. ومما لا شك فيه أن هذا البيت لم يكن ليقدر أن يقوم بتنفيذ

---

(٩٣) Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe . Tome II p 96 .

(٩٤) محمد عبد الرحمن مرحبا : الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ص ٣٠٤.

رسالته السامية التى أنشىء من أجلها دون مال يخصص له للإنفاق منه على أوجه نشاطاته المتعددة . ولم يغب عن بال المأمون هذا فرصد له الأموال الطائلة اللازمة له .

وكان هناك بالإضافة إلى عملية الترجمة - داخل البيت - عملية ثانية تلازم حركة الترجمة وهى عملية النسخ أو حركة النسخ،فهما عمليتان متلازمتان تكمل احداهما الأخرى وبمجرد أن يكون الكتاب المترجم قد تمت ترجمته حتى يتناوله النساخ بالنسخ وبأكثر من نسخة ، وذلك لتبقى النسخة الأصلية منه داخل بيت الحكمة ولتوزع النسخ الأخرى على المشاهير من الوزراء والعلماء(٩٥) .

وبعد عملية النسخ تأتى عملية التجليد حيث اهتم العاملون فى بيت الحكمة بتجليد الكتب التى يتم نسخها وذلك بقصد الحفاظ على الكتاب وإعطائه منظرًا جميلاً ، وقد برعوا فى ذلك تمامًا إلى الحد الذى تركوا فيه أثرًا فى الحضارة الأوربية .

والمرحلة الرابعة وهى مرحلة التوزيع حيث يوضع الكتاب على الرفوف التى خصصت له أو فى خزائن خاصة وبإشراف رئيس البيت أو من يقوم مقامه ، ليكون أمره بعد ذلك يسيرًا سهلاً على القارىء من تناوله والاطلاع عليه ، فزاد إقبال الناس على القراءة والكتابة وأخذت البحوث والتآليف تتوالى على بيت الحكمة وفى جميع فروع المعرفة .

وكان عصر المأمون هو أزهى عصور بيت الحكمة ، ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه نفس العناية والرعاية وكان أول ما قلل من شأنه أن يتولى « المعتصم » الخلافة بعد المأمون . والخليفة المعتصم كان قليل المعرفة بالثقافة لا يجد فيها لذة ولا يتذوق لها حلاوة ، فلم يرع بيت الحكمة كما يجب ، وإنما اتجه إلى جلب المماليك وتدريبهم ، ثم هجر بسببهم بغداد إلى السامراء فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد .

ثم تزاحمت الأحداث على بغداد وكثرت الحروب والفتن فكلها تقلل من شأن المعهد وتخفت من صورته(٩٦) .

استمر هذا الوضع فى عهد « المعتصم » و « الواثق » فضعفت حركة الترجمة إلى

(٩٥) أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون جـ٢ ص ٩٣.
(٩٦) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٤.

حد كبير ، حتى كان عهد الخليفة « المتوكل » الذى بدأ يستعيد شيئًا مما كان عليه عصر المأمون نتيجة للاهتمام النسبى بحركة الترجمة . فقد كان المتوكل راعيًا كريمًا للبحث العلمى فقد جدد بيت الحكمة وجعل حنين بن إسحق رئيسًا له ، و لقد تمت أحسن أعمال هذا المعهد فى عهد « المتوكل » لأن التجارب أظهرت تأثيرها فى ذلك العصر[٩٧] .

وعلى الرغم مما واجه بيت الحكمة من ظروف مختلفة من الرعاية أو عدمها من الخلفاء الذين خلفوا المأمون فقد استمر هذا المعهد فى تأدية رسالته السامية التى أنشىء من أجلها .

وكانت جهود رعاة حركة الترجمة هى العامل الأول والرئيسى فى استمرار فاعلية هذه المؤسسة أيام انصراف الخلفاء عنها . لقد ظلت خزانة الحكمة هذه كأعظم مركز من مراكز الترجمة فى تاريخ الدولة العباسية منذ ظهوره وحتى أيام الغزو المغولى لبغداد واحتلالهم لها .

وكان بيت الحكمة أهم مدرسة دفعت بحركة الترجمة خطوات بعيدة إلى الأمام ، وساعدت على نشر الثقافة بين الناس وحثت فيهم الهمم على البحث والتأليف والإبداع والابتكار مما كان له أبلغ الأثر فى إيصال العرب بحضارتهم فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى والقرن التالى له إلى أسمى منازل التقدم والتطور والرقى الذى سيذكره التاريخ دائمًا بالتقدير والاحترام .

---

(٩٧) O'Leary : How greek science passed to the Arabs, p 166

٢ - المدارس الدينية الطبية

المدارس الدينية السريانية

شكلت المدارس الدينية السريانية ظاهرة هامة فى منطقة الشرق الأدنى بوجه عام وتاريخ الفكر السريانى بوجه خاص لقد كانت هذه المدارس بمثابة مراكز إشعاع فكرى وثقافى ودينى . فمن الناحية الدينية عملت هذه المدارس على نشر المسيحية التى كانت آنذاك لا تزال تحبو فى أولى خطواتها نحو الانتشار ، ومن جهة أخرى امتد نشاط هذه المدارس ليشمل الأدب والعلوم الطبيعية والفلسفة . فقد أنتجت هذه المدارس نوعًا من الأدب خاصًا بها وسارت قدمًا بالفلسفة والطب والفلك والرياضة وغيره من العلوم منتهجة سبلاً جديدة فى طريق التقدم . لقد استطاع السريان أن يخلقوا فى وادى دجلة والفرات حركة علمية ثقافية لا تكاد تقل عن الحركات العلمية الأخرى فى أثينا وروما أو فى الإسكندرية[٩٨] . ولا أدل على ذلك من تخصص بعض المدارس فى وادى دجلة والفرات لدرس اللغة اليونانية نفسها ثم درس أثارها الفلسفية والنقل منها إلى اللغة السريانية . ولم يبالغ بعض الكتاب حينما قالوا أن مجهود السريان فى نشر الثقافة اليونانية فى بلاد الفرس وفى وادى الرافدين كان أجدى على تلك الثقافة اليونانية من مجهود اليونانيين أنفسهم الذين استقروا فى تلك البيئات بعد فتح الإسكندر الأكبر للشرق[٩٩] .

ولقد تأثرت السريانية كسائر اللهجات واللغات بالفكر والعلوم اليونانية ، واكتسبت السريانية سمة متميزة ، وعرفت انتشارًا واسعًا أثر استخدامها فى الطقوس الدينية وكتب اللاهوت والفلسفة والعلوم ، إذ أصبحت لغة مراكز ثقافية مرموقة . وقد كتب كثيرون عن الرها ونخص منهم بالذكر «دوفال» و«شابو» و«درابفرز» .. فقالوا بأن تنظيمها الإدارى متأثر بالرومان وثقافتها مطعمة بمسحة هلنستية ، وأشار بعضهم إلى مؤثرات « فرثية » وأغفل معظمهم إرجاع العديد من المكونات والعناصر إلى جذور قديمة تعود إلى حضارات مشرقية أصيلة لا سيما حضارة وادى الرافدين . فلا عجب أن يشتهر أمر مدرسة الرها منذ القرن الرابع الميلادى وأكبر ممثل لها مار أقرام [٣١٠ -

(٩٨) Barhadbesabba : La cause de la fondation des ecoles vol IV, p 309

(٩٩) حسن عون : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٤٠.

٣٧٣ م] . فقد أغنى الأدب السريانى بشكل لم يضاهيه أحد ، إذ وضع كتابات عديدة نظمًا ، عرفت انتشارًا واسعًا ليس فى أوساط الناطقين بالسريانية وحسب إنما فى بلدان المشرق بأسرها ، إذ ترجمت إلى القبطية والجيورجية والحبشية واليونانية واللاتينية وغيرها من لغات قديمة وأدخلت معظم الكنائس الشرقية نصوصًا كثيرة من وضعه فى طقوسها وصلواتها ، كما تخرج على يده مئات التلاميذ ، وظلت كتاباته نصوصًا مدرسية رسمية حتى أواسط القرن الخامس وتعاقب على مدرسة الرها أساتذة أخرون وانتشرت حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية منذ أوائل القرن الخامس وأخذت هذه الحركة تزداد نشاطًا حتى بلغت أوجها فى العصر العباسى على صعيد العلوم بعد أن كانت فى بدايات الأمر وقفًا على المصنفات الفكرية والفلسفة . وخلفت مدرسة الرها مدرسة أخرى كان لها شأن عظيم هى مدرسة نصيبين انتقل إليها « نرسى » الشاعر والعبقرى العظيم نحو سنة ٤٨٦ ونرسى من أهالى دلب [عين دلبى] وسرعان ما أصبحت المدرسة فى عهده أشبه بكلية عظيمة تسير وفق نظام وقوانين محكمة وتضم أكثر من ستمائة طالب يدرسون الخط واللغة والكتاب المقدس والتفسير والخطابة والجدل والمنطق وبعض مبادىء الحساب .

وكانت الرها تلك المملكة الصغيرة قد بسطت نفوذها ثقافيًا منذ فجر الميلاد خاصة فقدمت فكرًا وأدبًا ، وعرفت لغتها المتطورة انتشاوًا واسعًا لا سيما بعد أن تبنتها كنيسة المشرق فانتشرت فى طول البلاد وعرضها ، وطغت بذلك على جميع اللهجات واللغات الأخرى ، منافسة اللغة اليونانية منافسة الغالب فى المناطق الشرقية من البلاد ، ومنافسة المغلوب فى المناطق الغربية ولم تتخل عن دورها الطليعى إلا أمام العربية بعد الفتوحات العربية الإسلامية[١٠٠] .

أما قبل انتشار المسيحية فى جهات إدسا [الرها] فقد كانت ميدانًا لكبار الباحثين من الوثنيين الآراميين الذين وجهوا عناية خاصة إلى الفلسفة اليونانية والمدنية اليهودية وكان ذلك ممهدًا لظهور المسيحية التى وجدت فيها أرضًا صالحة لغرسها الجديد . وكذلك يعتبر هذا العصر قنطرة تصل الأدب السريانى بالأدب الآرامى ، ويرون أن الرقى الذى امتاز به الأدب السريانى فى أول عهده إنما يرجع إلى تغيير طرأ على الآراميين فى عصور جاهليتهم .

---

(١٠٠) **مجلة الكاتب السريانى** : العدد الأول سنة ١٩٨٦ ص ٨.

وكان دور الرها كمنبت للأدب السريانى وأرضه الخصبة قد بدأ بعد تنصر حكامها أواخر القرن الثانى الميلادى على وجه التقريب حيث بدأت ترجمات الكتاب المقدس. ومع هذه الترجمات والأدب الدينى بدأ يظهر بشكل جلى تأثير اليونانية على اللغة السريانية ليس فقط فى تعداد المفردات اليونانية التى دخلت السريانية وإنما أيضًا فى بناء الجملة وتراكيبها(١٠١).

وقد اشتهر السريان بمدارسهم التى أسسوها فى الأديرة والكنائس وفى القرى والمدن التى استوطنوها قال أحمد أمين: كان للسريان فى ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة - بلغ عدد التلاميذ فى بعضها نحو ألف، تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية. وكانت هذه المدارس يتبعها مكتبات .. وكان فى الأديرة السريانية كنوز كثيرة لا من الكتب المترجمة فى الآداب النصرانية وحدها بل من الكتب المترجمة من مؤلفات أرسطو وجالينوس وأبقراط لأن هؤلاء كانوا محور الدائرة العلمية فى ذلك العصر، وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية كما نقلوها فى العصر العباسى إلى العرب(١٠٢).

وكانت مواد الدراسة فى هذه المدارس لاهوتية على الغالب، كما استعانوا بالفلسفة اليونانية على اثبات الحقائق الدينية. وقد اهتموا إلى جانب اللاهوت والفلسفة بعلوم الطب والفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والآداب وغيرها.

وكان فى كل معهد مدرسون دينيون لتعليم الطلبة القراءة والمطالعة والإلقاء والنطق وضبط الحروف بالحركات أو النقط قبل التحاقهم بقسم التخصص بالدين حيث يجدون كبار أساتذة الشريعة والدين. فكانوا يجمعون أصعب الكلمات والعبارات التى كانوا يجدونها فى الكتاب المقدس ثم يرتبونها بحسب الحروف الأبجدية فى كتب أو مذكرات للقراءة والبحث (١٠٣). وكانوا يبينون فيها بواسطة الشكل والحركة كيفية النطق بوضوح.

واكتظت الأديرة ومدارسها بالخطاطين الذين أثروا الأديرة والكنائس بالمجلدات الضخمة، فتكونت المكتبات السريانية وانتشرت فى كل مكان ومن أشهرها مكتبة « دير

---

(١٠١) أحمد أرحيم هبو: المدخل الى اللغة السريانية ص ٣٧.
(١٠٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٢ ص ٥٩.
(١٠٣) عطية الأبراشى: المفصل فى اللغة السريانية ص ١٢.

فإنه لم يتول إدارة المدرسة بشكل مباشر ، بل أوكل هذه المهمة إلى تلميذه « مار أفريم » الملفان[105] واختصه برعايته وجعله معلمًا بالمدرسة كما اتخذه كاتبًا ومفسرًا .

وبعد وفاة الأسقف يعقوب واصل «أفريم» الدور الذى بدأه مؤسس هذه المدرسة وسار على نهج أستاذه حتى بلغت المدرسة فى عهده مبلغًا عظيمًا من الشهرة . فكان الطلاب يفدون إلى المدرسة من مختلف بلاد المشرق وخاصة بلاد الرافدين التى كانت خاضعة للحكم الفارسى[106] .

ظل أفريم يدير المدرسة بهمة ونشاط حتى سنة ٢٦٣ م[107] حيث أغلقت المدرسة بعد سيطرة الفرس على مدينة نصيبين ، واضطر أفريم وتلاميذ المدرسة إلى الرحيل عن المدينة خوفًا من اضطهاد الحكم الجديد[108] .

وفى هذه المدرسة كانت اللغة السريانية هى لغة الدراسة والتعليم وكانت اليونانية تدرس إلى جانبها حتى يتمكن التلاميذ من الإطلاع على الآداب اليونانية والمؤلفات الدينية المكتوبة باليونانية .

(٢) مدرسة الرها :

تباينت الآراء حول الظروف التى أحاطت بنشأة مدرسة الرها . فيرى بعض المؤرخين أنها انتقلت من نصيبين إلى الرها بعد أن وقعت الأولى فى يد الفرس سنة ٣٦٣ م[109] حيث هاجر مار أفريم – رئيس مدرسة نصيبين الأولى – ومعه عدد من أساتذة المدرسة وتلاميذها إلى الرها ، وهناك أنشأ مدرسة مسيحية يمكن أن تعد بمثابة بعث لمدرسة نصيبين الأولى[110] .

---

(١٠٥) **مار افريم** : ولد فى نصيبين وتتلمذ على يد الأسقف يعقوب منذ أن كان فى الثالثة والعشرين من عمره ثم انضم الى سلك الرهبنة ، وأتقن اللغة السريانية وآدابها حتى عد من الرعيل الأول لأقطابها ، وكان أحد مشاهير كتاب السريان فى النظم والنثر .
الأب ألبير أبونا : أدب اللغة الآرامية – الموصل سنة ١٩٧٠ ص ٧٦.

(١٠٦) **مارأغناطيوس زكا الأول عيواص** : سيرة مارافريم – الطبعة الثانية دمشق سنة ١٩١٤ ص ٢٩

(١٠٧) **أدى شير** : تاريخ كلد وأثور جـ٢ ص ٤٦.

(١٠٨) **الأب ألبير أبونا** : تاريخ الكنيسة الشرقية جـ١ ص ٤٦.

(١٠٩) **اغناطيوس أفرام الأول برصوم** : اللؤلؤ المنثور ص ١٩٧.

(١١٠) **فيليب حتى** – تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ١ ص ٤٠٩.

وثمة رأى آخر يقول أصحابه أن مدرسة نصيبين الأولى لم تهاجر إلى الرها ولكنها انتهت بسقوط المدينة فى يد الفرس . ومع ذلك لا ينفى أصحاب هذا الرأى أن مدرسة الرها قامت على أكتاف مار أفريم وغيره من أساتذة مدرسة نصيبين الأولى وتلاميذها الذين هاجروا إلى الرها[١١١] .

وهناك رأى ثالث لا ينكر أن بداية المدرسة كانت على يد أفريم الأول ولكنه يحدد دوره بصورة أكثر دقة كواحد من مؤسسى ذلك الاتجاه الفكرى الذى تطور فيما بعد متخذًا شكل مدرسة[١١٢] .

ويعتقد بعض المواطنين أن مدرسة الرها كانت قائمة قبل مار أفريم وأنه قام بالتوسع فيها[١١٣] .

كما تضاربت الأقوال أيضًا فى تاريخ تأسيسها . فقد أرجع البعض نشأة المدرسة إلى أواسط القرن الثالث الميلادى إلا أنها ازدهرت وذاع صيتها بعد سنة ٣٦٣ تحت رعاية مار أفريم .

ويذهب البعض الآخر إلى القول بأن المدرسة أنشئت منذ أن اعتنقت الرها العقيدة المسيحية فى القرن الأول الميلادى ، ولكنها لم تظهر ككيان علمى منظم إلا سنة ٣٦٣ م على يد مار أفريم[١١٤] .

ورغم التباين الواضح بين هذه الآراء فثمة اتفاق على نقطتين أساسيتين :

الأولى : أن مدرسة الرها لم تبرز كمؤسسة تعليمية ذات معالم واضحة إلا مع مجىء مار أفريم وتلاميذه إلى الرها سنة ٣٦٣ .

الثانية : أنه كانت هناك صلة متينة بين مدرسة نصيبين الأولى ومدرسة الرها منذ أن تولى أمرها مار أفريم بحيث يمكن القول بأن مدرسة الرها ما هى إلا امتداد لمدرسة نصيبين . فقد واصل مار أفريم فى الرها نفس النهج الذى سارت عليه مدرسة نصيبين ،

---

(١١١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية ص ٧٤.

(١١٢) Voobus : A : History of the school of Nisibis, Louvain 1965, p 8.

(١١٣) مار افريم برصوم : الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة جـ٢ حمص سنة ١٩٤٠ ص٧٥.

(١١٤) Hayes : E.R : L'Ecole d'Edesse, les Presses Modernes 1930 p 145.

وأضفى على مدرسة الرها طابع المدرسة القديمة حتى أصبحت تعرف باسم مدرسة الفرس(١١٥) .

وقد اتسعت المدرسة فى عهد مار أفريم وذاعت شهرتها بفضل مكانة مديرها وقد كان الطلاب يتوافدون عليها بأعداد كبيرة(١١٦) ليتلقوا على أيدى « مار أفريم » دروسًا فى تفسير الكتاب المقدس . ولم يقتصر دور مار أفريم على التعليم الدينى إذ كان أيضًا شاعرًا بليغًا(١١٧) فقد وضع العديد من القصائد والأناشيد الدينية .

وبعد وفاة مار أفريم سنة ٣٧٣ م تولى إدارة المدرسة العلامة قيورا [توفى سنة ٤٣٧ م] الذى واصل جهود سلفه فى تنظيم المدرسة فاتسعت على أيامه .

وكان فى البداية يدرس معتمدًا على تفاسير مار أفريم ثم بعد ذلك اعتمد على تفاسير « ثاودروس المصيصى » الذى كانت بعض أعماله قد ترجمت إلى اللغة السريانية ، ثم تخلى « قيورا » عن منصبه سنة ٤١٢ م وجاء بعده « إيهيبا »(١١٨) . أو « هيتا » الذى يعد من أبرز شخصيات مدرسة الرها وأبعدها أثرًا على تطور فكر هذه المدرسة ونشاطها(١١٩) . وقد نشطت حركة الترجمة خلال فترة إدارته للمدرسة . وظل إيهيبا فى منصبه هذا كرئيس للمدرسة حتى أختير سنة ٤٣٥ م أسقفًا لمدينة الرها فى عقب وفاة أسقفها السابق « ربولا » ومع ذلك ظل يمارس عمله كرئيس للمدرسة .

وقد تولى نرسى [نرساى] رئاسة المدرسة خلفًا لإيهيبا . وقد واصل نرسى ما بدأه سلفه ايهيبا من ترجمة . واتسمت فترة رئاسة « نرسى » للمدرسة بانتشار التعاليم النسطورية على نطاق واسع .

وقد وصل هذا الصراع إلى ذروته مع تولى « قيورا » المهام الأسقفية حيث جعل هدفه الرئيسى القضاء على المدرسة نهائيًا وهو ما دعا « نرسى » رئيس المدرسة – آنذاك – إلى الرحيل عن الرها هربًا بحياته .

---

(١١٥) **الأب ألبير أبونا** : تاريخ الكنيسة الشرقية جـ١ ص ٨٤.

(١١٦) **أدى شير** : مدرسة نصيبين ص ١٥٩ .

(١١٧) **د. مراد كامل** ، د. زاكية رشدى : تاريخ الأدب السريانى ص ١٠٢.

(١١٨) سمى باليونانية «ایباس» . لا يعرف شيء عن الفترة الأولى من حياته سوى أنه كان معلما بمدرسة الرها وقد كان من أنصار المعالم النسطورية

(١١٩) **أدى شير** : تاريخ كلد جـ٢ وأشور ص ١٣٥.

أوليرى : الفكر العربى ص ٤٣.

لا يعرف على وجه التحديد ما آلت إليه المدرسة بعد رحيل « نرسى » ولا من تولى أمرها خلفًا له ، إلا أن هذه الفترة شهدت تفاقم الخلافات بين الأساتذة والطلاب من النساطرة وخصومهم[١٢٠] .

واستمر هذا الوضع حتى سنة ٤٨٩ م حيث نجح الأسقف « قيورا » فى حث الإمبراطور « زينون » على إصدار قرار بإغلاق المدرسة بسبب طابعها النسطورى ، مما أدى إلى هجره بعض المظلومين والطلبة النساطرة إلى نصيبين[١٢١] .

(٣) مدرسة نصيبين الثانية :

اتسمت السنوات السابقة على اغلاق مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م باشتداد حدة الصراع بين أنصار التعاليم النسطورية ممثلين فى معلمى مدرسة الرها وتلاميذها من ناحية وبين خصومهم الذين آلت إليهم مهام الأسقفية فى الرها بعد وفاة أسقفها ايهيبا سنة ٤٥٧ م .

وقد تعرض أنصار التعاليم النسطورية فى مدرسة الرها لأشكال مختلفة من الاضطهاد وجعلت وجودهم فى الرها أمرًا مستحيلاً ودفعتهم إلى الهجرة من المدينة[١٢٢] .

فقد وجدوا فى مدينة نصيبين ملجأ ومستقرًا لهم إذ كانت المدينة وقتذاك تحت سيطرة الدولة الفارسية التى رحبت باللاجئين وقدمت لهم العون اللازم .

فحظى « برصوما » – على وجه الخصوص – بمكانة رفيعة فى نصيبين ، فتقرب من الملك الفارسى فيروز [٤٥٢ – ٤٨٤ م] الذى عينه مشرفًا على منطقة الحدود الفارسية الرومانية وجعله مستشارًا له بحكم اطلاعه على الشئون الرومانية . وقد اختير أسقفًا لنصيبين[١٢٣] . وفى هذه الفترة تأسست مدرسة نصيبين الثانية التى أصبحت فيما بعد من أبرز مراكز النفوذ النسطورى . وعلى ذلك يمكن القول أن ثمة عاملين كانا وراء تأسس مدرسة نصيبين الثانية :

---

(١٢٠) **مجلة المجمع العلمى العراقى** – المجلد السابع – بغداد سنة ١٩٨٣ ص ١٤.

(١٢١) **Chabot** : L'Ecole de Nisibe p 7 - 8

(١٢٢) **الأب ألبير أبونا** : آداب اللغة الآرامية ص ١٢٧.
الأب ألبير أبونا : تاريخ الكنيسة الشرقية حـ١ ص ٨٤.

(١٢٣) **د. مراد كامل** ، د. راكية رشدى – تاريخ الأدب السريانى ص ١٥٥.

يمكث سوى سبع سنوات فى إدارته للمدرسة ، وخلف قوزنايا العلامة أبراهام من بيت ريان[١٢٩] .

وحمل على عاتقه مهام إدارة المدرسة لفترة ستين عامًا وقد شهدت المدرسة خلال تلك الفترة تطورًا كبيرًا كما تعرضت فى نفس الوقت لمشاكل عصبية أدت إلى توقفها لمدة قصيرة.وقد اتسعت المدرسة فى عهده اتساعًا ملحوظًا وتضاعف عدد تلاميذها ، فأقيم مبنى آخر للمدرسة يتسع للأعداد الكبيرة من التلاميذ ، كما أنشئت مصحة لعلاج التلاميذ[١٣٠] .

ولم تقف جهود « أبراهام » فى تطوير المدرسة على النواحى الإدارية والتنظيمية فحسب بل امتدت لتشمل تطوير العملية التعليمية نفسها . فقد بذل ما فى وسعه لتبسيط الترجمات السريانية لشروح «ثاودروس المصيصي» للكتاب المقدس ، فأعاد كتابة بعض هذه الشروح كما فسر بعض الأجزاء .

وبوفاة « أبراهام » خلفه فى منصبه « حنانا الحذيبى » الذى أحدث تحولاً جذريًا فى تعاليم المدرسة وأخذت أوضاع المدرسة فى التدهور تدريجيًا حتى توقف تمامًا عن أداء دوره إلى أن توفى سنة ٦١٠ م .

(٤) مدرسة ديسر قنسرين :

لا يعرف على وجه الدقة من هو مؤسس مدرسة قنسرين ولا متى تأسست هذه المدرسة ، إلا أنها برزت فى منتصف القرن السادس الميلادى وذاعت شهرتها فى القرن السابع بوصفها مركزًا هامًّا للدراسات اليونانية[١٣١] .

ويعد « سويروس سبقط » أبرز علماء هذه المدرسة وقد جمع بين الاهتمام بالدراسات الدينية والتبحر فى دراسة الفلسفة والرياضيات وعلم الفلك . وكرس حياته لتدريس اللغة والعلوم الدينية والرياضية فى المدرسة .

---

(١٢٩) **إبراهيم من بيت ربان** : ولد فى الربع الأخير من القرن الخامس ، كان يمت بصلة قرابة العلاقة ترسى . ويقال أن أبراهام كان إسمه الأصلى «ترسى» ولما جاء ليتلقى العلم على يد العلامة ترسى طلب هذا الأخير منه ، أن يغير اسمه إلى ابراهام .

Chabot : L'Ecole de Nisibe p 14 .

Wright : A short History of Syriac Literature p 114

(١٣٠) **أدى شير** : مدرسة نصيبين ص ٢١٠

(١٣١) **أوليرى** : الفكر العربى ص ٤٥

ومن أشهر تلاميذه أثناسيوس البلدى [توفى سنة ٦٨٦ م] الذى اشتهر بوضعه مذهبًا للأعمال الفلسفية والدينية من الإغريقية إلى السريانية ، و « جرجس أسقف القبائل العربية » [توفى سنة ٧٣٥ م] . وكان من الباحثين المشهورين فى ذلك الوقت .

ومن أبرز تلاميذ سويروس فى مدرسة قنسرين هو « يعقوب الرهاوى »[١٣٢] الذى يعد ظاهرة فذة بين المفكرين السريان .

واستمرت مدرسة قنسرين فى القيام بنشاطها الدينى والفكرى حتى أوائل القرن التاسع وكانت تعد أكبر مدرسة علمية ودينية فى ذلك العصر .

ومن أهم الخصائص التى ميزت مدرسة قنسرين وزادت من شهرتها اهتمامها بدراسة العلوم اليونانية حيث كانت مركزًا بارزًا للدراسات اليونانية وخاصة الدراسات الفلسفية والدينية . كما كانت اللغة اليونانية تدرس فى المدرسة إلى جانب اللغة السريانية .

وفضلاً عن ذلك تميزت المدرسة بتنوع مواد الدراسة فيها ، حيث كانت تدرس فيها العلوم الدينية والفلسفية واللغوية والأدبية إلى جانب العلوم الطبيعية والرياضيات[١٣٣] .

ولكن مدرسة قنسرين توقفت فى أعقاب الحريق الذى نشب فى الدير سنة ٨١٥ م وأدى إلى تدميره تمامًا وتشتت رهبانه .

إلا أن هناك رأيًا يشير إلى أن دير قنسرين قد استأنف نشاطه فى القرن الحادى عشر وأنه ربما ظل عامرًا حتى منتصف القرن الثالث عشر[١٣٤] إلا أنه لا تتوافر أية معلومات عن أى نشاط تعليمى فى الدير بعد القرن التاسع الميلادى .

---

(١٣٢) ولد فى قرية عيندابا سنة ٦٣٣ – سنة ٧٠٨م بالقرب من أنطاكية . عكف على دراسة اللغة الاغريقية وآدابها فى ديرقنسرين وواصل دراستة فى الاسكندرية ، ثم عين أسقفا من الرها سنة ٦٨٤م ، ولم يستمر فى منصبه هذا سوى أربع سنوات.

أدى شير : تاريخ كلد وأثور حنا ص٣٣ .

د. مراد كامل ، د. زاكية رشدى : تاريخ الأدب السريانى ص ٢٦٣.

(١٣٣) اسحق زكا : السريان ابحاث وحضارة جـ٣ ص ١٧٢.

(١٣٤) اغناطيوس أفرام مرصوم : اللؤلؤ المنثور ص ٢٠.

المدارس النسطورية

(١) مدرسة سلوقية « المدائن »[١٣٥]

أسس مار « أبا » مدرسة سلوقية ولا يعرف على وجه التحديد التاريخ الدقيق لنشأة المدرسة ، إلا أنها كانت فاتحة فى سنة ٥٤٠ م ، إذ لجأ إليها تلاميذ مدرسة نصيبين بعد اغلاق مدرستهم . واستمرت مدرسة سلوقية حتى القرن السابع وقد حذت حذو مدرسة نصيبين فى دراسة الفلسفة الإغريقية وخاصة المنطق ، وقد اشتهر من تلاميذها « ايجريجوريو الكشكرى والأسقف جريجور الأول »[١٣٦] .

(٢) مدرسة الحيرة :

أسسها « قيورا الرهاوى » حوالى سنة ٥٥٢ م بغرض نشر التعاليم المسيحية فى المدينة . وهى إحدى المدارس التى أنشئت على غرار مدرسة نصيبين الثانية إذ أن قيورا قد تلقى علومه الدينية فى تلك المدرسة ثم صار معلمًا بها[١٣٧] . وكان لها نشاط كبير فى نشر التعاليم النسطورية فى الحيرة حتى أصبحت المدينة أحد المراكز القوية للنفوذ النسطورى[١٣٨] ، من أشهر معلميها : « سرجيس بن ساحيق » .

(٣) مدرسة إربل :

لا يعرف بالتحديد من هو مؤسسها ولا متى تأسست إلا أنها كانت قائمة فى بداية القرن السادس الميلادى حيث قام « أبراهام من بيت ريان » رئيس مدرسة نصيبين بإيفاد أحد تلاميذ المدرسة ويدعى « بولس النصيبينى » ليتولى إدارة مدرسة إربل . وقد اشتهر من معلميها ايجريجوريوس الكشكرى الذى تولى مهمة تفسير الكتب المقدسة[١٣٩] .

---

(١٣٥) تقع سلوفيه جنوبى بغداد بالعراق ، وقد اتصلت بمدينة أخرى مجاورة هى قسطفون وصار يطلق عليهما معًا اسم المدائن . وكانت المدائن عاصمة للدولة الفارسية تحت حكم الساسانيين

Duval : La Litterature Syriaque p 218

(١٣٦) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ١٨٤.م

(١٣٧) **الأب ألبير أبونا** : آداب اللغة الآرامية ص ١٦١.

(١٣٨) **أوليرى** : مسالك الثقافة الإغريقية ص ٩٨.

(١٣٩) **الأب ألبير أبونا** : أداب اللغة الأرامية ص ١٥٩.

هذا وقد أنشئت مدارس علمية ومعاهد عالية فى الأديار السريانية الكثيرة كدير زوقنين بجوار دير بكر ، ودير قرتمين فى طور عبدين ، ودير مار زكا بجوار الرقة ودير مار متى فى الموصل ، ومدارس دير تلعدا ، ودير باسوس والجب الخارجى(١٤٠) .

ولو تأملنا فى هذه الأعداد الكبيرة من المدارس وذلك الجهد الذى بذله كل هؤلاء الأطباء والمترجمون من السريان وما وصلنا من أعمالهم سواء المترجمة أو الموضوعة فإننا نستطيع أن نقدر ذلك الدور الحضارى الكبير الذى بذله السريان فى ربط الحضارات السابقة وعلى رأسها الحضارة اليونانية بالحضارات التالية وعلى رأسها الحضارة العربية الإسلامية .

(١٤٠) المجلة البطريركية : العدد ٦٩ - ايلول سنة ١٩٦٩ - السنة السابعة ص ٤٨٤ .

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم .
٢ – العهد القديم والجديد .

– ١ – العربيـــة

(١) أبادير = فهمى :
تاريخ الطب عند العرب . القاهرة بدون تاريخ .
(٢) الإبراشى = عطية :
المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها ، الطبعة الأولى – بولاق – المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٥ .
(٣) الإبراشى = عطية :
لغة العرب وكيف تنهض بها . مطبعة مصر سنة ١٩٤٧ .
(٤) إبراهيم = نجيب خليل :
مصر والشرق الأدنى القديم – الطبعة الثالثة – مصر – دار المعارف سنة ١٩٦٦ .
(٥) ابن أبى أصيبعة = موفق الدين أبى العباس :
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء
تحقيق نزار رضا – بيروت – مكتبة الحياة – سنة ١٩٦٥
(٦) ابن بطلان = دعوة الأطباء
عنى بطبعه وشرحه بشارة زلزل
الإسكندرية – المطبعة الحديثة – سنة ١٩٠١
(٧) ابن جلجل = أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى
طبقات الأطباء والحكماء – حققه فؤاد رشيد
مطبعة المعهد العلمى للآثار الشرقية – سنة ١٩٥٥
(٨) ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر – الطبعة الثالثة – بيروت – دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٦٦ .

(٩) ابن خلكان = وفيات الأعيان
تحقيق إحسان عباس - بيروت - دار صادر سنة ١٩٧٢ .
(١٠) ابن سينا = أبو على الحسين بن عبد الله
القانون فى الطب - بيروت - دار صادر - دون تاريخ .
(١١) ابن العبرى = جريجوريوس أبى العرج بن أهرون الطبيب الملطى
تاريخ مختصر الدول - صححه الأب أنطون صالحانى - بيروت - دار الرائد اللبنانى سنة ١٨٨٣ .
(١٢) ابن على = عيسى : تذكرة الكحالين
عنى بتصحيحه والتعليق عليه الحكم السيد غوث محى الدين
الطبعة الأولى - الهند - مطبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٦٤
(١٣) ابن قرة = ثابت = كتاب الذخيرة فى العرب
المطبعة الأميرية سنة ١٩٢٨
(١٤) ابن كثير = أبو إسماعيل بن عمر الدمشقى
البداية والنهاية - بيروت - دار المعارف سنة ١٩٦٦
(١٥) ابن المقفع = ساويرس
سير الآباء البطاركة - بيروت سنة ١٨٨٩
(١٦) ابن النديم = الفهرست
القاهرة - مطبعة الاستقامة سنة ١٨٧٢
(١٧) أبو ريان = تاريخ الفكر الفلسفى القاهرة دون تاريخ .
(١٨) أبو الفداء = عماد الدين إسماعيل
المختصر فى أخبار البشر - بيروت - دار المعرفة .
(١٩) أبونا = ألبير [الأب] تاريخ الكنيسة الشرقية
الطبعة الثانية - بغداد - سنة ١٩٨٥ .
(٢٠) أبونا = ألبير [الأب] آداب اللغة الآرامية
الطبعة الأولى - بيروت - مطبعة ستاركو سنة ١٩٧٠
(٢١) أدى شير = تاريخ كلد وأثور - بيروت سنة ١٩١٣
(٢٢) أدى شير = مدرسة نصيبين - بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٥ .
(٢٣) أرنولد = توماس = الخلافة - بيروت سنة ١٩٣٠ .
(٢٤) الاسكندر = زكى = التحنيط فى مصر القديمة - القهرة سنة ١٩٧٣ .

(٢٥) الاسكندر = عيسى = تاريخ الطب عند العرب - بيروت سنة ١٩٣٥ .
(٢٦) الاسكندر = عيسى = الأسر العربية المشهورة بالطب بيروت سنة ١٩٣٥ .
(٢٧) أمين = أحمد = فجر الإسلام - الطبعة الحادية عشرة - القاهرة - النهضة المصرية سنة ١٩٧٥ .
(٢٨) أمين = أحمد = ظهر الإسلام - الطبعة الرابعة - الجزء الثالث - سنة ١٩٦٦ .
(٢٩) أمين = أحمد = ضحى الإسلام - الطبعة التاسعة - الجزء الأول - القاهرة سنة ١٩٥٦ .
(٣٠) الألوسى = السيد محمد شلبى
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب القاهرة سنة ١٩٢٤ .
(٣١) الأندلسى = صاعد = طبقات الأمم بيروت دون تاريخ .
(٣٢) أوبنهايم = ليو = بلاد ما بين النهرين ترجمة سعدى فيض عبد الرازق - الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر - سنة ١٩٨٠ .
(٣٣) أوليرى = دى لاسى = انتقال علوم الإغريق إلى العرب
ترجمة يحيى التعالبى سنة ١٩٦٢ .
(٣٤) أوليرى = دى لاسى = مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب
ترجمة تمام حسن مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٧ .
(٣٥) أوليرى = دى لاسى = الفكر ومكانه فى التاريخ
ترجمة تمام حسن مطبعة مخيمر سنة ١٩٦١ .
(٣٦) بابو اسحق = رفائيل = تاريخ نصارى العراق - مطبعة المنصور سنة ١٩٤٨ .
(٣٧) بابو اسحق = رفائيل = بغداد فى عهد الخلافة العباسية
بغداد - مطبعة شفيق - سنة ١٩٦٠ .
(٣٨) باقر = طه = مقدمة فى تاريخ الحضارات
بغداد سنة ١٩٥٥ .
(٣٩) باقر = طه = ملحمة جلجاميش - بغداد سنة ١٩٨٠ .
(٤٠) البدرى = عبد اللطيف = من الطب الآشورى
منشورات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٧٦ .
(٤١) البدرى = عبد اللطيف = التشخيص والإنذار فى الطب الأكدى
- منشورات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٧٦ .

(٤٢) بدوى = عبد الرحمن = الأحوال اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام – القاهرة سنة ١٩٥٤ .
(٤٣) براون = ادوار – جى = الطب العربى ترجمة داود سليمان على – الطبعة الثانية – بغداد سنة ١٩٦٤ .
(٤٤) برصوم = أغناطيوس أفرام الأول = اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية حمص سنة ١٩٤٣ .
(٤٥) برصوم = أغناطيوس أفرام الأول = الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة حمص سنة ١٩٤٠ .
(٤٦) برنا = حسن = تاريخ ايران القديم من البداية حتى العهد الساسانى ترجمة د . السباعى محمد السباعى ود . نور الدين ، مراجعة د . يحيى الخشاب – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٩ .
(٤٧) برهام = عبد العزيز = الفكر الإسلامى الحر وآثاره فى النهضة العلمية الأوربية مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٢ .
(٤٨) بروكلمان = كارل = تاريخ الشعوب الإسلامية بيروت سنة ١٩٦٨ .
(٤٩) البستانى = بطرس = أباء العرب فى العصور العباسية بيروت سنة ١٩٣٤ .
(٥٠) بلدى = نجيب = تاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها القاهرة – دار المعارف سنة ١٩٦٢ .
(٥١) البيرونى = الآثار الباقية فى القرون الخالية ليزج سنة ١٩٣٣ .
(٥٢) البيهقى = تاريخ حكماء الإسلام عنىَ بنشره وتحقيقه محمد كردعلى – دمشق – مطبعة الترقى سنة ١٩٤٦ .
(٥٣) التكريتى = سليم = أثر الترجمة فى تطور الفكر العربى الإسلامى بغداد سنة ١٩٦٥ .
(٥٤) جارلند = جوزيف = قصة الطب ترجمة سعيد عبده دون تاريخ .
(٥٥) الجميلى = حميد حسن رشيد = حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرن الثالث والرابع للهجرة – طرابلس سنة ١٩٨٢ .
(٥٦) حبى = يوسف = مهرجان أفرام وحنين بغداد – مطبعة المعارف سنة ١٩٧٤ .
(٥٧) حتى = فيليب = المطول فى تاريخ العرب – بيروت سنة ١٩٤٩ .

(٥٨) **حتى** = فيليب = خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى
الطبعة الثانية - بيروت سنة ١٩٨٢ .
(٥٩) **حتى** = فيليب = تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
الطبعة الثانية - بيروت - دار الثقافة - سنة ١٩٥٧ .
(٦٠) **حداد** = جورج = المدخل فى تاريخ الحضارة - دمشق سنة ١٩٥٨ .
(٦١) **حسين** = محمد كامل = الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب
القاهرة - دون تاريخ .
(٦٢) **حسين** = محمد كامل = أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية
القاهرة سنة ١٩٧٠ .
(٦٣) **حسين** = محمد كامل = الحياة الفكرية والأدبية بمصر - القاهرة سنة ١٩٦٣ .
(٦٤) **حسين** = محمد عواد = تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور
القاهرة سنة ١٩٦٣ .
(٦٥) **حمادة** = محمد ماهر = المكتبات فى الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها -
بيروت سنة ١٩٧٠ .
(٦٦) **حنا** = يعقوب أوجين = المروج النزهية فى آداب اللغة الآرامية
طبعة الموصل سنة ١٩٠١ .
(٦٧) **الخازن** = نسيب وهيبة = من الساميين إلى العرب
بيروت - مكتبة الحياة - سنة ١٩٧٩ .
(٦٨) **الخطيب** = حنيفة = الطب عند العرب - بيروت - الأهلية للنشر والتوزيع
سنة ١٩٨٦ .
(٦٩) **خودابخشى** = الحضارة الإسلامية - ترجمة وتعليق على حسن الخربوطلى -
القاهرة سنة ١٩٦٠ .
(٧٠) **خودابخشى** = التراث اليونانى والحضارة الإسلامية
ترجمة عبد الرحمن بدوى - القاهرة سنة ١٩٤٦ .
(٧١) **الخورى** = بولس = غراماطيق اللغة السريانية - الطبعة الثانية - بيروت - مطبعة
الرهبانية اللبنانية المارونية سنة ١٩٦٢ .
(٧٢) **خير الله** = أمين سعد = الطب العربى
بيروت - المطبعة الأمريكانية سنة ١٩٤٦ .

(٧٣) **داوود** = إقليمس يوسف = اللمعة الشهية - الموصل سنة ١٨٩٦ .
(٧٤) **الدبس** = يوسف إلياس = تاريخ سوريا الدنيوى والدينى طبعة بيروت سنة ١٨٩٨ .
(٧٥) **ديلابورت** = بلاد ما بين النهرين ترجمة الأستاذ محرم كمال ، مراجعة د . عبد المنعم بكر - القاهرة سنة ١٩٥٦ .
(٧٦) **الدميلى** = العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ، ترجمة عبد الحليم النجار - الطبعة الأولى - دار القلم سنة ١٩٦٢ م / سنة ١٣٨١ هـ .
(٧٧) **دوفال** = روبنز = آداب اللغة السريانية باريس سنة ١٨٩٣ .
(٧٨) **دى باور** = تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة محمد أبو ريدة الطبعة الخامسة القاهرة سنة ١٩٤٨ .
(٧٩) **دى رازى** = فيليب = السلاسل التاريخية فى أساقفة الأبرشيات السريانية سنة ١٩٤٨م .
(٨٠) **دى رازى** = فيليب = عصر السريان الذهبى - بيروت - مطبعة جدعون - بيروت سنة ١٩٤٦ .
(٨١) **ديورانت** = ول = قصة الحضارة ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة - القاهرة سنة ١٩٧٣ .
(٨٢) **الرازى** = جرجس (القس) نحو اللغة الآرامية السريانية الكلدانية صرفها وشعرها - بيروت - المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين سنة ١٨٩٧ .
(٨٣) **رستم** = أسد = الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم ومناهجهم وصلاتهم بالعرب - بيروت - دار المكشوف سنة ١٩٥٥ .
(٨٤) **رشدى** = زاكيه = تاريخ الأدب السريانى القاهرة سنة ١٩٧٤ .
(٨٥) **رفاعى** = أحمد فريد = عصر المأمون القاهرة سنة ١٩٢٧ .
(٨٦) **روثن** = مارجريت = علوم البابليين - تعريب يوسف حبى الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٠ .
(٨٧) **روفائيل** = جميل = أضواء على منح الحقوق الثقافية الطبعة الأولى - بغداد مطبعة الأمم سنة ١٩٧٣ .
(٨٨) **رياض** = نجيب = الطب المصرى القديم دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع - دون تاريخ .

(٨٩) **ريسلر** = جاك - س = الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون مراجعة أحمد فؤاد الأهوانى - الدار المصرية للتأليف والترجمة .
(٩٠) **زغلول** = الشحات السيد = السريان والحضارة الإسلامية الإسكندرية سنة ١٩٧٥ .
(٩١) **زكى** = اسحق = السريان إيمان وحضارة - حلب سنة ١٩٨٣ .
(٩٢) **زكى** = أحمد كمال = الأساطير - دراسة حضارية مقارنة بيروت سنة ١٩٧٩ .
(٩٣) **زيات** = حبيب = الخزانة الشرقية - بيروت سنة ١٩٤٨ .
(٩٤) **زيدان** = جورجى = تاريخ آداب اللغة العربية الطبعة الثالثة - القاهرة سنة ١٩٣٦ .
(٩٥) **زيدان** = جورجى = تاريخ العرب قبل الإسلام القاهرة - دار الهلال - دون تاريخ .
(٩٦) **زيدان** = جورجى = تاريخ التمدن الإسلامى راجعه وعلق عليه د . حسين مؤنس - دار الهلال - دون تاريخ .
(٩٧) **سارتون** = جورج = تاريخ العلم ترجمة لفيف من العلماء دار المعارف سنة ١٩٣٨ .
(٩٨) **سايس** = الأجرومية الآشورية سنة ١٨٦٢ .
(٩٩) **سبرنجر** = جغرافية بلاد العرب القاهرة سنة ١٨٧٥ .
(١٠٠) **السامرائى** = عامر رشيد = أثار حنين بن اسحق بغداد - دار الحرية للطبع - شباط سنة ١٩٧٤ .
(١٠١) **سرور** = جمال الدين = تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق القاهرة سنة ١٩٦٥ .
(١٠٢) **سوسة** = أحمد = مفصل العرب واليهود فى التاريخ الطبعة الخامسة - العراق - دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١ .
(١٠٣) **سوسة** = أحمد = حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور بغداد سنة ١٩٧٩ .
(١٠٤) **سوسة** = أحمد = حضارة وادى الرافدين الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٠ .
(١٠٥) **سيديو** = لويس اميلى = تاريخ العرب العام القاهرة سنة ١٩٤٨ .

(١٠٦) **شابو** = جون (الأب) اللغات الآرامية وآدابها تعريب أنطون شكرى - مطبعة دير مار مرقص للسريان بالقدس سنة ١٩٣٠ .
(١٠٧) **الشطى** = شوكت = تاريخ الطب وطبقات الأطباء - دمشق سنة ١٩٥٢ .
(١٠٨) **شكرى** = محمد أنور = العمارة فى مصر القديمة - القاهرة سنة ١٩٧٠ .
(١٠٩) **شلبى** = أحمد = تاريخ التربية الإسلامية - القاهرة سنة ١٩٥٤ .
(١١٠) **شلبى** = أحمد = فى عصور الخلفاء العباسيين - القاهرة سنة ١٩٥٤ .
(١١١) **شنودة** = زكى = موسوعة تاريخ الأقباط سنة ١٩٦٦ .
(١١٢) **الشهرزورى** = نزهة الأرواح وروضة الأفراح مخطوط فى خزانة اسطنبول .
(١١٣) **شيخو** = لويس = شعراء النصرانية قبل الإسلام - بيروت سنة ١٨٩٠ .
(١١٤) **شيدر** = هانز هنرس = روح الحضارة العربية ترجمة عبد الرحمن بدوى - بيروت - دار الصياد سنة ١٩٤٩ .
(١١٥) **صائغ** = سليمان = تاريخ الموصل - بيروت سنة ١٩٢٨ .
(١١٦) **صالح** = عبد العزيز = الشرق الأدنى القديم
الطبعة الرابعة - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٤ .
(١١٧) **ضيف** = شوقى = العصر العباسى الثانى - القاهرة سنة ١٩٧٥ .
(١١٨) **الطبرى** = أبى جعفر محمد بن جرير - تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة- دار المعارف سنة ١٩٧٧ .
(١١٩) **د . ظاظا** = حسن = الساميون ولغاتهم مصر - دار المعارف سنة ١٩٧١ .
(١٢٠) **العبادى** = مصطفى = تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور - الإسكندرية سنة ١٩٦٣ .
(١٢١) **العبادى** = أحمد مختار = فى التاريخ العباسى والفاطمى - بيروت سنة ١٩٧١ .
(١٢٢) **عبد الستار** = **لبيب** = **الحضارات**
الطبعة الثانية عشرة - بيروت - دار المشرق .
(١٢٣) **عبد القادر** = حامد = الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها
مراجعة د . عونى عبد الرءوف - دار نهضة مصر سنة ١٩٨١ .
(١٢٤) **عبد القادر** = ماهر = حنين بن اسحق العصر الذهبى للترجمة
دار النهضة العربية سنة ١٩٨٧ .
(١٢٥) **عبد القادر** = ماهر = تاريخ الطب العربى - القاهرة سنة ١٩٨٧ .

(١٢٦) **عثمان** = فتحى = الحدود الإسلامية البيزنطية - القاهرة سنة ١٩٧٣ .
(١٢٧) **العدوى** = ابراهيم = الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية
القاهرة - نهضة مصر سنة ١٩٥٢ .
(١٢٨) **العرين** = السيد الباز = الدولة البيزنطية
القاهرة مكتبة النهضة العربية سنة ١٩٦٥ .
(١٢٩) **عطية** = جورج = من حضارتنا - بيروت سنة ١٩٥٦ .
(١٣٠) **العقاد** = أثر العرب فى الحضارة الأوربية - القاهرة سنة ١٩٦٠ .
(١٣١) **العلوجى** = عبد الحميد = تاريخ الطب العراق
بغداد مطبعة أرحاب سنة ١٩٦٧ .
(١٣٢) **على** = محمد كرد = الإسلام والحضارة العربية
القاهرة - دار الكتاب العربى سنة ١٩٣٤ .
(١٣٣) **على** = جواد = المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام
بغداد - مطبعة النفيض سنة ١٩٥٠ .
(١٣٤) **على** = زكى = الإسكندرية تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالمة . الإسكندرية سنة ١٩٤٤ .
(١٣٥) **عواد** = كوركيس = كتاب الديارات - بغداد سنة ١٩٦٦ .
(١٣٦) **عون** = حسن = العراق وما توالى عليه من حضارات .
الطبعة الثانية - مطبعة رويال سنة ١٩٥٢ .
(١٣٧) **عيسى** = أحمد = التهذيب فى أصول التعريب - القاهرة .
(١٣٨) **عيواص** = أغناطيوس زكا الأول = سيرة ما افريم .
الطبعة الثانية - دمشق سنة ١٩٨٤ .
(١٣٩) **غليونجى** = بول = الطب عند قدماء المصريين .
القاهرة -- دار المعارف سنة ١٩٥٨ .
(١٤٠) **غليونجى** = بول = الحياة الطبية فى مصر القديمة سنة ١٩٦٥ .
(١٤١) **غنيمة** = يوسف رزق الله = الحيرة - بغداد سنة ١٩٣٦ .
(١٤٢) **فخرى** = أحمد = الأهرامات المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٣ .
(١٤٣) **فخرى** = أحمد = مصر الفرعونية - القاهرة سنة ١٩٧١ .
(١٤٤) **فرانكفورت** = هنرى = فجر الحضارة فى تاريخ الشرق الأدنى القديم .
ترجمة ميخائيل خورى - بيروت سنة ١٩٥٠ .

(١٤٥) **فروخ** = عمر = تاريخ العلوم عند العرب .
بيروت - دار العلم للملايين سنة ١٩٧٠ .
(١٤٦) **فلاديمير** = فاسيلى = الحضارة الإسلامية .
ترجمة حمزة طاهر - مصر سنة ١٩٦٦ .
(١٤٧) **القفطى** = اخبار العلماء بأخبار الحكماء مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ .
(١٤٨) **القلقشندى** = أبى العباس أحمد بن على = صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .
القاهرة سنة ١٩١٣ .
(١٤٩) **قنواتى** = جورج = المسيحية والحضارة العربية - بيروت دون تاريخ .
(١٥٠) **قنواتى** = جورج = تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط
- القاهرة - دار المعارف سنة ١٩٥٩ .
(١٥١) **كامل** = مراد = تاريخ الحضارة المصرية - العصر اليونانى الرومانى والعصر
الإسلامى - القاهرة - مكتبة مصر .
(١٥٢) **كامل** = وهيب = هيرودوت فى مصر - القاهرة سنة ١٩٤٦ .
(١٥٣) **كرم** = يوسف = تاريخ الفلسفة اليونانية - بيروت - دار العلم .
(١٥٤) **كريستنس** = أرثر = إيران فى عهد الساسانيين - ترجمة د . يحيى الخشاب -
القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر دون تاريخ .
(١٥٥) **الكلبى** = عمر بن الحسن بن حية = النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس .
بغداد سنة ١٩٤٦ .
(١٥٦) **الكلدانى** = يعقوب (القس) دليل الراغبين فى لغة الآراميين .
الموصل سنة ١٩٢٣ .
(١٥٧) **الكلدانى** = بطرس نصرى = ذخيرة الأذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة
السريان - طبعة الموصل سنة ١٩٠٥ .
(١٥٨) **كلهون** = سمعان = كتاب مرشد الطالبين فى الكتاب المقدس الثمين .
الطبعة السابعة - بيروت - المطبعة الأمريكانية سنة ١٩٣٧ .
(١٥٩) **كمال** = حسن = الطب المصرى القديم .
مصر - مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٢ .
(١٦٠) **لوبون** = جوستاف = حضارة العرب - الترجمة العربية .
القاهرة سنة ١٩٤٥ .

(١٦١) **ماجد** = عبد المنعم = تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى .
القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣ .
(١٦٢) **الماحى** = التيجانى = مقدمة فى تاريخ الطب العربى – الخرطوم سنة ١٩٥٩ .
(١٦٣) **مايرهوف** = ماكس = التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية .
ترجمة عبد الرحمن بدوى – الطبعة الثالثة – دار النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ .
(١٦٤) **مايرهوف** = ماكس = العشر مقالات فى العين سنة ١٩٢٨ .
(١٦٥) **مايرهوف** = ماكس = من الإسكندرية إلى بغداد – القاهرة سنة ١٩٥٨ .
(١٦٦) **متز** = آدم = الحضارة الإسلامية . ترجمة عبد الهادى أبو ريدة الطبعة الثانية –
دار الكتاب العربى سنة ١٩٤٧ م / ١٣٦٦ هـ .
(١٦٧) **محمود** = حسن أحمد = الساميون القدماء – القاهرة .
(١٦٨) **محمود** = حسن أحمد = العالم الإسلامى فى العصر العباسى .
القاهرة سنة ١٩٦٦ .
(١٦٩) **مرحبا** = محمد عبد الرحمن = الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب .
بيروت سنة ١٩٧٠ .
(١٧٠) **مرحبا** = محمد عبد الرحمن = من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية .
بيروت سنة ١٩٧٠ .
(١٧١) **المرسى** = الصفصافى أحمد = السلالات اللغوية ومكانة اللغات الشرقية بينها .
آداب عين شمس سنة ١٩٨٠ .
(١٧٢) **المسعودى** = أبى الحسن على بن الحسن = مروج الذهب ومعادن الجوهر .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة سنة ١٩٦٦ .
(١٧٣) **مظهر** = اسماعيل = تاريخ الفكر العربى – دار الكتاب العربى دون تاريخ .
(١٧٤) **معروف** = ناجى = المدخل فى تاريخ الحضارة العربية .
الطبعة الثالثة – بغداد – مطبعة وزارة المعارف سنة ١٩٦٢ .
(١٧٥) **ملطى** = تادرس يعقوب (القس) = آباء مدرسة الإسكندرية الأولون –
الكلية اللاهوتية بالإسكندرية سنة ١٩٨٠ .
(١٧٦) **منا** = يعقوب أوجين (المطران) = دليل الراغبين فى لغة الآراميين .
الموصل سنة ١٩٠٠ .
(١٧٧) **مهران** = محمد بيومى = مصر والشرق الأدنى القديم – الحضارة المصرية
القديمة – دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٩ .

(١٧٨) موسكاتى = سبتينو = تاريخ الحضارات السامية .
ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، راجعه محمد القصاص .
القاهرة - دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٧ .
(١٧٩) النجار = عامر = تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية . دون تاريخ .
(١٨٠) نصحى = ابراهيم = تاريخ مصر فى عصر البطالمة .
الطبعة الرابعة القاهرة سنة ١٩٧٦ .
(١٨١) النعيمى = عبد المجيد = الإملاء الواضح . القاهرة .
(١٨٢) نوبلكور = كرستيان = توت عنخ آمون . ترجمة أحمد رضا .
مراجعة د . أحمد عبد الحميد يوسف - القاهرة سنة ١٩٧٤ .
(١٨٣) نور = ابراهيم = تاريخ المدنيات الإسلامية - القاهرة سنة ١٩٥٨ .
(١٨٤) نوفل = سيد = زنوبيا - ملكة تدمر . دار الهلال سنة ١٩٧٢ .
(١٨٥) نولدكة = تيودور = أمراء غسان من آل حفنة - ترجمة بندلى جوزى
قسطنطين - بيروت سنة ١٩٣٣ .
(١٨٦) الهاشم = جوزيف = سليمان شبانى والإلياذة - بيروت سنة ١٩٦٠ .
(١٨٧) هبو = أحمد أرحيم = المدخل إلى اللغة السريانية .
الطبعة الأولى - جامعة حلب - سنة ١٩٧٥ .
(١٨٨) هونكة = زجريد = شمس الشموس تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيضونة
وكمال دسوق . مراجعة ذو صيغ حواشيه مارون عيسى الحورى
بيروت سنة ١٩٦٤ .
(١٨٩) هيرودوت = يتحدث عن مصر - ترجمة محمد جعفر خفاجة - تقديم وشرح
أحمد بدوى - القاهرة سنة ١٩٦٦ .
(١٩٠) وافى = على عبد الواحد = فقه اللغة
الطبعة الثامنة - القاهرة - دار نهضة مصر - دون تاريخ .
(١٩١) ولفنسون = اسرائيل = تاريخ اللغات السامية
الطبعة الأولى - مطبعة الاعتماد سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م .
(١٩٢) وولى = ليونارد = وادى الرافدين مهد الحضارة .
تعريب أحمد عبد الباقى - دون تاريخ .
(١٩٣) البازجى = معلم الفكر العربى فى العصر الوسيط . القاهرة .

(١٩٤) يعقوب = أغناطيوس الثالث = الحقائق الجلية فى الأبحاث التاريخية والآداب الفلسفية - دمشق سنة ١٩٧٢ .
(١٩٥) اليسوعى = بطرس فرماج = مروج الأخبار فى تراجم الأبرار . الطبعة الثانية - بيروت - مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٨٠ .

(٢) الدوريات العربيــة :

١ - مجلة آفاق عربية - بغداد
٢ - المجلة البطريركية - دمشق
٣ - مجلة سومر - بغداد
٤ - مجلة قالا سوريايا - بغداد
٥ - مجلة الكاتب السريانى - دمشق
٦ - مجلة المجمع العلمى العراق - بغداد
٧ - مجلة المشرق - الموصل
٨ - مجلة المعلم الجديد - بغداد
٩ - مجلة النجم - الموصل

(٣) المعاجم العربية :

١ - قاموس الكتاب المقدس .
٢ - الزركلى = خير الدين = معجم الأعلام .
٣ - الحموى = شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت = معجم البلدان .

- ١ - المراجع الأجنبية -

(1) **Arnold** = T = The Legacy of Islam, London 1953.

(2) **Avolon** = I = Imhotep, Aesculape, Oxford 1927.

(3) **Barhadbesabba** = Arbaya = La cause de la fondation des Ecoles, Traduit par Addai Scher, Patrologia Orientalis, Vol IV, Paris 1907.

(4) **Barhadbesabba** = Arbaya = Histoire Nestorienne, Vol VII, Paris 1909.

(5) **Barton** = Semitic and Hamitic Origins, London 1934.

(6) **Bauer** = L = Historische Grammatik der hebraischen Sprache, Hildesheim 1965.

(7) **Baumstark** = Geschichte der Syrischen Litterature, Bonn 1922.

(8) **Bell** = H = Egypt from Alexander the great to the Arab conquest, Clarendon Press, 1932.

(9) **Berger** = Histoire de L'Ecriture dans l'antiquite 2ed, Paris 1892.

(10) **Bergstrasser** = G = Hunain Ibn Ishak and seine Schule, Leiden 1913.

(11) **Breasted** = J.H = Histoire de L'Egypte depuis, les temps les plus recules. Jusqu a la conquete persanne. Trad. par J. Capart, Bruxelles 1926.

(12) **Brockelman** = C = Syrische Grammatik mit Litterature, Leipzig 1968.

(13) **Browne** = E.G = Arabian Medicine Cambridge, University Press 1921.

(14) **Browne** = E.G = Introduction to the History of Medicine.

(15) **De Boer** = J = History of Philosophy in Islam, London 1953.

(16) **Bouillet** = La Medecine, Librarie J.B. Bailliere et Fils, 1883.

(17) **Budge** = W. = Book of Medicine, Oxford, University Press 1913.

(18) **Cantineau** = J = Le Nabatean, Paris 1930.

(19) **Campbell** = R.T = A Bobytonian. Explanatory text. Medical Journal of the Royal Asiatic Society. 1932.

(20) **Campbell** = R.T = The Assyrian Herbal Paris 1924.

(21) **Castiglioni** = A = Histoire de la Medecine. Trad. J. Bertrand et F. Gidon. Payot, Paris 1931.

(22) **Chabas** = De la Circoncision chez les Egyptiens. Revue Archéologique 1861.

(23) **Chabot** = L'Ecole de Nisibe, Son Histoire Ses Statuts, Journal Asiatic, Juillet, Aout 1896.

(24) **Chabot** = Narsai le Docteur. Journal Asiatique, Aout-Sept. 1906.

(25) **Chabot** = Les Langues et les Litteratures Arameennes, Paris 1910.

(26) **Chabot** = La Litterature Syriaque, Paris 1934.

(27) **Chiera** = E = The Write on Clay, ed. by George G. Cameron, University of Chicago Press 1938.

(28) **Clay** = A.T = Amurru, the home of the Nothern Semites, Newhaven 1919.

(29) **Clay** = A.T = Light on the Old Testament from Babel, London 1907.

(30) **Contenau** = Les Civilisations d'Assur et de Babylone, Paris 1937.

(31) **Contenau** = La Medecine en Assyrie et en Babylone, Paris 1937.

(32) **Contenau** = La Magie chez les Assyriens et les Babyloniens. Paris 1947.

(33) **Contenau** = La Civilisation Phenicienne, Paris 1926.

(34) **Contenau** = Les Civilisations du Proche-Orient, Paris 1948.
(35) **Damper** = W.C = A Short Historty of Science, Cambridge 1944.
(36) **Deringer** = D = The Alphabet, 2 ed., 1948.
(37) **Dhorme** = P = Langues et Ecritures Semitiques, Paris 1930.
(38) **Duval** = R = La Litterature Syriaque, Paris 1900.
(39) **Duval** = R = Histoire Politique et Religieuse et Litteraire d'Edesse, Paris 1892.
(40) **Duval** = R = Notice sur les dialectes neo-arméens dans les memoires de la Societe'de linguistique t IX 1896.
(41) **Edelstein** = L = The Hippocrate Oath, Baltimore Press, 1943.
(42) **Edwards** = J.E.s = The Pyramids of Egypt Penguin Books 1965.
(43) **Erman** = A = Life in Ancient Egypt, London 1927.
(44) **Febvre** = G = La Medecine de L'epoque pharaonique, Paris 1956.
(45) **Fleisch** = H = Introduction à l'Etude des langues Semitiques, Paris 1947.
(46) **Folicart** = M. P = La Medecine dans l'ancienne Egypt, 1935.
(47) **Gardinier** = A.H = Reginal years and civil Calender in Pharaonic Egypt, 1945.
(48) **Gardinier** = A.H = Egypt of the Pharoahs, Oxford 1944.
(49) **Garrison** = F.H = Histoire de la Medecine Philadelphia 1929.
(50) **Geage** = Dc = Het Vadeland der Semitische Volken, Leyden 1882.
(51) **Grimme** = H = Texte und untersuchungen safatenisch- arabischen Religion, Paderborn 1929.
(52) **Guidi** = J. = Della Sede dei polpoli semi, Roma 1932.
(53) **Harper** = R.F = Assyrian and Bobylonian Litterature.
(54) **Harper** = R.F = Code of Hamurabi.
(55) **Hayes** = E.R = L'Ecole d'Edesse, Les Presses Modernes 1930.
(56) **Holmyard** = E-J = Makers of Chemistry, Oxford 1937.
(57) **Herodutus** = Book II, III.
(58) **Hitti** = Ph. = History of the Arabs, 4th ed. London 1956.
(59) **Hell** = J = The Arab Civilisation, Cambridge 1936.
(60) **Ibn** = Ishaq = The Book of Treatise on the Eye. Text Book of Ophtalmologie, Caire 1928.
(61) **Jamieson** = B. H = Imhotep, the wizer and physician of king Zoser and afterwards the egyptien God of Medicine 2 ed. London 1928.
(62) **Johns** = C.H.W = Ancient Babylonia Cambridge 1913.
(63) **Jonckheere** = Les Medecins de l'Egypte Pharaonique, 1935.
(64) **King** = W = History of Summer and Akkad, London 1910.
(65) **King** = W = A History of Babylone, London 1919.
(66) **Kirk** = J.E = A Short history of the Middle East from the Rise of Islam to Modern Times, London 1959.
(67) **Kramers** = The Sumerians, Leipzig 1963.
(68) **Lammens** = H = Etude sur le regne du Caliphe Umyade, Paris 1941.
(69) **Leclerc** = L = Histoire de la Medecine Arabe, Paris 1976.
(70) **Littré** = Oeuvres Complètes d'Hippocrate, Paris 1839.

(71) **Levingston** = R.W = The Greek Genius, Oxford 1924.
(72) **Maspero** = G = Dawn of Civilisation.
(73) **Maspero** = G = Passing of the Empires.
(74) **Maspero** = Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient. Paris 1899.
(75) **Moret** 3 A = Des Clans daux Empires, Paris 1923.
(76) **Muir** = W = The Caliphate, Its Rise Decline and Fall, Edengburgh 1924.
(77) **Noldeke** = T = Die Semitischen Sprachen 2 ed., Leipzig 1899.
(78) **Noldeke** = T = Die Aramaische litterature, Berlin 1906.
(79) **Noldeke** = T = Sketches from Eastern History, Beirut 1963.
(80) **O'leary** = D = Arabic Thought and Its Place in History, London 1958.
(81) **O'leary** = D = How Greek Science Passed to the Arab, London 1957.
(82) **Olmstead** = A.T = History of Assyria, New York 1923.
(83) **Palmer** = E.H = Haroun El Rashid, London 1955.
(84) **Parisot** = Le Dialecte de Malula, Grammaire, Vocabulaire et textes.
(85) **Parsons** = The Alexandrian Library London 1952.
(86) **Pliny** = Natural History, Royal Road to Health Book X.
(87) **Reginald** = A = Coup d'oeil sur la Medecine, Egyptienne, Archion IX, 1928.
(88) **Renan** = Histoire Generale des langues, Smitiques, Paris 1855.
(89) **Rawlison** = Five Great Monarchies, Vol II, London 1871.
(90) **Rawlison** = H = Cuneiform Inscriptions, Vol I, London 1875.
(91) **Rivers** = W. H. R = Medicine, Magic and Religion, London 1924.
(92) **Sabath** = P & Meyerhof = M = Le Livre des questions sur l'oeil de Honein Ibn Ishaq. Le Caire 1838.
(93) **Sarton** = G = Introduction to the History of Science, 1931.
(94) **Sarton** = G = Hellenestic Science and Culture in the last three centuries B.C. Harvard 1959.
(95) **Sayce** = Assyrian Grammar, Oxford 1872.
(96) **Schrader** = Z.D.M.G., XXVII, 1813.
(97) **Schroeër** = A.L = Von der Chaldaërn T. VIII.
(98) **Scher** = Chronique de Seert, Paris 1907.
(99) **Segal** = J.B = Edessa, Oxford 1970.
(100) **Sigerist** = H.E = History of Medicine, Oxford 1951.
(101) **Simpson** = R.H. = Nabateans, 1965.
(102) **Smith** = G.E & Dawson = W = Egyptian Mummies, London 1924.
(103) **So Gallman** = A = The Saracens from the Earliest times to the Fall of Baghdad, London 1886.
(104) **Spencer** = L = Myths and Legends of Ancient, Egypt, 1949.
(105) **Sprenger** = A = Die Alte Geographie, Arabiens, Berlin 1875.
(106) **Le Strange** = The lands of the Eastern Caliphate.
(107) **Tarn** = W = Hellenestic Civilisation ed. 3, 1952.
(108) **Tarn** = W = Alexander the Great, Cambridge 1948.
(109) **Thompson** = R.C = Assyrian and Medical Texts, Oxford 1923.

---

(110) **Thompson** = R.C = The Assyrian herbal a monograph on the Assyrian Vegedable drugs, London 1924.
(111) **Thompson** = R.C = Dictionnqry of Assyrian botany, London 1949.
(112) **Joung** = T.C = Near Eastern Culture and Society, Princeton 1966.
(113) **Voobus** = A = History of the school of Nisibis, Louvain 1965.
(114) **Weil** = R = Recherches sur la 1e Dynastie et les Temps Pharaoniques II, Le Caire 1961.
(115) **Wright** = W = A Short History of Syriac Literature, London 1895.

- ٢ – الدوريات الأجنبية :

1 - Journal Asiatique. Juillet - 1894.

2 - Journal Asiatique. Aout - September 1905.

3 - Memoire de la Société de linguistique, t IX, 1896.

4 - Patrologia Orientalis Vol. IV, 1907.

5 - Revue Archeologique, 1861.

- ٣ – المعاجم الأجنبية :

1 - **Smith** = P = A Compendious Syriac Dictionnary

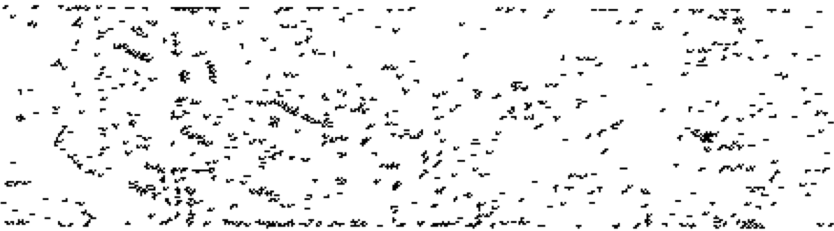
2 - **Simpson** = Encyclopedia Britannica.

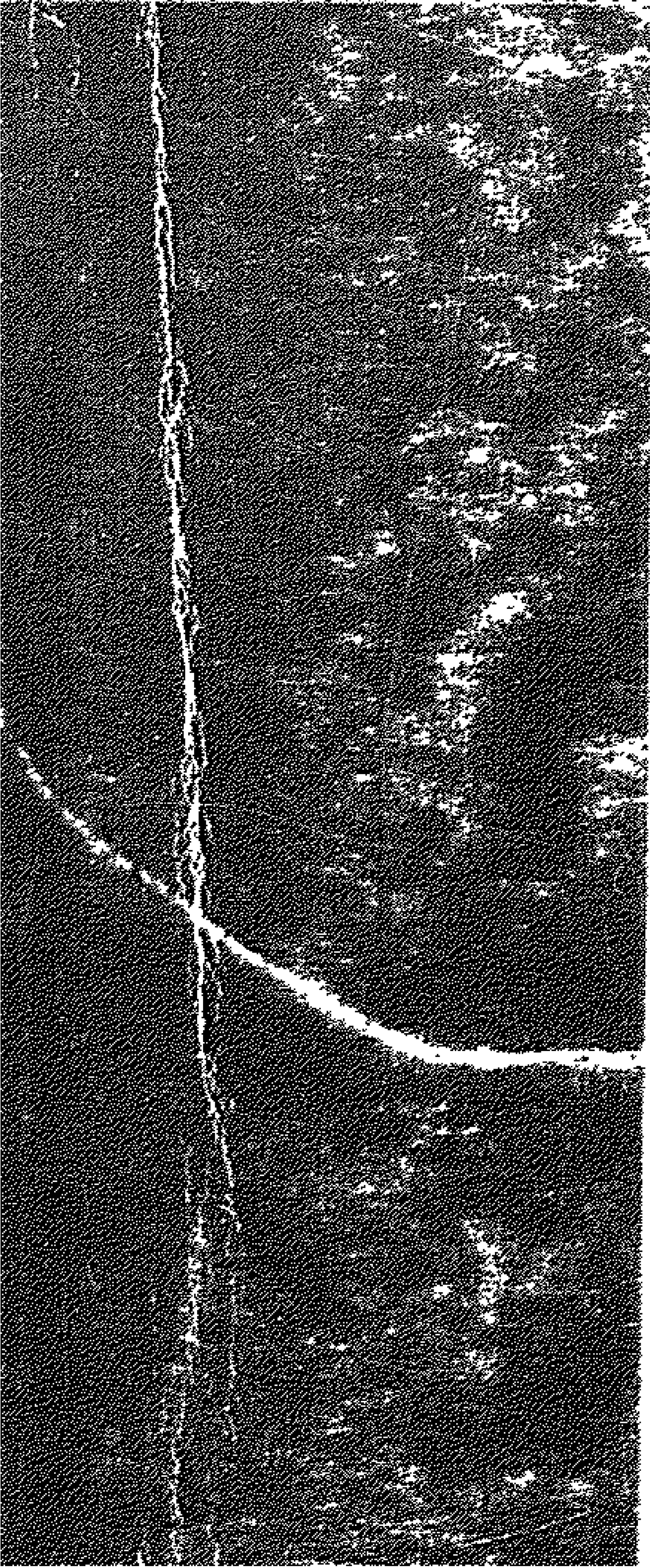
3 - **Thompson** = Dictionary of Assyrian Botany

الفهرس

رقم الايداع ٩٢/٣٩٣٠ I.S.B.N 977-14-0135-1








نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع